إزهاق الباطل

الرد على شبهات القمص زكريا بطرس

تأليف

صلاح أبو السعود

الناشر

مكتبة النافذة

إزهاق الباطل

صلاح أبو السعود

الطبعة الأولى/2009

رقم الإيداع: 2109 / 2009

الترقيم الدولي: 8 / 159 / 436 / 977

الطباعة

دار طيبة للطباعة - الجيزة

الناشر: مكتبة النافذة

المدير المسئول: سعيد عثمان

الجيزة ٢ شارع الشهيد أحمد حمدى

الثلاثينى (ميدان الساعة) - فيصل

Tel: 37241803 Fax: 37827787

Mob: 012 3595973

Email: alnafezah@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: 81].

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: 18].

صدق الله العظيم



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على النبى الأمى الأمين محمد ﷺ المبعوث رحمة للعالمين بالشريعة السمحة الغراء الباقية إلى يوم الدين.

وأما بعد...

الحرب على الإرهاب مصطلح أطلقته الإدارة الأمريكية عقب أحداث الحادى عشر من سبتمبر 2001؛ تلك الأحداث التى أسفرت عن ضرب برجى مركز التجارة العالمى بنيويورك، وأحد أضلاع وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون) باستخدام الطائرات المدنية المخطوفة.

انتهت التحقيقات - والتى تمت بسرية تامة - إلى إدانة تنظيم القاعدة بقيادة أسامة بن لادن، ولا يعلم أحد حتى الأن كيف أنتهت التحقيقات إلى هذه النتيجة والتى يبدو أنها كانت موضوعة سلفاً.

ولكن، ماذا يعنى هذا الإرهاب الذى تحاربه أمريكا؟ للإجابة على هذا التساؤل يكون حرياً بنا أن نعرض لسلسلة الاعتداءات الأمريكية التى وقعت عقب أحداث الحادى عشر من سبتمبر: شنت أمريكا حرباً على معاقل طالبان فى أفغانستان بدعوى القضاء على تنظيم القاعدة وقائده أسامة بن لادن، وهجوماً عسكرياً على العراق أنتهى باحتلالها بدعوى امتلاكها لأسلحة دمار شامل تشكل خطراً على سكان الكرة الأرضية بأسرها!! وأشعلت حرباً باردة على إيران بدعوى سعيها لتصنيع القنبلة النووية بعد أن تنجح فى تخصيب اليورانيوم، ثم ضربت عصفورين بحجر بعدما أثارت الفتنة فى لبنان باغتيال الحريرى بمساعدة الموساد الإسرائيلى تمهيداً لإجبار سوريا على الخروج من لبنان ليكون الطريق مفتوحاً لإسرائيل أملاً فى

القضاء على حـزب الله الحارس الأمين للحدود اللبنانية، ولكن حـزب الله صمد وأخزى الله أمريكا وإسرائيل.

يتضح لنا من العرض السابق أن الحرب الأمريكية لم تكن حرباً على الإرهاب، ولكنها حـرباً على الإسلام، فكل ظهـور قوى للإسلام أسـموه إرهابًا، وكل دولة إسلامـية تقـاوم من أجل الحصول على إسـتقـلالها نعتـوها بالإرهاب، وكل دولة إسلامـية تحاول أن تسلك سـبيل التقدم هى بلا شـك دولة خطر؛ فمن الممكن أن يُغض الطرف عن كوريا الشـمالية وهى فى سـبيلها إلى صنع الـقنبلة النووية - وقد صنعتـها بالفعل - أمـا أن تفكر إيران فى الحصـول على تكنولوجيـا الطاقة النووية، فهذه كارثة يجب مـواجهتها على الفور، وإلا سيدفع المعـالم كله الثمن !! فما بال هذه المعايير العرجاء التى تقـيس بها أمريكا الأمور وما بال هؤلاء - وللأسف منهم مسلمون - الذين يروجون لها؟!

والحرب على الإسـلام قديمة قدم الإسلام ذاتـه، فمنذ أن جهر مـحمد ﷺ بالدعـوة وحتى وقتنـا الحاضر لم تتـوقف هذه الحرب ولم تـهدأ جذوتهـا، وبنظرة سريعـة على هذه الحرب فى العصـر الحديث، نجـد أنهم نجحوا فى القـضاء على الخليفة وعلى منصب الخلافة حتى لا يجد المـسلمون قطباً يلتفون حوله، ثم روجوا وهللوا لقضب جـديد ليلتف حوله المسلمون وأطلقوا علـيه القومية العـربية، لتكون رابطة بديلة بعـيدة كل البعـد عن الدين، وفى مرحلة مـتقدمـة روجوا لما أسـموه بالمعـولمة، ولن نبـحث فى مدلول هذا المـصطلح الفامـض والذى كان جل هدفـه الانتصـار للثقافـة الغربية، وفى الوقت الـراهن يروجون للشرق أوسطيـة، والشرق الأوسط الكبير، بل والجديد، فالمهم هو أن ينَّحـوا الإسلام جانباً - وبأى صورة - خاصة بعد أن نجـحوا فى القضاء على الكيان الشيـوعى ووقف المد الاشتراكى بعد

القضاء على الاتحاد السوفيتى، ولكنهم نسوا أو تناسوا أنهم إذا كانوا قد نجحوا فى القضاء على أيديولوجية من صنع البشر، فلم ولن يستطيعوا القضاء على الدين الذى ارتضاه الله لعباده إلى أن تقوم الساعة.

وبما أن أمريكا هى القطب الأوحد فى العالم - فى وقتنا الراهن - فقد قفا على أثرها كل صاحب مصلحة، فرأيناهم يروجون - ومن خلال إعلام قوى - أن القرآن كتاب يحض على القتل والإرهاب، وأنه يدعو إلى العنف وينأى عن كل سلم، وأتبعوا ذلك بالرسوم الكاريكاتيرية التى نشرتها إحدى الصحف الدنماركية والتى أساءت كل الإساءة لنبى الإسلام محمد ﷺ خير البشر، ثم خرج بابا الفاتيكان من صمته وتحدث كفراً عندما وصم محمداً ﷺ بالوحشى، وأنه نشر الإسلام بحد السيف.

فى غمار كل هذه الأحداث - والتى سردناها - أطل علينا القمص زكريا بطرس وهو - على حد علمى - مطرود من الكنائس المصرية أطل علينا من محطة فضائية تدعى الحياة، وهى تُبث عبر القمر الأوروبى، ويبث معها القمص سمومه فى وجه كل من يشاهده بافتراءته على القرآن والإسلام ونبى الإسلام محمد ﷺ، وذلك من خلال برنامجه «أسئلة عن الإيمان»، والذى لا يمت إلى الإيمان بأية صلة، ولكنه اتخذ من الاسم نافذة ينشر من خلالها الباطل ليزرع بذور الكُرْه للإسلام والمسلمين فى نفوس إخواننا من المسيحيين ليكون بذلك ترس - لا بأس به - فى ماكينة التضليل الأمريكية التى يهرول معظم الغرب المسيحى ليكون أحد أجزائها. ولما كان القمص يطلب فى كل حلقة من حلقات برنامجه المشبوه أن يرد عليه أحد المسلمين عما يدعيه من باطل، فكان هذا الكتاب - والذى أعاننى عليه الله سبحانه وتعالى - ليرد كل باطل ادعاه القمص على الإسلام ونبى الإسلام محمد ﷺ خير الأنام.

منهج القمص زكريا بطرس:

اتبع القمص منهجاً تضليلياً جل هدفه الصاق التهم بالإسلام ونبى الإسلام محمد ﷺ؛ فكان أول ما فعله أن جاء بمقدمى برامج مسيحيين أباً عن جد يدعون أنهم كانوا مسلمين وأنهم اعتنقوا المسيحية بعد ما ظهر لهم أنها الدين الحق، أذكر منهم من ادعى أن اسمه محمد سعيد وأخرى ادعت أن اسمها ناهد متولى، وعن طريق حوار متفق عليه وموضوع سلفاً تدار حلقات برنامجهم المشبوه «أسئلة عن الإيمان»، فيقومون من خلاله بإلباس الحق ثوب الباطل، وهو على علم ومن معه أنه الحق، وقد صدق فيهم قول الله سبحانه وتعالى: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [آل عمران: 17].

يبدأ مقدم البرنامج بعرض شبهة من الشبهات التى أُثيرت حول الكتاب المقدس - وأكثرها من كتاب الشيخ أحمد ديدات «عتاد الجهاد» - فيرد عليها القمص بردود أوهن من بيت العنكبوت، لا تسمن ولا تغنى من جوع، ثم ينتقل سريعاً بنفس الشبهة ليثبت أن القرآن بصفة خاصة والإسلام بصفة عامة تعتريه نفس الشبهة، ويطلب من المسلمين رداً مقنعاً على تلك الشبهة، وكأنه قدم الرد المقنع على الشبهة فى الفكر المسيحى، وأوضح مثال على هذه المنهجية - وكما سنرى - حلقاته حول مسألة جمع القرآن، فقد حاول بشتى الطرق إثبات أن القرآن الكريم الموجود بين أيدينا الآن ليس هو القرآن المنزّل على خاتم النبيين والمرسلين محمد ﷺ، وكذلك حلقته التى تعرض فيها لمسألة شرب الخمر، حاول باستماتة أن يثبت عدم تحريم القرآن الكريم لشرب الخمر، وأن رسول الله ﷺ كان يشرب الخمر.

منهجية أخرى اتبعها القمص ومعاونوه؛ فقام بوضع المقدمات الكاذبة مستعيناً فى ذلك بآيات القرآن الكريم - بعد أن قام بتأويلها على هواه - فى محاولة منه لإثبات

أن القرآن الكريم يقول بصحة المعتقد المسيحى، وأن المسلمين يرفضون القول بصحة هذا المعتقد بلا دليل من النقل أو العقل، وأوضح مثال على ذلك حلقاته حول مسائل طبيعة السيد المسيح - عليه السلام - وصلبه وخطة الفداء.

وفى كل الحالات كان القمص - وهو فى سبيله لنشر أباطيله - يلجأ إلى المتشابه من القرآن ويتجنب المحكم، وكان يعرض النص القرآنى مبتسراً ليبعده عن السياق حتى يتم له ما يريد هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كان يعتمد على أضعف الأقوال فى كتب التفسير وينسبها إلى صاحب التفسير الأصلى كالقرطبى وابن كثير ليوهم المشاهد أن هذه الأقوال هى ما اتفق عليه جمهور المفسرين المسلمين، ومن ناحية ثالثة كان أكثر ما ينقله عن كتب التراث الإسلامى ممزوجاً بالكذب والبهتان، وكأن بينه وبين الأمانة ثأر قديم، وأوضح مثال على هذا التضليل نجده فى حديثه عن جمع القرآن، والذى اعتمد فيه بدرجة كبيرة على كتاب (المصاحف) للسجستانى بعد ما أضاف إليه وقائع من وحى فكره الكسيح.

عملى فى هذا الكتاب:

قمت أولاً بتجميع حلقات البرنامج سواء من مشاهدته مباشرة عبر القناة الفضائية، أو من خلال موقع القناة على الإنترنت، ثم قمت بتفريغ ما حصلت عليه من حلقات على الورق بعد إهمال الحلقات المكررة فى موضوعها - وبعد ذلك عملت على تجميع الموضوعات المترابطة مع بعضها وضمها فى فصل مستقل حتى لا يتشتت ذهن القارىء؛ وذلك لأن القمص كان يتحدث عن الموضوع الواحد فى حلقات مبعثرة.

ومن خلال هذا التجميع جاء الكتاب فى إثنى عشر فصلاً، بدأت كل فصل بعرض الشبهات - وكما قالها القمص - تفصيلاً، لأعطى فرصة للقارىء - مسلماً

كان أم مسيحياً - لإعمال عقله، ثم قمت بالرد على الشبهات، الجزئية تلو الأخرى حتى أنتهى من الرد على ما عـرضته تفصيلاً، واعتمدت إلى حـد كبير على نفس المراجع التى اعتمد عليها القمص لأكشف زيفه وكذبه أمام الجميع.

وخلال الرد على تلك الأباطيل لإزهاقها لم أتعـرض للكتاب المقدس إلا بالقدر المطلوب والذى يخـدم البحث؛ وذلك لأن الهـدف الأساسى من الكتـاب لم يكن تقييم الكتاب المقدس أو تحـليله، ولكن الهدف كان الرد على أباطيل هذا القمص، وإظهار الصورة الحقيقة للإسلام وضاءةً خاليةَ من أية تشويهات.

وبعد، أقول لكل من حارب ومن سيحارب الإسلام: إن الإسلام لم ولن يكن حبيس المساجد، فإذا كانت أوروبا فـصلت الدين عن السياسة فهذا لا شأن لنا به، فليس لدينا رجـال دين يحكمون ويتحكمـون من أجل تحقـيق مكاسب شخصـية، وليس لدينا رجـال دين يبيـعون صكـوك الغفـران، فالحـاكم والفيـصل عندنا هى نصوص القرآن الكريم وسنة رسول الله محمد ﷺ، والذى يغفر الذنوب عندنا هو الله سـبحـانه وتعالى. ولا ذنب لنا إذا كـان الإنجـيل قد جـاء خالياً من الأحكام العمليـة، لا ذنب لنا فى أن الإنجيل جاء ليرو قـصة حياة المسيح - عـليه السلام - كما تصورها من كتبوه، فمن حـقكم والحال كهذه أن تفصلوا الدين عن السياسة، أما نحن فقد رسم لنا القرآن الكريم علاقة الفـرد بربه، وعلاقته بأسرته، والمجتمع الذى يعيش فـيه، ووضع الأسس التى يجب أن يقوم عليـها نظام الحكم الداخلى، ورسم الخطوط العريضة للقواعد التى تحكم العلاقات الدولية، فهل بعد هذا يمكن فصل ديننا عن دنيانا؟ بالطبع لا، وألف لا.

وفى النهاية أقدم إعتـذارى إلى كل الأخوة المسيحيين المعتـدلين لتعرضى خلال هذا الكتاب لنصوص الكتاب المقدس، ومدى جواز نسبتها إلى الله سبحانه وتعالى،

والتعرض للمعتـقد المسيحى ومدى صحته، إذا أن طبيـعة البحث قد فرضت علىّ هذا إظهاراً للحـق وازهاقاً للباطل. وأود من كل قـارىء أياً كانت ديانتـه - أن يقرأ هذا الكتاب بترو، وألا يضع فى ذهنه نتائج مسبقة، وإن شاء الله تعالى سيُهدى إلى نور الحق رغم أنف المضللين.

صلاح أبو السعود

Email : salahabosaud @ yahoo. com

القاهرة - 18 رمضان1427هـ

11 أكتور 2006 م



الفصل الأول
جمع القرآن الكريم ومصدره

عرض الشبهات:

كان موضوع هذه الحلقة [1] كيف جُمع الكتاب المقدس، وكيف جُمع القرآن؟ وبعدما تحدث القمص زكريا بطرس عن الإسلوب الذى جُمع به الكتاب المقدس، وكيف تم حفظه حتى وصل إلينا بهذه الصورة - ولم يستغرق هذا منه سوى خمس دقائق - سألة مقدم البرنامج: **هناك سؤال آخر، كيف جُمِعَ القرآن؟**

يجيب القمص: الكتب المتخصصة تذكر أن هناك أربع مرات جُمع فيها القرآن، المرة الأولى يتحدثـون عن تجميعه أيام النبى، كـان محفوظاً فى صـدور الصحابة، ويسمونه تجمـيع فى الصدور (مش مكتوب يعنى)[2] كانت أجزاء منه مكتوبة على الرقاق، واللخـاف، والعسب، وأكـتاف النعـام، وهكذا لم يكن القرآن فى عـهد محمد مجموعاً فى كتاب (يعنى ماكانش فيه مصحف) حتى مات سنة 10 هـ .

أول تجميع للقرآن فى كتب كان فى عهد أبى بكر الصديق، عندما مات كثيرون من حفظة القرآن فى الحروب، عمر أشـار على أبى بكر بجمع القرآن فى مصحف خشـية ضيـاعه، فطلب أبو بكر من زيد بن ثابت أن يـقوم بهذه المهـمة، تم ذلك وجُمع القرآن بالأحرف السبعة (يعنى القراءات المختلفة)، وحفظ المصحف عند أبى

---

(1) الحلقة رقم 29 من برنامج أسئلة عن الإيمان، وكان مـقدم البرنامج هو الاستاذ/ محمد سـعيد، وقد كان مسلماً ثم اعتنق النصرانية، وهذا على حد زعمه، وطبقاً لما قاله فى الحلقة 21.

(2) جاءت بعض الكلمات على لسـان القمص زكريا بطرس باللغة العامـية فكتبتهـا - فى بعض المواضع - كما قالها.

بكر، ثم عند عمر من بعده، ثم عند حفصة بنت عـمر، وكان مرجعاً للمصحف الذى أقره عثمان بن عفان ثم أرجعه إليها.

وبعد موت حفصة، استولى مروان بن الحكم حاكم المدينة على هذا المصحف الذى كان يعتبر المرجع الأصلى للقرآن كما قرأه محمد، ثم دمره، وشققه، ومحاه من الوجـود، (والكلام ده موجـود فى صحـيح البخـارى باب الفتح حـديث رقم 4000، وكتاب المصاحف للسـجستانى وكتاب الإتقان فى عـلوم القرآن للسيوطى). إذن هذا هو التجميع الأول للقرآن فى كتاب، وقد شقق ودمر على يدى مروان بن الحكم.

التجـميع المهم فى التاريخ - والكلام للقـمص - الذى تم فى عهد عثـمان بن عفـان، رأى عثمان اقـتتال المسلمين فـيما بينهم لاخـتلاف القراءات السبـعة، لأن القرآن كان على سبعة أحرف، فأمر بإعادة جمع القرآن سنة 25 هـ، فجمعت سبعة قرآنات مختلفة (لما جاب الرواة، وقعدوا يجمـعوا منهم القرآن ويكتبوه، طلع سبعة قرآنات مخـتلفة) طبعاً اسـتعانوا بمرجعـية المصحف الذى جمعـه أبو بكر الصديق، والذى حفظ عند حفصه قبل أن يمزقه مـروان بن الحكم. فماذا فعل عثمان بعدما وجد سبـعة مصاحف مـختلفة؟ والناس تقتـتل لهذا الاختلاف، فـقام بحرق ست مصـاحف وأبقى على مـصحف واحـد، وهذا شىء غريب الشـأن يوضع أمـامه علامة اسـتفهام كبيـرة. ومصحف عثمان يخلو من التـنقيط ومن التشكيل، ونسخ من هذا المصحف الذى يدعى المصحف الإمام أرسلت إلى العواصم الإسلامية.

وجُمع القرآن فى عهد الدولة الأمـوية، لما كانت الأبجدية العربية لا تنطوى على أحرف محركة، قام الأمويون فى العراق بإعـداد مصحف جديد مضبوط بالشكل

تلافياً لأخطاء القراءة. (يبقى هنا فيه تجديد فى الموضوع علشان خاطر الحروف المتحركة).

والحجاج بن يوسف الثقفى عهد إلى نصر بن عاصم بضبط المصحف، إذن الحجاج عمل قرآن جديد فيه حروف متحركة وتشكيل وتنقيط إلى آخره. وهذا الكلام موجود فى كتاب المصاحف للسجستانى الذى ذكر أن الحجاج بن يوسف غيّر فى مصحف عثمان أحد عشر حرفا.

ويتساءل القمص بعصبية: أليس القرآن فى اللوح المحفوظ، ونزل من اللوح المحفوظ، وقال له (إقرأ) فقال: (ما أنا بقارىء)، فكيف يُغيّر فى الحروف؟ وكيف يُحرق ويُدمر؟ ويعتبر مصحف العراق أساس الطبعة المتداولة حالياً فى العالم الإسلامى.

فجمع القرآن على هذه المراحل، موضوع يثير الكثير من الأسئلة، فكيف يتفق مع العقل والمنطق؟ وكيف يتفق مع أنه قرآن فى لوح محفوظ ثابت لا يتغير؟ وكيف يعيش المسلم الحياة الصحيحة؟

مقدم البرنامج: أنت ذكرت أن عثمان حرق ست مصاحف، فهل كان هناك أكثر من ست مصاحف فى ذلك الوقت؟

القمص: كان فيه مصاحف كثيرة فكتاب المصاحف يذكر فى كل صفحات كتابه كل مصحف كان موجود، فيذكر ستة وعشرين مصحف كانوا موجودين، ويعطى نبذة عليه، مثل: مصحف عمر، ومصحف علىّ، ومصحف أبى . . . إلخ، فهل هذه المصاحف كانت نُسخ لمصحف واحد؟ لا، بدليل أن السجستانى يقول: إن عبد الله بن مسعود يقول أن هناك فى هذه المصاحف 1700 إختلاف، وكل هذه المصاحف ليست موجودة.

وفى موضع آخر[1] يسأله مقدم البرنامج[2]: **الا يوجد مخطوطات للقرآن الأصلى؟**

يجيب القمص: أنا أسأل المترجم [3] السؤال التالى: أين هى المخطوطات الموجودة الآن؟ ولماذا لم يتأسف على عدم وجود النص الأصلى للقرآن الذى كان موجوداً أيام محمد؟

مقدم البرنامج: لكن القرآن جُمع أيام أبو بكر الصديق.

القمص: «ماشى» جمعه زيد بن ثابت، لكن أين القرآن الذى جُمع فى عهد محمد؟ فالموسوعة الإسلامية تقول: أن القرآن كله جُمع فى عهد محمد، فأين هو؟ ولماذا جمعه زيد بن ثابت مرة أخرى؟

وفى عهد عثمان بن عفان جمعه زيد بن ثابت مرة أخرى، وجمع قرآن جديد، (يعنى ضاعوا التانيين)، ولما جمع زيد بن ثابت وجد - يعنى عثمان - مصاحف عديدة، واختار واحد، وقال (يعنى عثمان): (حادى بادى، هو ده الصح وحرق الباقى).

مقدم البرنامج: لكن عثمان أمر بحرق هذه المصاحف نتيجة لاختلاف القبائل فى القراءات.

القمص: هذا الكلام بيضحكوا به على الناس، لو كان سبب الحرق الأحرف السبعة فلماذا سمح الرسول بهذه الأحرف؟ والخلافات بين المصاحف سواء ورش أو قالون جوهرية.

---

(1) حلقة 86.

(2) الأستاذ/ محمد سعىد.

(3) المترجم هو الأستاذ / على الجوهرى مترجم كتاب عتاد الجهاد للشىخ أحمد ىدات.

مقدم البرنامج: هل المصاحف الموجودة الآن هى من مصحف عثمان؟

القمص: ياريت، ده فيه حاجة حصلت تانى، الحجاج بن يوسف الثقفى ما عجبوش مصحف عثمان، فعدّل فيه، والكلام ده ذكره أبو داود السجستانى فى كتاب المصاحف، وقال (يعنى السجستانى) إن الحجاج غيّر حروف وكلمات فى القرآن وحرق باقى المصاحف. فأين الأصل؟

مقدم البرنامج: هناك مخطوطات سمرقند فى استانبول.

القمص: لكن هذه المخطوطات بينها وبين المصاحف الموجودة الآن إختلاف كبير فى الكلمات والتعبيرات ، خصوصاً إن مخطوطات سمرقند كانت مكتوبة بدون نقط.

مقدم البرنامج: يوجد الآن ثلاثة مصاحف متداولة: مصحف حفص، ومصحف ورش، ومصحف قالون، ولكن أنا لا أعلم أى اختلافات بينهم.

القمص: هناك اختلافات وسبق أن أوردناها فى وقت سابق.

وفى موضع ثالث[1] بعدما تعرض القمص للقرآن واتهمه بالضياع والتحريف **يعلق مقدم البرنامج فيقول: المسلمون يعترضون تماماً على هذا الكلام الذى تقول، فقد حافظ المسلمون عليه (يعنى القرآن) أشد الحفاظ خلال السنوات الماضية.**

القمص: ده شيء رائع، إن كانوا قد حافظوا عليه بهذا الحرص الشديد راح فين القرآن إللى جمعوه فى عهد النبى على الرقاع وعلى اللخاف وعلى العسف وأكتاف النعام. خصوصاً إن فى موقع الأزهر على الإنترنت تحت موضوع القرآن، وكتبه الدكتور عبد الغفور محمود مصطفى وقال: كانت المرة الأولى لجمع القرآن بإملاء النبى، وكان يأمر الكاتب أن يقرأ ما كتب حتى يقوّمه، والموسوعة الإسلامية

(1) حلقة 97.

قالت: لقد اعتنى النبى بكتابة القرآن عناية بالغة جداً، فكان كلما نزل عليه شيء منه دعى الكُتّاب، فأملاه عليهم، وهولاء الكُتّاب قد كتبوا القرآن كله فى عهد محمد (راح فين علشان يجمعوا غيره فى عهد أبو بكر الصديق).

مقدم البرنامج: هل ضاع القرآن الذى كُتب فى عهد محمد؟

القمص: أمال ليه كلف أبو بكر زيد بن ثابت أن يجمع القرآن من صدور الرواة، طب ما يجمعه من الأصل، ولماذا لم يحفظوا هذا القرآن فى جمعه (أى الذى جُمع فى عهد أبى بكر) بحرص شديد كما يقولون، فهذا الجمع اختفى، وإلا لما كلف عثمان زيد بن ثابت بجمعه مرة أخرى؟ وفى موقع الأزهر أن زيد فى هذه المرة جمع ستة مصاحف مختلفة، مش زيد اللى جمع أيام محمد وفى أيام عمر وأيام عثمان، فيجمع ست مصاحف مختلفة، وتقول الموسوعة أن عثمان حرق كل المصاحف، ولم يبق إلا على واحد منها فقط، أليس كل هذا يثير الشك فى القرآن والأحاديث.

وفى موضع رابع[1] وبمناسبة الحديث عن قول الله عز وجل: ﴿**مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا**﴾[2].

يسأله **مقدم البرنامج: ما المقصود بكلمة ننسها؟**

يجيب القمص: فى الأحاديث أن النبى محمد نبى الإسلام كان ينسى آيات قرآنية، ففى صحيح البخارى حديث رقم (5092) عن عائشة قالت: سمع رسول الله ﷺ رجلاً يقرأ فى سورة بالليل فقال: يرحمه الله لقد أذكرنى كذا وكذا كنت

(1) حلقة21 .

(2) سورة البقرة : 106.

أُنسيـتها من سورة كـذا وكذا. ويعلق القمص: أُنسـينها لأن الذى يُنسى هو ربنا، فالله أنساها له.

مقدم البرنامج: هل الله يُنسى الإنسان؟

القمص: هذه أسئلة تطرح نفسها على الساحة، فلماذا نزلت عليه (يقصد الآية) حتى يـنساها؟ وفى صـحيح مسلـم حديث (1874) عن عائـشة قالت: كـان النبى يستمع قراءة رجل فى مسجد فقال: رحمه الله لقد أذكرنى آية كنت أُنسيتها.

مـقدم البـرنامج: إذن السـؤال: الله أعطى له هذه الآيات أصـلاً ثم يُنسـيهـا لرسوله؟ وإذا كان النبى ينسى، فماذا عن القرآن؟

القمص: إذا كان النبى ينسى «يبقى» حفظة القرآن يعملوا «إيه»؟

وفى موضع سادس [1] وفى معرض الإجابة عن هذا السؤال:

لماذا يوجد أكثر من إنجيل؟

يجيب القمص: فى الحقيقة نحن نؤمن بإنجيل واحد، وليسى بأناجيل ، وكلمة إنجيل معناها بشارة مـفرحة، فمتّى بّشر اليهود، ومـرقس كلم الرومان، فبعث لهم بشارة، ولوقا كلم اليونان بنفس البشارة، ويوحـنا للعالم أجمع، ولو وضعنا البشائر الأربعة فـى أسلوب إسلامى أقـول: إن الإنجيل واحـد فى أربع أحرف، فـالقرآن واحد فى سبعة أحرف.

ويبدو أن القمص لا يعـجبه هذا القياس أو ينسى ما قالـه - لأنه مجرد تخبط - فيقول فى موضع آخر [2] عند طرح نفس السؤال:

---

(1) حلقة 15.

(2) حلقة 29 .

اسمهــا أربع بشائر، لأن كلمة إنجيل كلمة يونانيــة معناها بشارة مفرحــة، فمتى واحد من الذين بشــروا بالإنجيل، والكتاب واحد، ولذلك الموضــوع واحد، فهى مثل أسماء السور، فسورة البقرة مثلاً، هل عملت البقرة السورة؟

نقول للقمص - وقــبل أن ترد على هذه الشبهات - هل تعــدد الأناجيل يماثل القراءات القرآنية؟ أم يماثل تعدد سور القرآن الكريم؟ فهل سترسوا سيفنتك المتخبطة على شاطىء ؟ أم ماذا؟

وباستــقراء ما سبق نســتطيع أن نجمل ما أثاره القــمص من شبهــات على النحو التالى:

1 - إن القرآن لم يكن مكتوباًبأكمله فى عهد الرسول ﷺ.

2 - ضياع القرآن الذى كُتِبَ فى عهد محمد ﷺ.

3 - لماذا جُمَع القرآن فى عهد أبى بكر طالما كان مكتوباً فى عهد محمد ﷺ.

4 - كتب عــثمان بــن عفان أكــثر من قرآن (ســبعة قــرآنات) واختــار أحدها بالقرعة.

5 - خلو مصحف عثمان من التنقيط والتشكيل.

6 - حرق مروان بــن الحكم للمصحف الذى جُمع فى عــهد أبى بكر والذى كان موجوداً عند حفصة.

7 - قيام الحجاج بن يوسف الثقفى بكتابة قرآن جديد.

8 - عدم تفرقة القمص بين القرآن والقراءات.

9 - وجود الكثير من المصاحف أو ما يطلق عليه مصاحف الصحابة.

10 - أن الرسول ﷺ كان ينسى القرآن.

11 - أن القرآن من وضع محمد ﷺ وليس كلام الله.

الرد على الشبهات:

للرد على الشبهات التى أثارها القمص زكريا بطرس حول الطريقة التى جُمع بها القرآن الكريم حتى وصل إلينا بهذه الصورة - يكون حريا بنا أن نُقسِّم الموضوع إلى عدة نقاط حتى تعم الفائدة، ويحصل المقصود إن شاء الله تعالى، وسنقوم بعرض هذه النقاط تباعاً.

1 - جمع القرآن فى عهد الرسول ﷺ:

لم يعتن النبى ﷺ بشىء قدر عنايته بحفظ القرآن الكريم، وأكبر دليل على تلك العناية اتخاذه ﷺ كتاباً للوحى، وصل عددهم إلى أربعين كاتباً، وكان ﷺ يدعو أحد الكُتاب كلما نزل عليه شىء من الوحى، فعن البراء قال: لما نزلت ﴿ **لا يَسْتَوِى الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [1] (قال النبى ﷺ: **ادع لى زيداً وليجئ باللوح والدواة أو الكتف والدواة**[2] فرسول الله ﷺ أمر بكتابته، ولكنه كان مفرقاً فى الرقاع والأكتاف والعُسُب[3].

فالقرآن كان مكتوباً فى عهد رسول الله ﷺ على **العُسُب** (جمع عسيب وهو جريد النخل، كانوا يكشطون الخوص ويكتبون فى الطرف العريض)، **واللِّخاف** (جمع لَخفة، وهى الحجارة الدقاق)، **والرقاع** (جمع رقعة، وقد تكون من جلد أو ورق)، و**الأكتاف** (جمع كتف وهو العظم الذى للبعير أو الشاة، كانوا إذا جف كتبوا عليه)، **والأقتاب** (جمع قتب، وهو الخشب الذى يوضع على ظهر البعير ليُركب عليه)[4].

---

(1) النساء: 95.

(2) صحيح البخارى - كتاب فضائل القرآن - باب كاتب النبى ﷺ.

(3) السيوطى - الإتقان فى علوم القرآن - جـ1، ص 168.

(4) المصدر السابق والصفحة.

إذن فالقرآن الكريم كُتب بأكمله فى عهد النبى ﷺ فى صحف مصنوعة من العُسُب واللخاف والرقاع والأكتاف والأقتاب، ولم يترك منه حرف واحد بدون كتابة، وأكبر دليل على هذا هو قوله تعالى: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾[1]

وقد يتساءل البعض: **لماذا لم يجمع القرآن بين دفتى كتاب فى حياة الرسول ﷺ؟ ولماذا لم ينسخ منه عدة مصاحف؟**

والإجابة على هذين التساؤلين غاية فى اليسر[2]:

فأولاً: لم يوجد من الدواعى لكتابته مثل ما وجد فى عهد أبى بكر حتى كتبه فى مصحف، ولا مثل ما وجد فى عهد عثمان حتى نسخة فى مصاحف لأن المسلمين وقتئذ بخير والقراء كثيرون، ولم تتسع رقعة الإسلام بعد. والفتنة مأمونة والمعول عليه فى ذلك الوقت الحفظ أكثر من الكتابة، وقد كان من الصحابة من يعتمد على حفظه فلا يكتب شيئاً جرياً على عادة العرب فى حفظ أنسابها واستظهار مفاخرها وأشعارها من غير كتابة.

وثانياً: لم ينزل القرآن مرة واحدة بل نزل منجماً فى مدى عشرين سنة أو أكثر.

وثالثاً: أن ترتيب آياته وسوره - بالصورة التى عليها - لم يكن على ترتيبه نزوله؛ فنزوله كان على حسب الأسباب من الحوادث والوقائع. أما ترتيبه فكان لغير ذلك من الاعتبارات، ولو كان القرآن - فى عهد الرسول ﷺ - قد جمع فى مصحف أو مصاحف والحال ما شرحناه لكان عرضة لتغيير هذه الصحف أو المصاحف،

(1) البينة: 2.

(2) انظر - محمد الصادق قمحاوى - شبهات مزعومة حول القرآن ص 121.

والظروف حينذاك كانت لا تساعد، وأدوات الكتابة ليست ميسورة وكان التعويل على الحفظ قبل كل شيء.

الخلاصة من ذلك أن القرآن كان مكتوباً كله على عهد رسول الله ﷺ.

2 - جمع المصحف فى عهد أبى بكر:

فى عهد الخليفة الأول أبى بكر الصديق استجد من الأمور ما يوجب جمع القرآن الكريم بين دفتى كتاب واحد بعد أن كان مفرقاً فى عهد محمد ﷺ على نحو ما أوضحناه، لكن ما هى هذه الأمور التى دفعت أبا بكر إلى اتخاذ هذه الخطوة التاريخية؟

يجيبنا زيد بن ثابت عن هذا التساؤل فيقول[1]: «أرسل إلىّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة، فأتيته وعنده عمر رضى الله عنه، فقال أبو بكر؛ إن عمر أتانى فقال: إن القتل قد استحر بأهل اليمامة من قراء القرآن، وأنا أخشى أن يستحر القتل بالقراء فى المواطن، فيذهب كثير من القرآن لا يوعى، وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن. فقلت لعمر: كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال: هو والله خير، فلم يزل يراجعنى فى ذلك حتى شرح الله لذلك صدرى، ورأيت فيه الذى رأى عمر، قال زيد: وعمر جالس عنده لا يتكلم، فقال أبو بكر: إنك شاب عاقل لا نتهمك قد كنت تكتب لرسول الله ﷺ الوحى فتتبع القرآن، فوالله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علىّ من ذلك، قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال أبو بكر: هو والله خير، فلم يزل يراجعنى فى ذلك أبو بكر وعمر حتى

(1) كتاب المصاحف لأبى داود السجستانى ص 13، والإتقان فى علوم القرآن للسيوطى جـ1، ص 164، وصحيح البخارى كتاب فضائل القرآن - باب جمع القرآن.

شرح الله صدرى للذى شرح له صدرهما [صدر أبى بكر وعـمر]، فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والعسب واللخاف وصدور الرجال فوجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة بن ثابت﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (1).

ويقول ابن حَجـر العسقلانى تعليقـاً على هذا الحديث: «مقتل أهل اليـمامة أى عقب قـتل أهل اليمـامة، والمراد بأهل اليمـامة هنا من قُـتل بها من الصـحابة فى الوقعة مع مسيلمة الكذاب، وقتل فى غضون ذلك من الصـحابة جماعة كثيرة قيل سبعـمائة وقيل أكثر، وقـوله: استحر أى اشـتد وكثر وهو استـفعل من الحر، لأن المكروه غالباً يضاف إلى الحـر كما إن المحبوب يضاف إلى البـرد. وقوله كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فالمقـصود به أنه ﷺ لم يجمع القرآن فى مصحف، أى بين دفتـى كتاب. وقـد كان القـرآن كله كتب فى عـهد النبى ﷺ ولكن غـير مجـموع واحد ولا مرتب، فـرسول الله ﷺ أذن فى كتـابة القرآن ونهى أن يكتب معه غيره، فلم يأمر أبو بكر إلا بكتابة ما كان مكتوباً، ولذلك توقف عن كتابة الآية من آخـر سورة التـوبة حـتى وجـدها مكتوبـة مع خزيمـة بن ثابت، مع أنه كـان يستحضرها هو ومن ذكر معه(2).

وعن عروة عن أبيه قال: لما استحر القتل بالقراء يومئذ (يوم اليمامة) فرق أبو بكر على القرآن أن يضـيع فقال لعـمر ولزيد بن ثابت أقـعدوا على باب المسجـد فمن جاءكما بشاهدين على شىء من كتاب الله فاكتباه(3).

---

(1) التوبة: 188.

(2) بتصرف من كتاب فتح البارى لابن حجر - جـ 9 ص 11 وما بعدها.

(3) المصاحف - ص 12، والإتقان فى علوم القرآن جـ1 ص 167.

والمراد أنهما يشهدان أن ذلك المكتوب كتب بين يدى رسول الله، أو المراد أنهما يشهدان على أن ذلك من الوجوه التى نزل بهـا القرآن، وكان غرضهم أن لا يكتب إلا من عين ما كتب بين يدى النبى ﷺ لا من مجرد الحفظ[1].

وقال الحارث المحاسبى: كتابة القرآن ليست بمحدثة فإنه ﷺ كـان يأمر بكتابته، ولكنه كان مفرقاً فى الرقاع والأكتاف والعسب، فإنما أمر الصديق بنسخها من مكان إلى مكان مجتمعاً، وكـان ذلك بمنزلة أوراق وجدت فى بيت رسول الله ﷺ، فيها القرآن منتشر، فجمعها جامع، وربطها مخيط حتى لا يضيع منها شىء[2].

وننتهى من ذلك العرض - المدعم بنفس المراجع التى استـند إليها القمص زكريا بطرس - ننتهى إلى أن جمع أبى بكر لم يكن إلا نسخاً لما كُتب فى عهد رسول الله ﷺ، وأن القرآن كله كان مكتـوباً فى عهده ﷺ، وبهذا يبطل قـول القمص زكريا بطرس بأن القـرآن لم يكن كله مكتوباً فى عـهد رسول الله ﷺ، فـالبندين الأول والثانى يشهدان - وبلا مراء - بهذه النتيجة وهى أن القرآن الذى كُتب فى عهد أبى بكر هو نفسه ما كتب فى عهد النبى ﷺ. وعندما يتساءل القمص عن القرآن الذى كُتب فى عهد محمد ﷺ ولماذا جمعه أبو بكر مرة أخرى؟ فالإجابة واضحة للعيان وكان يستطيع لو تحـرى الموضوعية - أن يجيب عن تساؤله ببسـاطة، فزيد لم يجمع ولكن قام بنسخ ما جُمع على عهد الرسول ﷺ، واعـتقد أن هذه الإجابة شافية لما ثار فى ذهن القمص.

3 - نسخ المصحف فى عهد عثمان:

انتهـينا إلى أن القرآن كله كان مكتـوباً على عهد محـمد ﷺ، وليس أدل على ذلك من تحرى زيـد بن ثابت لآخر آية فى سورة المـائدة حتى وجدها مكـتوبة مع

(1) فتح البارى جـ9 - ص 15.

(2) الإتقان جـ1 - ص 168.

خــزيمة، وأن هذا القــرآن هو بعينه الذى جُـمع فى الصــحف فى عهــد أبى بكر الصديق رضى الله عنه. والتساؤل الآن، **لماذا أقدم عثمان على نسخ المصحف مرة أخرى؟ وهل نسخ عــدة مصاحف أم اكتــفى بنسخ مصحف واحد؟ وإذا كــان قد نسخ عدة مـصاحف، فهل بين هذه المصاحف اخــتلاف أم لا؟** تساؤلات كـثيرة أثارها القمص زكــريا بطرس، وسنقوم بالرد عليــها تباعــا، ومن نفس المصادر التى استقى منها القمص تساؤلاته.

فعن أنس أن حُذيفــة اليمان قدم على عــثمان وكان يغــازى أهل الشام فى فَرْج أرمينية وأذربيجان مع أهل الــعراق فرأى حذيفة اختلافهم فى القرآن، فــقال لعثمان بن عفان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب كما اختلف اليــهود والنصــارى، فأرسل إلــى حفــصة أن ارسلى إلى بالــصحف ننســخهــا فى المصاحف ثم نردها إليك فــأرسلت حفصة إلى عثــمان بالصحف، فأرسل عــثمان إلى زيد بن ثابت، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وعبد الله بن الزبير أن انسخوا الصحف فى المصاحف، وقال للرهط القرشيين الثلاثة، ما اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم حتى إذا نسخوا الصحف فى المصاحف بعث عثمان إلى كل أفق بمصحف من تلك المصاحف التى نسخوا وأمر بسوى ذلك فى صحيفة أو مصحف أن يحرق[1].

وهذه الصحف التى كــانت عند حفصة هى نفــسها الصحف التى جــمعت فى عهد أبى بكر، يقول زيد عن هذه الصــحف: «وكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله عز وجل ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر»[2].

---

(1) المصاحف: ص 26، والإتقان: ص 169، وانظر: صحيح البخارى كتاب فضائل القرآن - باب جمع القرآن.
(2) صحيح البخارى - كتاب فضائل القرآن - باب جمع القرآن.

وعلينا أن نضع الخطوط تحت كلمات: ننسخها، وانسخوا، ونسخوا فهذه الكلمات كافية فى بيان أن ما قام به عثمان بن عفان لم يكن تجميعاً للمصحف بالمعنى الحرفى لكلمة جمع، ولكن كل ما قام به عثمان رضى الله عنه هو النسخ من مصحف أبى بكر رضى الله عنه، والأخير منسوخ مما كتب على عهد الرسول ﷺ.

والآن، ما هو الفرق بين جمع عثمان وجمع أبى بكر؟ وما هو قصد عثمان من هذا الجمع؟

الفرق بين جمع أبى بكر وجمع عثمان، أن جمع أبى بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شىء بذهاب جملته، لأنه لم يكن مجموعاً فى موضع واحد، فجمعه فى صحائف مرتباً لأيات سوره على ما وقفهم عليه النبى ﷺ، وجمع عثمان كان لما كثر الاختلاف فى وجوه القراءة، حتى قرءوه بلغاتهم (لهجاتهم) على اتساع اللغات، فأدى ذلك بعضهم إلى تخطئة بعض، فخشى من تفاقم الأمر فى ذلك، فنسخ تلك الصحف فى مصحف واحد، واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش، محتجاً بأنه نزل بلغتهم، وإن كان قد وسَّع قراءته بلغة غيرهم، دفعاً للحرج والمشقة فى ابتداء الأمر، فرأى أن الحاجة إلى ذلك فد انتهت، فاقتصر على لغة واحدة[1].

فلم يقصد عثمان قصد أبى بكر فى جمع نفس القرآن بين لوحين، وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبى ﷺ، وإلغاء ما ليس كذلك، وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير[2].

(1) الإتقان - جـ1 ص 171.

(2) المصدر السابق والصفحة.

والمشهـور عند الناس إن جامع القرآن عـثمان، وليس كـذلك، إنما حمل الناس على القـراءة بوجه واحـد على اختـيار وقع بـينه وبين من شهـده من المهاجـرين والأنصار، لما خشى الفتنة عند اختـلاف أهل العراق والشام فى حروف القراءات، فأما قـبل ذلك فقد كـانت المصاحف بوجوه من القراءات المطلقـات على الحروف السبعة التى نزل بها القرآن، فأمـا السابق على جمع الجملة فهو الصديق رضى الله عنه[1].

وخير فعـل عثمان إذ وصل الأمر آنذاك إلى درجة التكفـير، وفى هذا يقول أبو قلابة: لما كان فى خلافة عثمان جعل المعلم يعلم قراءة الرجل، والمعلم يعلم قراءة الرجل فجعل الغلمـان يلتقون حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين.. حتى كـفر بعضهم بقراءة بعض[2].

ويقـول أنس: اختلفـوا فى القـراءة على عهـد عثـمان حـتى اقـتتل الغلمـان والمعلمون، فبلغ ذلك عثمان بن عفان، فقال: يا أصحاب محمد، اجتمعوا فاكتبوا للناس إماما[3].

ويزيد الدكتور عبـد الصبور شاهين الأمر إيضاحاً فيـقول: «ثم إن هدفاً آخر قد تحقق بعـمل عثـمان، هو التـقريب اللغوى مـا بين وجوه القـراءة المتلوة آنذاك فى الأقطار المختلفة، والقضاء على الخلاف الذى كـاد يعصف بوحدة الجماعة، أى إن عمل عثمان كان من مقاصده أساساً نشر النص القرآنى بلسان قريش»[4].

---

(1) المصاحف: ص43.

(2) المصدر السابق.

(3) الإتقان - حـ 1ص170.

(4) د. عبد الصبور شاهين - تاريخ القرآن - ص 152.

والتساؤل الآن، ما هو عدد المصاحف التى قام عثمان بنسخها، وهل يوجد بين هذه المصاحف اختلاف أم لا؟

الإجابة عن هذين التساؤلين نجدها فى كتاب المصاحف للسجستانى، فعن قبيصة بن عقبة قال: سمعت حمزة الزيات يقول: كتب عثمان أربعة مصاحف فبعث بمصحف منها إلى الكوفة، فوضع عند رجل من مُراد، فبقى حتى كتبت مصحفى عليه[1].

وعن أبى حاتم السجستانى قال: لما كتب عثمان المصاحف حين جمع القرآن كتب سبعة مصاحف، فبعث واحداً إلى مكة، وآخر إلى الشام، وآخر إلى اليمن، وآخر إلى البحرين، وآخر إلى البصرة، وآخر إلى الكوفة، وحبس بالمدينة واحداً[2].

فأين هذه الروايات من إدعاء القمص زكريا بطرس بأن عثمان جمع سبعة مصاحف مختلفة، اختار أحدها بالقرعة، وأحرق الستة مصاحف الباقية، فى حقيقة الأمر، نجد أن القمص قد قام «بدق» عنق النصوص ليصل إلى هذه النتيجة، فالمصاحف السبعة التى نسخها عثمان متطابقة تماماً، ولم يقم يحرق أى مصحف منها، لأن الهدف هو إرسال هذه النسخ إلى مختلف البلدان ليوحدهم على قراءة قريش، وهذا واضح فى الروايتين السابقتين اللتين استند إليهما القمص للوصول إلى نتيجة شاذة تشكك فى صحة النص القرآنى الموجود بين أيدينا الآن. وإذا كان عثمان قد قام بحرق المصاحف، فهى لم تكن تلك المصاحف التى نسخها، ولكن المصاحف المخالفة لها، وقد جاء فى كتاب المصاحف - المرجع الأم الذى اعتمد

---

(1) المصاحف: ص 43.

(2) المصدر السابق والصفحة، انظر كذلك الإتقان فى علوم القرآن جـ1 ص172.

عليه لقمص - أن عثمان «أرسل إلى كل جند من أجناد المسلمين بمصحف وأمرهم أن يحرقوا كل مصحف يخالف المصحف الذى أرسل به»[1] وأعتقد أن الروايات واضحة وضوح الشمس ولا تحتاج إلى تعليق.

4 - الهدف من إعجام مصحف عثمان:

استاء القمص زكريا بطرس من خلو مصحف عثمان من «التنقيط والتشكيل»، وهو يعنى ما يطلق عليه النقط (الشكل) والإعجام، وهو يريد بهذا أن يقوى شبهة التحريف التى ادعاها.

وقبل أن نعرض للهدف من خلو مصحف عثمان من النقط والإعجام يكون حرياً بنا أن نوضح المراد بالإعجام والنقط.

فالمراد بالإعجام تمييز الحروف المتشابهة بوضع النقط لمنع اللبس[2].

أما المراد بالنقط أو الشكل وضع علامات تدل على حركات الحروف، وقد أطلق عليه القدماء «النقط» لما أنه كان فى بدايته فى صورة نقطة توضع فوق الحرف أو أسفله، أو بين يديه، أو عن شماله[3].

وهناك فى الروايات ما يؤكد قدم النقط والإعجام، وأنهما كانا معروفين للصحابة، وأن الإعجام أقدم من النقط، نظراً لتشابه صور الحروف، إذ نجد هذا التشابه تاماً بين مجموعات منها: (ب ت ث) ويقاربها الرمز (ن)، ومنها: (ج ح خ)، ومنها (د ذ) ويقاربها (ر ز)، ومنها (س ش)، و(ص ض) إلى أخر هذه الأزواج المتماثلة أو المتقاربة، ومن العسير التسليم بإمكان التفرقة بين مدلولات

(1) المصاحف - ص 25.

(2) د. عبد الصبور شاهين - تاريخ القرآن - ص 111.

(3) السابق.

الألفاظ مع بقاء هذا التشابه الملبس، فكان طبيعياً أن يلجأ مخترعو الخط أو أصحابه إلى التمييز بين رموزه المختلفة بما يحدد المراد منها، وذلك بوساطة الإعجام، ومن المعلوم أن العرب كانوا يعتمدون فى نقل الأخبار على الذاكرة، وأنهم لم يستعملوا الكتابة بصورة واضحة إلا فى تسجيل النص القرآنى، على عهد النبى ﷺ مخافة تحريف النص، وقد كان استعمالهم للذاكرة فى ضبط النصوص ونقلها دافعاً لبعضهم أن يهمل فيما يكتب مراعاة الإعجام، حتى بلغ الأمر أن عد بعضهم الإعجام والنقط مما لا يليق فى الكتب والرسائل؛ لأنه يدل على أن الكاتب يتوهم فيمن يكتب إليه الجهل وسوء المفهم[1]. ونتنهى من ذلك إلى أن الإعجام كان معروفاً قبل كتابة المصاحف.

والتساؤل، هل كان تجريد المصاحف العثمانية من النقط والإعجام أمراً محتوماً، أو أنه كان اختياراً من عثمان والكتبة لحكمة أراءوها؟

العرض السابق يؤكد لنا قدم النقط والإعجام، وعلى هذا لم يكن عثمان ولا الكتبة مجبورون على تجريد المصحف من النقط والإعجام، ولكن تم هذا إختباراً منهم لحكمة أراءوها. فما هى هذه الحكمة؟

يقول ابن الجزرى فى كتابه النشر فى القراءات العشر: «ثم إن الصحابة رضى الله عنهم لما كتبوا تلك المصاحف (يقصد مصاحف عثمان) جردوها من النقط والشكل، ليحتمل ما لم يكن فى العرضة الأخيرة، مما يصح عن النبى ﷺ، وإنما أخلوا المصاحف من النقط والشكل؛ لتكون دلالة الخط الواحد على كلا اللفظين المسموعين المتلوين شبيهة بدلالة اللفظ الواحد على كل من المعنين المعقولين المفهومين»[2].

---

(1) بتصرف من كتاب «تاريخ القرآن» ص113.

(2) نقلاً من كتاب تاريخ القرآن – ص 114، 115.

ويقول الدانى فى كـتابه (المحكم فى نقط المصاحـف): «وإنما أخلى الصدر منهم المصـاحف من ذلك ومن الشكل، من حـيث أرادوا الدلالة على بقـاء السعـة فى اللغات، والفسـحة فى القراءات التى أذن الله تعالى لعباده فى الأخـذ بها، والقراءة بما شاءت منها»[1].

ولنورد بعض الأمثلة لإيضاح ما سبق[2]، فكانت بعض الكلمات يقرأ رسـمها بأكثر من وجه عند تجردها من الإعجام نحو (فتبينوا) من قوله تعالى: ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾[3] فإنها تصلح أن تقرأ (فتثبتوا) عند خلوها من النقط والشكل وهى قراءة أخرى مـتواترة، وكذلك كلمة (ننشـزها) من قوله تعالى: ﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ [4] فإن تجـردها من الإعجـام يجعلهـا صالحـة أن تقرأ (ننشرها) بالراء، وهى قراءة متواترة.

ننتهى من هذا العرض أن تجريد مصحف عثمان من الإعجام أمراً كان مقصوداً للحكمة التى بيناها، وأن هذا العمل لم يكن أبداً شبهة، وأن هذه الشبهة إنما ثارت فى ذهن من يختصمون الموضوعية.

* * * *

---

(1) السـابق.

(2) انظر: شبهات مزعومة حول القرآن الكريم - ص 130, 131.

(3) سورة الحجرات: آية 6.

(4) البقرة: 259 .

5 - سبب حرق مروان لمصحف حفصة:

حاول القمص زكريا بطرس التشكيك فى صحة النص القرآنى؛ وذلك بادعائه أن التجميع الأول للقرآن، والذى كان محفوظاً عند حفصة قد قام بتدميره مروان حاكم المدينة، وينتهى القمص إلى نتيجة مؤداها أن النص الأصلى للقرآن قد تم تدميره ومحوه من الوجود. وقد ذكر القمص أن هذه الواقعة مسطورة بكتاب المصاحف للسجستانى، ونحن من جانبنا سنعرض كل الروايات التى جاء بها السجستانى حول تلك الواقعة، ثم نقوم بالتعليق عليها.

فعن أنس أنه اجتمع لغزوة أذربيحان وأرمينية أهل الشام وأهل العراق، قال: فتذاكروا القرآن فاختلفوا فيه حتى كاد يكون بينهم فتنة، قال: فركب حذيفة بن اليمان لما رأى من اختلافهم فى القرآن إلى عثمان فقال: إن الناس قد اختلفوا فى القرآن حتى والله لأخشى أن يصيبهم ما أصاب اليهود والنصارى من الاختلاف، ففزع لذلك عثمان فزعاً شديداً، فأرسل إلى حفصة فاستخرج الصحيفة التى كان أبو بكر أمر زيداً بجمعها، فنسخ منها مصاحف فبعث بها إلى الآفاق، فلما كان مروان أمير المدينة أرسل إلى حفصة يسألها عن الصحف ليحرقها وخشى أن يخالف بعض الكتاب بعضاً فمنعته إياها[1].

والرواية الثانية عن عبد الله قال: لما توفيت حفصة أرسل إلى عبد الله بعزيمة ليرسلن بها، فساعة رجعوا من جنازة حفصة أرسل بها عبد الله بن عمر إلى مروان ففشاها وحرقها مخافة أن يكون فى شىء من ذلك اختلاف لما نسخ عثمان رحمة الله عليه[2].

---

(1) المصاحف ص 28.

(2) السابق.

والراوية الثالثة عن عبد الله قال: أن مروان كان يرسل إلى حفصة يسألها الصحف التى كتب منها القرآن فتأبى حفصة أن تعطيه إياها، قال سالم: فلما توفيت حفصة ورجعنا من دفنها أرسل مروان بالعزيمة إلى عبد الله بن عمر ليرسلن إليه بتلك الصحف، فأرسل بها إليه عبد الله بن عمر، فأمر بها مروان فشققت، قال مروان: إنما فعلت هذا لأن ما فيها كتب وحفظ بالمصحف، فخشيت إن طال بالناس زمان أن يرتاب فى شأن هذا المصحف مرتاب أو يقول إنه قد كان شيء منها لم يكتب(1).

وطبقاً للروايات الثلاث السابقة، وطبقاً لما سبق وشرحناه، فإن مصحف حفصة والذى جمع على عهد أبى بكر من صدور الرجال ومما كتب على عهد محمد ﷺ، هو نفسه المصحف الذى نسخ منه عثمان المصاحف وأرسلها إلى مختلف الأقطار، وبالتالى فضياع هذا المصحف أو بقائه لا تأثير له على صحة النص القرآنى هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فقد أوضحت لنا الروايات السبب الذى من أجله قام مروان بحرق الصحف الموجودة عند حفصة، فقد أكد مروان أن هذه الصحف قد نسخت فى مصحف عثمان، وخشى إن طال الزمان أن يرتاب الناس ويعتقدون خطئاً أن بهذه الصحف شيء لم يكتب بمصحف عثمان، خاصة وأن مصحف عثمان - كما سبق وأوضحنا - جاء خالياً من الإعجام، وكان هدفه توحيد قراءة النص القرآنى، مما قد يوهم الناس بوجود اختلاف بين الصحف ومصحف عثمان، فخيراً فعل مروان، وخيراً فعل القمص زكريا بطرس بإخفائه الرواية الكاملة للواقعة؛ وأعاننا على زيادة الأمر إيضاحاً.

---

(1) السابق - ص 32.

6 - كتابة المصحف فى عهد الحجاج:

ذكر القمص زكريا بطرس أن القرآن قد جُمع فى عهد الدولة الأموية، وأن الحجاج بن يوسف الثقفى عهد إلى نصر بن عاصم بضبط المصحف، وادعى أن الحجاج (عمل قرآن جديد) - على حد تعبيره - فيه حروف متحركة وتشكيل، إلى آخر ما سبق وذكرناه عند سرد الشبهات.

وبداية نقول: إنه لم يتم جمع القرآن إلا مرة واحدة فقط فى عهد الخليفة الأول أبى بكر الصديق، وقد تم هذا الجمع مما سبق وكُتب فى عهد الرسول ﷺ - على نحو ما سبق وشرحناه - أما ما تلى هذه المرحلة فهو مجرد نسخ للمصحف، وليس تجميعاً له كما يحاول القمص الإيهام به.

أما ادعاؤه بأن الحجاج قد (عمل قرآن جديد) فهو ادعاء نطق به لسان الباطل؛ فالحجاج كان والياً على بعض أقطار الإسلام، وسلطاته قاصرة على منطقة جغرافية معينة، وإذا كان الحال كذلك، فأنىّ له أن يفرض على جميع المسلمين فى أقطار الأرض قرآناً جديداً، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فليس من المعقولية أن يغير الحجاج مصحف عثمان وهو من شيعته، وإلا كان خارجاً على الخليفة الأموى، ولو فرضنا جدلاً أن الحجاج قام بتغيير المصحف - حسب هواه - لما سكت عنه العامة ولا الخاصة، ولهاج الجميع وثاروا عليه، ولسطرت كتب التاريخ هذا التعدى السافر على النص القرآنى ولتواترت الأخبار عن هذه الفعلة الشنيعة، ولكن لما كان كل هذا لم يحدث إلا فى ذهن القمص زكريا بطرس، فإننا لم ولن نجد له أثراً فى مصدر من المصادر.

والتساؤل الآن، ما هو حقيقة ما حدث فى زمن الحجاج؟

للإجابة عن هذا التساؤل نـذكر ما قاله أبو أحمد العسكرى فى كـتابه (شرح ما يقع فيـه التصحيف والتـحريف)[1]: «وقد روى أن السـبب فى نقط المصاحف أن الناس غبروا يقرءون فى مـصاحف عثمان رحمة الله عليـه، نيفاً وأربعين سنة، إلى أيام عبد الملك بن مـروان، ثم كثر التصحـيف وانتشر بالعراق، ففـزع الحجاج إلى كُتّابه، وسـألهم أن يضعوا لهذه الحـروف المشتبهـة علامات، فيـقال: إن نصر بن عاصم قام بذلك فوضع النقـط أفراداً وأزواجاً، وخالف بين أماكنها بتوقـيع بعضها فوق الحـروف، وبعضـها تحت الحـروف، فغـبر الناس بذلك زمـاناً لا يكتـبون إلا منقوطاً، فكان مع استعمال النقط أيضاً يقع التـصحيف، فأحدثوا الإعجام، فكانوا يتبعون النقط بالإعجام» انتهى.

وقد سبق وأوضحنا المقصود بالنقط والإعجام، كما أوضحنا أن مصحف عثمان جاء مـجرداً من النقط والإعـجام، وكل ما فـعله الحجاج بـن يوسف هو إحداث النقط والإعجام بالمصحف لا أكثر، وذلك حتى يسهل للناس قرادته.

أما مـا ذكره السـجستـانى فى كتـاب المصاحف[2] وأشار إليـه القمص من أن الحجـاج قد غير فى مـصحف عثـمان أحد عشـر حرفاً، فنقـول أن هذه الحروف قراءات متواترة، وجـاءت موافقة للرسم العثمانى، وهذا التـغيير لم يكن بناء على طلب الحـجاج، ولكن بناء على رأى الهـيئة المـشكلة لهذا العـمل - نقصـد ضبط المصحف - آنذاك وهم: (نصـر بن عاصم الجحدرى ، وابن أصـمع، ومالك بن دينار، والحسن)، ولنضـرب مثالاً لما تم تغيـيره فى حدود الرسم العثـمانى، فمن ذلك قوله تعالى فى سورة المائدة: (س5 آية 48).

---

(1) نقلاً من كتاب تاريخ القرآن للدكتور عبد الصبور شاهين : ص 111, 112.

(2) المصاحف: ص 59، ص130.

﴿شريعة ومنهـاجاً﴾ تغيرت إلى ﴿شرعـة ومنهاجاً﴾ وهذا لا يعد تغـيير بالمعنى الحرفى لكلمة تغيير، ولكنه ترجيح إحدى القراءات المتواترة - حيث نزل القرآن على سبعة أحرف - فى حدود الرسم العثمـانى وهذا يعنى أن الهيئة التى شكلها الحجاج إنما غـيرت فى رسم بعض الكلمـات وليس فى الكلمـات أو الأحرف نفـسهـا أما الكلمة نفسها فتتغير بتغيـر اللهجات فالبعض قد يقرأها (شريعة) والبعض الآخر قد يقرأها (شرعة) وكلتاهما صحيح[1].

7 - **القرآن والقراءات:**

يبدى القمص زكريا بـطرس فى كثير من حلقاته استيـائه مما يُطلق عليه القراءات القرانية، ويحاول أن يوهم مشـاهديه أن قراءات حفص، وورش، وقالون هى عدة مصاحف متغايرة، وأنها «قرآنات» متباينة، وذلك فى محاولة منه للوصول إلى نتيجة مؤداها: أنه إذا كـان يوجد أربعة أناجيل فـإنه بالمقابل يوجد ثلاثة مـصاحف، إذن فالجميع سواء.

نقـول للقمـص زكريا بطرس: أن المقـدمـات الكاذبة لا تؤدى أبداً إلى نتـيجـة صادقة، فما بنى على باطل فهـو باطل، فالفارق شاسع بين القرآن والقراءات، ولا يمكن أبداً المسـاواة بينهما كـما فعل القـمص، وإن كنا لا ندرى هل ما فـعله جاء عمداً أم عن سوء فهم.

جاء فى كتـاب الإتقان فى علوم القرآن - وهو مرجع استند إليـه القمص - جاء ما نصه: **«القرآن والقراءات حقـيقتان متغـايرتان، فالقرآن هو الوحى المنزل على محـمد ﷺ، للبيـان والإعجاز، والقـراءات اختلاف ألفـاظ الوحى المذكور فى الحروف أو كيفيتها، من تخفيف وتشديد وغيرهما، والقراءات السبع متواترة عند الجمهور، وقيل مشهورة»**[2].

---

(1) وسيتضح الأمر أكثر عند الحديث عن القرآن والقراءات فى البند التالى.

(2) الإتقان فى علوم القرآن - جـ 1 - ص222 .

فليس صحيحاً أن القراءات تعتبر من النص القرآنى، فهناك تباين بين القرآن والقراءات، وهما فى الواقع يمثلان حقيقتين متغايرتين، فالقرآن هو ذلك النص المنزل بوساطة الوحى على قلب الرسولﷺ، والثابت بالتواتر ثبوتاً قطعياً لا ريب فيه، وأما القراءات فهى روايات ووجوه أدائية، منها المتواتر ومنها الصحيح، ومنها الضعيف، ومنها الموضوع، وهى بذلك تغاير القرآن تغايراً كبيراً، لأنها تتعلق باللفظ لا بالتركيب(1).

والتساؤل الآن، هل تعدد القراءات كان من اختراع المسلمين بعد العصر النبوى أم أن هناك سند شرعى أعطاهم هذه الرخصة؟

فى واقع الأمر نجد أن المسلمين قد جاءتهم هذه الرخصة من السماء، والسند فى ذلك هو حديث الأحرف السبعة، وسنكتفى بعرض روايتين للحديث ، ثم نعقبهما بتعليق.

فعن أبى بن كعب أن النبى ﷺ كان عند أضاة بنى غفار قال: فأتاه جبريل عليه السلام - فقال: إن الله يأمرك أن **تقرأ** أمتك القرآن على حرف، فقال: **أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتى لا تطيق ذلك**، ثم أتاه الثانية فقال: إن الله يأمرك أن **تقرأ** أمتك القرآن على حرفين، فقال: **أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتى لا تطيق ذلك**، ثم جاءه الثالثة فقال : إن الله يأمرك أن **تقرأ** أمتك القرآن على ثلاثة أحرف، فقال: **أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتى لا تطيق ذلك**، ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن **تقرأ** أمتك القرآن على سبعة أحرف فأيما حرف **قرؤو** عليه فقد أصابوا» (2).

---

(1) دكتور عبد الصبور شاهين - تاريخ القرآن - ص 40.

(2) صحيح مسلم - كتاب صلاة المسافرين - باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف.

وعن أبى بن كعب قال: كنت فى المسجد فدخل رجل يصلى فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعاً على رسول الله ﷺ فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه فأمرهما رسول الله ﷺ فقرأ فحسَّن النبى ﷺ شأنهما فسقط فى نفسى من التكذيب ولا إذ كنت فى الجاهلية، فلما رأى رسول الله ﷺ ما قد غشينى ضرب فى صدرى ففضت عرقاً وكأنما أنظر إلى الله عز وجل فرقاً فقال لى: «**يا أبى أرسل إلىّ أن اقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن هون على أمتى فرد إلى الثانية اقرأه على حرفين فرددت إليه أن هون على أمتى فردّ إلى الثالثة اقرءه على سبعة أحرف فلك بكل ردة رددتكها مسألة تسألينها فقلت: اللهم اغفر لأمتى اللهم اغفر لأمتى وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلىّ الخلق كلهم حتى إبراهيم ﷺ**»(1).

والآن، ما هو السبب فى هذه الرخصة؟

يقول القاضى عياض: «المراد بالأحرف السبعة هى فى أداء التلاوة وكيفية النطق بكلماتها من إدغام وإظهار وتفخيم وترقيق وإمالة ومد لأن العرب كانت مختلفة اللغات فى هذه الوجوه، فيسر الله تعالى ليقرأ كل إنسان بما يوافق لغته ويسهل على لسانه»(2).

وينبغى ألا يفهم من هذا أن القرآن له سبعة لغات أو لهجات مختلفة بحيث إذا كتبت يظهر لنا أكثر من مصحف مختلف، فمن فهم هذا فقد أخطأ، ولكن كل ما فى الأمر أن طريقة أداء - بعض ألفاظ القرآن - قد اختلفت تبعاً لاختلاف الألسنة،

---

(1) السابق.

(2) صحيح مسلم بشرح النووى - جـ 6 - ص 429.

ومثال هذا كلمة (ننشزها) من قوله تعالى: ﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾[1] فهى فى قراءة (ننشرها) بالراء.

وكذلك يجب ألاّ يتبادر إلى الذهن أن القرآن. دوّن أكثر من مرة على عهد رسول الله ﷺ، فهذا فهم خاطىء، فلا يوجد أى خبر أو إشارة إلى أن الرسول ﷺ كان يكرر إملاء الوحى على كتبته، ولو حدث هذا لا ستفاضت به الأحاديث، لأنه يكون حينئذ مما ينبغى أن يعلم من أحواله ﷺ فى أخص ما يتصل بحفظ القرآن مكتوباً، ويؤكد ذلك أيضاً أن الذين كتبوا النص القرآنى فى جمع أبى بكر لم يصادفوا مرة واحدة نصاً مكتوباً مرتين على حرفين، فضلاً عن سبعة أحرف، لا مفرقة على مواضع من القرآن، ولا مجتمعة فى كلمة واحدة وبهذا ننتهى إلى نتيجة مؤداها أن تسجيل القرآن (كتابته) لم يتضمن وجوهاً مما أشار إليه حديث الأحرف السبعة، بل كان تسجيله على حرف واحد فقط، وأما الذى يدخل فى نطاق حديث الأحرف السبعة هو الطريقة الأدائية للقرآن (المشافهة)[2].

والتساؤل الآن، هل رخصة الأحرف السبعة مازالت مستمرة حتى وقتنا الراهن؟

يقول الدكتور عبد الصبور شاهين: «وقد كان من المقدر لهذه الرخصة أن تستمر إلى أن تتغير ظروف المجتمع الإسلامى، وتتحقق حالة لغوية جديدة بسيطرة النص القرآنى المدون على أداء القارئين فى أنحاء البلاد الإسلامية، وتم ذلك بعمل عثمان - رضى الله عنه - الذى كتب المصاحف الموحدة، حين نسخها من جمع أبى بكر

(1) البقرة: 259.

(2) انظر - تاريخ القرآن - ص 84, 85, 100.

الذى تم طبقاً لما كتبه كتّاب الوحى فى عهد الرسول ﷺ وبإملاء مباشر منه، وبذلك ضيق عثمان شقة الخلاف حتى قضى عليه»[1] .

ويضيف سيادته: «وقد شاء الله أن يتم ذلك على يد الصحابى الشاب زيد بن ثابت، الذى جمع القرآن حفظاً على عهد رسول الله ﷺ، وكتب الوحى له بإملائه، ثم نقل هذا المكتوب من أصوله التى كانت مودعة فى بيوت أزواج النبى ﷺ، إلى مصحف أبى بكر، ثم نسخ هذا المصحف فى عدة مصاحف، وكانت هذه هى الكلمة الأخيرة التى أنهت قصة الأحرف السبعة، فلم يبق من هذه الأحرف سوى ما اتسع له الرسم العثمانى (الذى كان مجرداً من الإعجام)، وهو ما نقدر أنه فى حدود حرفين أو ثلاثة على الأكثر، بحيث قامت على وجودها القراءات القرآنية، بما مثلت من ظواهر لهجية، كالإمالة، والهمز، والإدغام، وبما روت من اختلاف فى قراءة الألفاظ مع اتحاد رسمها، كما فى (تبينوا وتثبتوا) مما صحت روايته عن رسول الله ﷺ[2] .

وقد يتساءل البعض: **إذا كان القرآن قد دوّن على حرف واحد على عهد رسول الله ﷺ، فلماذا اختلف الناس فى القراءة فى زمن عثمان؟**

الإجابة غاية فى البساطة، فالقرآن لم ينزل مكتوباً، بل نزل مقروءاً، والدليل على ذلك أن أول آية نزلت هى: ﴿اقْرأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾[3] ويؤكد ذلك قول الله عز وجل: ﴿وَقُرآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً﴾[4] ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ

(1) السابق - ص 87.

(2) السابق.

(3) العلق: 1

(4) الإسراء: 106.

فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾[1] ويقول عز وجل: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾[2] والآيات توضح وبجلاء إن القرآن الكريم لم ينزل دفعة واحدة، ولم ينزل مكتوباً، بل ولم ينزل ليكتب ويحفظ فى قراطيس لا يعلمها إلا رجال الدين، ولكنه نزل ليُقرأ ويُرتل، ويُتلى، بقول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾[3] وكان رسول الله ﷺ يقرأ فى الركعة الواحدة فى قيام الليل سورة البقرة وآل عمران والنساء[4] أى ما يربو على خمسمائة آية، ولعل أوضح مثال على تلاوة القرآن فى عهدنا الحاضر ما هو مشاهد من قيام رمضان وهو التراويح، فالإمام يقرأ كل يوم جزءاً كاملاً من القرآن.

وعليه، فلما كان القرآن نُزِّل ليُقرأ، لذا كان من المنطقى أن تختلف القراءات، ولا نقل - كما ادعى القمص - القرآنات، فالقرآن واحد لم يتغير، ولكن اختلاف اللهجات هو الذى يؤدى إلى التباين فى قراءة بعض الألفاظ، وعلى سبيل المثال، فكلمة «قلعة» قد يقرؤها أهل الجنوب أو البدو «جلعة»، وقد تُقرأ بالعامية المصرية «ألعة»، والكلمة واحدة، لكن اختلفت اللهجات، فاختلف رسم الكلمة عند كتابتها، وفى نفس الوقت لا يمكن كتابة الكلمة بأكثر من رسم فى نفس الموضع، إذ أن ذلك ليس من أصول الكتابة، لذا يجب أن يتم اختيار رسم موحد للكلمة حتى وإن اختلفت اللهجات.

(1) الفرقان: 32.

(2) المزمل: 4.

(3) يونس: 15. وتلاوة آيات القرآن جاءت فى مواضع كثيرة منها: آل عمران آية 101، والأنفال: 31، والإسراء: 107، ومريم: 73.

(4) انظر صحيح مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب استحباب تطويل القراءة فى صلاة الليل.

ولما كان من المستحيل أن يكتب القرآن على الأحرف السبعة، فقد دون على حرف واحد فى عهد الرسول ﷺ، ولكن الناس ظلوا يقرأون القرآن على الأحرف السبعة - حتى زمن عثمان - حتى أنكر بعضهم قراءة بعض مما دعا عثمان إلى تجريد المصحف من الإعجام ليحتمل الرسم أكثر من قراءة على النحو السالف بيانه[1].

وفى النهاية نقول للقمص زكريا بطرس: إذا كان يوجد عندكم أربعة أناجيل - باعترافك - فنحن عندنا قرآن واحد.

8 - مصاحف الصحابة:

حاول القمص زكريا بطرس الإيهام بوجود أكثر من مصحف فى عهد عثمان بن عفان - رضى الله عنه - وكان مرجعه فى هذا كتاب السجستانى المسمى بالمصاحف، وأخذ يعدد المصاحف التى ذكرها السجستانى، ومنها مصحف عمر بن الخطاب، ومصحف على بن أبى طالب، ومصحف عبد الله بن مسعود، ومصحف أبى بن كعب، ومصحف عائشة... إلخ وذكر أن هذه المصاحف غير موجودة الان[2].

فما هى حقيقة هذه المصاحف؟

بداية نود أن نشير إلى أن كثيراً من هذه المصاحف لم يسجل اختلافاً إلا فى بضعة أحرف يسيرة، لا يستحق من أجلها أن يسمى (مصحفاً)؛ لأن هذه التسمية قد تشعر بنوع من الاستقلال، الذى يضخم الاختلاف وهماً لا حقيقة[3].

فعلى سبيل المثال: نجد أن كتاب المصاحف لم يسجل من وجوه اختلاف مصحف أبى موسى الأشعرى، الذى يطلق عليه أحياناً (لباب القلوب)، حتى كأنه

---

(1) قرب - تاريخ القرآن - ص 72.

(2) ارجع ما سبق وذكرناه، وإلى الحلقة 29.

(3) تاريخ القرآن - ص 161.

شيء آخر غير القرآن، لم يسجل سوى أربع صور من الاختلاف، واحدة فى 124/2 : إبراهام - فى (إبراهيم) ، وواحدة فى 103/5 : لا يفقهون - فى (لا يعقلون)، والثالثة فى 36/22: صوافى -فى (صَوَاف) ، والأخيرة فى 9/69: ومن تِلقاءه - فى (ومن قبله) وقد سجلت كتب الشواذ التى رجعنا إليها من هذه الأربعة ثلاثة، وتركت قراءة 103/5 . فهل من أجل أربعة أوجه على الأكثر يقال بأن لأبى موسى مصحفاً يسمى بأسمه، متميزاً باسم خاص يضاف إلى رصيد القرآن من النسخ القديمة؟![1].

ومصحف عائشة لم يسجل له السجستانى[2] سوى روايتان، أحدهما فى 238/2: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَىٰ﴾ قرأتها (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر) وإضافة عائشة لصلاة العصر هى من قبيل التفسير[3] والرواية الثانية فى 56/33: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ قرأتها: (إن الله وملائكته يصلون على النبى والذين يَصُلُون الصفوف الأول) بإضافة : (والذين يصلون الصفوف الأول) - وهى من قبيل التفسير، إعمالاً لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾[4] وفى هذا بيان لمن يصل الصف الأول، فمن أجل هاتين الروايتين صار لعائشة مصحف يختلف عن باقى مصاحف المسلمين؟!

(1) السابق.

(2) كتاب المصاحف - ص 94.

(3) انظر تفسير القرطبى - جـ 2. ص 210.

(4) الأحزاب: 41 إلى 43 .

ومصحف على بن أبى طالب لم يسجل له السجستانى[1] سوى رواية واحدة: 285/2: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ قرأها: (آمن الرسول بما أنزل إليه وآمن المومنون) وهى قراءة تؤدى إلى نفس المعنى، فمن أجل هذه الرواية جعلوا لعلىّ مصحفاً!!

أما مصحف عبد الله بن عمرو، فكل ما ورد بشأنه بكتاب المصاحف هو الرواية التالية:

عن أبى بكر بن عياش قال: قدم علينا شعيب بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص، فكان الذى بينى وبينه، فقال: يا أبا بكر: ألا أخرج لك مصحف عبد الله بن عمرو بن العاص، فأخرج حروفاً تخالف حروفنا، فقال: وأخرج راية سوداء من ثوب خشن فيه زران وعروة فقال: هذه راية رسول الله ﷺ التى كانت مع عمرو[2]. ولم يأت السجستانى بأى من هذه الحروف التى تحدثت عنها الرواية.

أما مصحف عبد الله بن مسعود - الذى أرّق القمص زكريا بطرس كثيراً - فإن الحديث عنه يطول، ويكون حرى بنا فى البداية أن نوضح السبب الذى من أجله غضب ابن مسعود عند جمع عثمان للمصحف:

جاء فى كتاب المصاحف[3] عن عبد الله بن عتبه أن عبد الله بن مسعود كره لزيد بن ثابت نسخ المصاحف فقال: يا معشر المسلمين أُعزل عن نسخ المصاحف وتولاها رجل والله لقد أسلمت، وأنه لفى صلب أبيه كافراً [يريد زيد بن ثابت]

(1) المصاحف: ص 63

(2) المصاحف - ص 94,93.

(3) السابق - ص 24.

ولكن لماذا لم يستعن عثمان بابن مسعود فى نسخ المصاحف؟

قال الحافظ بن حجر العسقلانى (1).

والعذر لعثمان فى ذلك أنه فعله بالمدينة وعبد الله بن مسعود بالكوفة، ولم يؤخر ما عزم عليه من ذلك إلى أن يرسل إليه ويحضر، وأيضاً فإن عثمان إنما أراد نسخ الصحف التى كانت جمعت فى عهد أبى بكر وأن يجعلها مصحفاً واحداً، وكان الذى ينسخ فى عهد أبى بكر هو زيد بن ثابت، لكونه كان كاتب الوحى، فكانت له فى ذلك أولية ليست لغيره.

نستنتج من الروايتين السابقتين أن الخلاف بين ابن مسعود وعثمان بن عفان لم يكن خلافاً حول المنهجية التى اتبعت فى كتابة المصحف، ولم ترد إلينا رواية واحدة عن عبد الله بن مسعود ينكر فيها حرفاً واحداً من الحروف التى كُتب بها مصحف عثمان، ولكن كان جل غضبه فى أن عثمان لم يستعن به فى كتابة المصحف؛ حيث كان يرى أنه الأولى بالقيام بهذا العمل من زيد بن ثابت، وعثمان نفسه لم ينكر ذلك إلا أنه وجد أن الأمر لا يحتمل التأجيل - للظروف التى شرحناها عند الحديث عن كتابة عثمان للمصحف - وإن انتظار عودة عبد الله بن مسعود من الكوفة قد يكلف المسلمين الكثير، وعلى كل حال فقد رضى ابن مسعود بهذا المصحف الذى نسخه عثمان، والسجستانى قد جاء برواية فى كتابه المصاحف تؤكد هذا، ولكن يبدو أن الرواية لم تعجب القمص حيث رأى أنها ستهدم كل ما يثيره من شبهات حول جمع المصحف، وإليك نص الرواية:

عن فلفلة الجعفى قال: فزعت فيمن فزع إلى عبد الله بن مسعود فى المصاحف، فدخلنا عليه، فقال رجل من القوم إنا لم نأتك زائرين، ولكنا جئنا حين

(1) فتح البارى - جـ 9 - ص 19.

راعنا هذا الخبر، فقال: إن القرآن أنزل على نبيكم من سبعة أبواب على سبعة أحرف وإن الكتاب قبلكم كان ينزل من باب واحد على حرف واحد معناهما واحد[1].

وعلى هذا نجد أن عبد الله بن مسعود كان على علم بأن القرآن نزل مقروءاً لا مكتوباً، فقد أُنزل ليتلى ويتعبد به ليظل دائماً حاضراً فى الصدور، أُنزل ليكون الجميع على علم به لا ليوضع فى قراطيس وسراديب سرية ليحتكر الأحبار علمه ويخفونه على العامة، وعثمان نفسه كان يدرك ذلك الأمر، وأن القراءة على أى حرف من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن قراءة صحيحة، ولكنه أراد أن يحتوى خلاف المسلمين - على نحو ما أسلفنا - بجمعهم على مصحف يحتمل رسمه أغلب القراءات الصحيحة، والدليل على ذلك أنه أطلق القراءة على غير مصحفه، وقد نقل السجستانى عنه أنه قال: «أما القرآن فمن عند الله إنما نهيتكم لأنى خفت عليكم الاختلاف فاقرأوا على أى حرف شئتم»[2].

وحقيقة الأمر أن أغلب الروايات التى نُقلت عن ابن مسعود إنما هى روايات أحاد، وقد صح عندنا - على نحو ما أسلفنا - أن القرآن متواتر عليه، ولم يقل أحد فى الدنيا إن من شرط التواتر والعلم اليقينى المبنى عليه ألا يخالف فيه مخالف وإلا أمكن هدم التواتر، وكل ما قام عليه، بمجرد أن يخالف فيه مخالف ولو لم يكن ذا شأن، فلو قلنا بهذا لما وجدنا أى تواتر[3] .

فبعض القراءات حملت الطابع التفسيرى، فقد روى ابن الجزرى عن عبد الرحمن بن أبى ليلى «أن ابن مسعود كان إذا اجتمع إخوانه نشروا المصحف فقرءوا

(1) المصاحف - ص 25.

(2) المصاحف - ص 45, 46.

(3) قرب - شبهات مزعومة حول القرآن - ص 139، انظر تاريخ القرآن - ص 165, 166.

وفسر لهم»[1] فهنا كـان من الطبيـعى أن يختلط الأمـر بين طلاب ابن مسـعود، فبعـضهم كان يدون التفـسير على أنه قراءة، ويدعم هذا أن هذه الـروايات - كما ذكرنا - لم تصل إلى حد التواتر، وإنما تدخل تحت بند القراءات الشاذة.

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾[2] فى قراءة ابن مسعود: (فى مواسم الحج فابتغوا حيئنذ)[3].

وكثير من الروايات تحمل طابع الترادف [4] والأمثلة على ذلك كثيرة، منها:

فى 48/2: ﴿وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ قرأها ابن مسعود (لا يؤخذ).

وفى 40/4: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾

قرأها :(إن الله لا يظلم مثقال نملة).

ويعلق الدكتور عبـد الصبور شاهين[5] على أمثال هذه الروايات قائلاً: «وغنى عن البيـان أنها كلها روايات لـلتفسيـر المجرد، وردت على لسـان معلم من أوائل معلمى هذه الأمة، ومن أكثرهـم أخذاً عن رسـول الله ﷺ ومصحفه (قراءته) يعد نموذجاً يقاس عليه بقية ما نسب إلى الصحابة (أبى بن كعب، وعلى بن أبى طالب، وابن عباس) من مصاحف وينطبق عليها ما ينطبق عليه.

ويضيف سيادته: وتلك كما أشرنا من قبل كانت بداية نشوء علم تفسير القرآن، بحيث لا يسعنا أن نتصور له نشأة على غير هذا المنهج، وقد وجدنا الأئمة والفقهاء يعتمدون هذه التفسيرات، فيؤسسون عليها أحكاماً ونظريات فى الفقه وأصوله، كما

---

(1) ابن الجزرى - غاية النهاية فى طبقات القراء جـ 1 ص 459، نقلاً عن كتاب تاريخ القرآن - ص 167.

(2) البقرة: 198.

(3) المصاحف : ص 65.

(4) حول أمثلة الترادف فى قراءة ابن مسعود - انظر - تاريخ القرآن - ص 176 ,177 .

(5) تاريخ القرآن - ص 177.

حفلت كتب تفسير القرآن بهذه الروايات، على أنها آراء أئمة متقديمن فى الأخذ والتلقى عن الرسول ﷺ فهم غالباً أعظم الناس إستيعاباً لمقاصده، وأكثرهم اقتداراً على فهم المراد منه، فى ضوء ما عاينوا من أسباب نزوله، وما عانوا من تنفيذ أحكامه، أمراً ونهياً». أنتهى.

نخلص من كل ما سبق أنه ليس من المنطقى أن ننسب مصحفاً لكل من قرأ آية مخالفة لرسم المصحف أو بها بعض الزيادات، فهذا يعد من قبيل تعدد المصاحف الصورى، ذلك التعدد الذى يعمد البعض - أمثال القمص زكريا بطرس - إلى استغلاله فى اثارة الشبهات حول القرآن الكريم، وقد رأينا أن هذه الروايات الشاذة - ما هى إلا روايات ذات طابع تفسيرى، لم يجمع على قرأنيتها؛ فالقرآن إنما جُمع بالتواتر - على نحو ما أسلفنا - أما باقى الروايات الشاذة - مهما كثرت - فإن دستور جمع القرآن لا يمكن له أن يعترف بها، ولا يضفى عليها أى قدسية، فمكانها الطبيعى هو التفسير لا أكثر، ولو كان بهذه المصاحف المزعومة شيء من الصحة لما أندثرت، ولظلت باقية حتى وقتنا الحاضر.

9 - شبهة نسيان النبى ﷺ القرآن والنسخ فى القرآن:

قام القمص زكريا بطرس بتأويل بعض الأحاديث ، وتأويل قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ (1) ليخرج بنتيجة باطلة مؤداها أن الرسول ﷺ كان ينسى القرآن، وإذا كان الحال كذلك - على حد قول القمص - فإن حال حفظة القرآن بالنسبة لنسيان القرآن - يكون أشد، وهدف القمص الأساسى من إثارة هذه الشبهة هو التشكيك فيما بين أيدينا من القرآن.

---

(1) البقرة: 106.

وبداية نقول: أن الآية القرآنية التى استند إليها القمص لا تدل من قريب أو بعيد على نسيان الرسول ﷺ للقرآن، ولكنها تتعلق بمسألة النسخ، وللعلماء - قدامى ومحدثين - آراء عدة فى هذه المسألة، ونحن من جانبنا لا نقول بوجود أى نسخ فى نصوص القرآن الكريم، فجميع نصوص القرآن الكريم فعالة ومتجانسة، ولا يناقض بعضها البعض، وأنا أرى أن الذين قالوا بالنسخ - وأقصد هنا نسخ نص قرآنى بنص قرآنى آخر أو بالنسبة لمن يجيز نسخ القرآن بالسنة - أقول أن الذين قالوا بالنسخ توهموا أن هناك من النصوص ما هو متعارض؛ بحيث لا يمكن إعمال النصين معاً، فأطلقوا على النص اللاحق «الناسخ» وعلى النص السابق «المنسوخ»، ولتأكيد هذه الوجهة من النظر نذكر قول الله عز وجل: ﴿**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا**﴾ [1] وهذه الآية الكريمة تؤكد، وبلا مراء، أن التعارض بين نصوص القرآن إنما يثار فى بعض العقول، وهو تعارض صورى يزول بمجرد إعمال الفكر، وهنا لا يكون مجال للقول بالنسخ - بالمفهوم المتقدم - من أساسه[2].

ولنضرب مثالاً لتقريب وجهة نظرنا، فقد قال بعض الفقهاء بنسخ قول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ**﴾[3] ، وقالوا هو منسوخ بقول الله عز وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[4].

(1) النساء 82.

(2) انظر كتابنا - الرسول والسيف - ص 15 وما بعدها.

(3) النساء: 43.

(4) المائدة: 90.

والسؤال الآن، هل لو وقع مسلم فى المحظور، وشرب الخمر، هل سيمتنع عن الصلاة أم يصلى؟

الإجابة بطبيعة الحال أنه سيصلى، ولكن هل سيصلى وهو تحت تأثير المسكر؟ الإجابة فى النص القرآنى: ﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ إذن لا تعارض بين النصيين، فلا أولهما منسوخ ولا ثانيهما ناسخ، والله أعلم.

لكن، ما معنى النسخ الذى قالت به الآية الكريمة؟

للإجابة على هذا التساؤل يكون حرى بنا أن نعرض لرأى أستاذنا الدكتور عبد الصبور الشاهين بشأن هذه المسالة، ولوجاهة الرأى سأقوم بعرض رأيه كاملاً، يقول سيادته [1]:

«ولقد يكون من المفيد أن نعرض هنا لقضية شغلت المفكرين من المسلمين على مر العصور هى قضية النسخ، والمراد به أن تنزل آية بحكم، ثم يتغير الحكم بنزول آية أخرى ملزمة بحكمها الجديد، ناسخة لحكم الآية السابقة، وقد وردت إشارة إلى ذلك فى قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾[2] وفُسِّر النسخ هنا بأنه إلغاء آية أراد الله سبحانه وتعالى أن يستبدل بها آية أخرى خيراً منها أو مثلها فى النص القرآنى.

غير أن هذا المفهوم للآية ليس وحده وارداً بشأنها، فمن العلماء من فسر الآية بالمعجزة، أو بالدين، وقد شاءت إرادة الله - فعلاً - نسخ الأديان بالسابقة بالإسلام، ونسخ المعجزات السابقة بمعجزة القرآن، ومعنى ذلك أن النسخ بمعنى استبدال آية بآية ليس لازماً، ولا نهائياً، هذا من ناحية.

(1) تاريخ القرآن - ص 32، 33.

(2) سورة البقرة: 106.

ومن ناحية أخرى لابد أن نعترف بأن المواضع المقـول فيها بالنسخ قد تحتوى من المعانى والأحكام مالا يزال قـيماً، يفيد الحيـاة والمجتمع، فالقول بنسـخه هو إيقاف لنصوص ذات أثر عميق فى سير العقيدة، وتدرجها التربوى.

ويضيف سيادته: ولنأخذ على ذلك مثـالاً واحد، فقد قبل إن قوله تعالى: **﴿إِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ﴾**[1] منسوخ بالآية التالية التى تقول: **﴿الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَـابِرَةٌ يَغْلِبُـوا مِـائَتَـيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُـوا أَلْفَـيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾**[2].

والظاهر من تتابع الآيتـين على هذا النحو قد يدل على صـواب القول بالنسخ، ولكن تأمل معناها يدل على أنه لا ضرورة لذلك، فليس مسـتحيلاً أن يثبت الفرد لعشرة، ولئن كان ذلك ليس وارداً كـثيراً فإنه لو حدث لكان موقفـاً رائعاً، وعملاً بطولياً لا يأباه القرآن، ولا يستبعده الدين ، فلا ضرورة للقول بالنسخ، وإنما يستفاد من كل نص بحسب الظروف التى تتعرض لها الجماعة المؤمنة.

ولذلك نستطيع الجزم بأن القرآن كله موضوع للإيمـان والعمل بمقتضاه، حسب الوسع والطاقة، دون إعنات أو تعسير: **﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾**[3] ودون تعطيل لبعض نصـوصه التى نزلت دائماً علاجاً لمواقف بشـرية يتوقع أن تتكرر بين حين وآخر، وفى مكان وآخر، وبمناسبة وأخرى» انتهى.

---

(1) الأنفال: 65.

(2) الأنفال: 66.

(3) البقرة: 286.

ونتهى من العرض السابق إلى أن الآية الكريمة لا تشير إلى نسيان الرسول ﷺ لأى نص من النصوص القرآنية، وأن أقصى ما يتحمله النص هو القول بالنسخ بالمعنى الذى شرحناه، من حيث أن النصوص القرآنية كل متكامل بعضها البعض.

أما قول القمص زكريا بطرس أن هناك من النصوص ما يدل على أن النبى ﷺ كان ينسى القرآن، فهذا زعم باطل، وليس فى هذه النصوص، ما يدل على أن الرسول ﷺ قد انمحا من ذهنه شيء من القرآن حتى إنه لم يكتبه فى المصاحف، ولكى نزيد الأمر إيضاحاً يكون حرى بنا أن نعرض لبعض هذه النصوص حتى يكون القارئ على بينة وعلى إلمام كامل بالموضوع.

فعن عائشة - رضى الله عنها - قالت: سمع النبى ﷺ رجلاً يقرأ فى المسجد فقال: **يرحمه الله لقد أذكرنى كذا وكذا آية من سورة كذا** [1] وفى رواية: **أسقطهن من سورة كذا** [2].

وعن عائشة قالت: سمع رسول الله ﷺ رجلاً يقرأ فى سورة بالليل فقال: **يرحمه الله لقد أذكرنى كذا وكذا آية كنت أُنسيتها من سورة كذا**[3].

وعن عبد الله قال: قال النبى ﷺ: **بئس ما لأحدهم أن يقول نسيت كيت وكيت بل هو نُسِّى**[4].

وغاية ما تدل عليه الروايات السابقة هو أن قراءة ذلك الرجل ذكرت النبى ﷺ تلك الآية التى كان قد نسيها أو أسقطها نسياناً، وهذا لا يزعزع الثقة بالرسول ﷺ

(1) صحيح البخارى - كتاب فضائل القرآن - باب نسيان القرآن وهل يقول نسيت آية كذا وكذا وقول الله تعالى: ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾.

(2) السابق.

(3) السابق.

(4) السابق.

ولا يشكك فى دقة جمع القرآن، فـإن الرسول ﷺ كان قد حفظ هذه الآيات من قبل أن يحفظها ذلك الرجل ثم اسـتكتبها كتاب الوحى وبلغهـا للناس فحفظوها عنه ومنهم هذا الرجل، وإلا ما قرأها الرجل من الأسـاس، وليس فى هذا الحديث ما يدل على أن هذه الآية أو الآيات لم تكن بالمحفوظات التى كتبها كتاب الوحى، ولا ما يدل على أن أصحاب الرسـول ﷺ، كانوا قد نسوها جميعاً حـتى يخاف عليها وعلى أمثالها الضياع ويخشى عليهـا السقوط عند الجمع واستنساخ المصحف الإمام كما يفترى هؤلاء الأفاكون؛ فرواية الحديث نفسها تثبت صراحة أن فى الصحابة من كان يقرؤها ويسـمعها الرسول منه، كـما إن دستور جمـع القرآن الذى تقدم يؤيده أنهم كانوا لم يكتـبوا فى المصحف إلا ما ظاهر فـيه الحفظ والكتابة والإجـماع على قرآنيته، ومنه هذه الآيات التى هى ذات الموضوع وموضع الإشكال[1].

وقوله ﷺ «كنت أُنسيتها» هى مفسرة لقوله «أسقطهن» فكأنه قال: أسقطتها نسياناً لا عمداً[2].

وروايات هذا الخبر لا تفيد أن هذه الآيات التى سـمعها الرسول ﷺ قد انمحت من ذهنه الشريف جملة، وغاية ما تفيده أنها كانت غائبة عنه ثم ذكرها، وحضرت فى ذهنه؛ وغـيبة الشىء عن الـذهن أو غفلة الذهن عن الشىء غـير مـحوه منه. بدليل أن الحافـظ منا لأى نص من النصوص قـد يغيب عنه هذا النص إذا اشـتغل ذهنه بغيره، وهو يوقن فى ذلك الوقت بأنه مخزون فى حـافظته بحيث إذا دعا إليه داع استعـرضه واستحـضره ثم قرأه، أمـا النسيان التام المراد به أنحـماء الشىء من الحافظة فإنه مستحيل على النبى ﷺ خاصة فيما يخل بوظيفة الرسالة والتبليغ[3].

---

(1) شبهات مزعومة حول القرآن الكريم - مصدر سابق وبتصرف يسير - ص 140, 141.

(2) فتح البارى - جـ 9 - ص 86.

(3) شبهات مزعومة حول القرآن الكريم - ص 142.

وقال الحافظ بن حجر فى شرح هذا الحديث : «وفى الحديث حجة لمن أجاز النسيان على النبى ﷺ فيما ليس طريقه البلاغ مطلقاً وكذا فيما طريقه البلاغ لكن بشرطين: أحدهما أنه بعدما يقع منه تبليغه والآخر أنه لا يستمر على نسيانه بل يحصل له تذكرة إما بنفسه وإما بغيره، فأما قبل تبليغه فلا يجوز عليه فيه النسيان أصلاً»[1].

ولتتمة الموضوع يكون حرى بنا أن نعرض لقوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَىٰ ⁦(٦)⁩ إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾[2].

يقول القرطبى[3] فى تفسير هذه الآية: سنقرئك أى القرآن يا محمد فنعلمكه فلا تنسى أى فتحفظ، وهذه بشرى من الله تعالى بشره بأن أعطاه آية بينة؛ وهى أن يقرأ عليه جبريل ما يقرأ عليه من الوحى وهو أمى لا يقرأ ولا يكتب فيحفظه ولا ينساه. قال مجاهد والكلبى: كان النبى ﷺ إذا نزل عليه جبريل بالوحى لم يفرغ جبريل من آخر الآية حتى يتكلم النبى ﷺ بأولها مخافة أن ينساها فنزلت سنقرئك فلا تنسى بعد ذلك شيئاً فقد كفينكه، ووجه الاستثناء على هذا ما قاله الفراء: إلا ما شاء الله وهو لم يشأ شيئاً، ويقال فى الكلام: لأُعطينك كل ما سألت إلا ما شئت وإلا أن أشاء أن أمنعك والنية على ألا يمنعه شيئاً فعلى هذا مجارى الإيمان يستثنى فيها ونية الحالف التمام. وقوله: «فلا» للنفى لا للنهى . أ . هـ.

وعلى ذلك فقوله تعالى :﴿إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ فيه تعليق وقوع النسيان على مشيئة الله، وقد تكفل الله تعالى بحفظه إياه فى نحو قوله: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾[4]

---

(1) فتح البارى - جـ 9 - ص 86.

(2) سورة الأعلى: آية 7,6.

(3) تفسير القرطبى - جـ 20 - ص 19 وما بعدها.

(4) سورة القيامة - آية 17.

وإذن النسيـان لم يقع، للعلم بأن عدم حصـول المعلق عليه يستلزم عدم حـصول المعلق، فـالذى عنده تذوق لأساليب اللغـة ونظر فى وجوه الأدلة لا يـتردد فى أن الآية وعد أكيد من الله بأن الرسول ﷺ يقرئه الله (فلا ينسى) وعداً منه على وجه التأييد.

ونتـهى من هذا العرض إلى أن الـرسول ﷺ لم ينس قط حـرفاً من القـرآن، فالقرآن الموجود الآن بين أيدى المسلمين هو نفس القرآن الذى نزل على محمد ﷺ بلا زيادة أو نقصان، لما علمناه من أن الرسول ﷺ كان يستدعى كتاب الوحى فور نزول أى آية عليه ويقوم بتدوينها على نحو ما أسلفنا.

10 - مصدر القرآن:

يدعى القـمص زكريا بطرس أن القـرآن هو كلام مـحمـد ﷺ، وينفى عنه أى قدسـية تأسيسـاً على أنه - على حد قوله - كـلام بشر، فنجده يقول على سـبيل المثـال: أن محـمـداً ألغى التبنى فى سـورة الأحزاب ليـتـزوج من زينب بنت جحش[1].

ويقول فى موضع آخر[2] عند حديثه عن قدسية النصوص الـقرآنية: «فليثبتوا لنا أنها نصوص إلهية من عند ربنا، وإن كانت نصوص مقدسة بالعقل فهى تستطيع أن تقف فى وجـه الدراسـات النقـدية، فـالنص الإلهى يجـيب عن نفـسـه بالدليل، ويضيف: لقـد تعرض الكتاب المقـدس للنقد الشـديد من قبل ملحديه فى عـصر النهضة الأوربية، وصمد الكتاب المقـدس وتحول الكثير من الملحدين إلى مؤمنين، وإلى الآن نسمع عن بعض الجمـاعات الإسلامية «درسـوا الكتاب المقدس وآمنوا به، فإذا كان القرآن كتاب من عند الله فهو يدافع عن نفسه».

---

(1) حلقة 94.

(2) حلقة 103.

الرد:

نقول رداً على ذلك إن القرآن لو كان من كلام محمد ﷺ كما يزعمون لكان من الفخر له أن ينسبه لنفسه بدل نسبته لله، ولأمكن أن يدعى به الألوهية الأفضل من النبوة فيكون مقدساً فى نظر الناس وهو إله أكثر من قداسته فى نظرهم وهو نبى، ولما كان فى حاجة إذاً أن يلتمس هذه القدسية المزعومة - فى نظرهم - بنسبته القرآن إلى غيره[1].

ولو كان القرآن كلام محمد ﷺ لأنكر نبوة المسيح عيسى بن مريم - كما أنكرتها اليهود - ونبوة موسى عليهما السلام، أو على الأقل لحاول تهميشها بالطعن عليهما ولكن هذا ليس موجود بالقرآن، بقول الله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾[2].

ويقول الله سبحانه وتعالى مخبراً عن عيسى عليه السلام:

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾[3].

ويقول جل شأنه مخبراً عن موسى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا﴾[4].

(1) انظر شبهات مزعومة حول القرآن - ص 48.

(2) البقرة: 285.

(3) مريم: 30 - 34.

(4) مريم: 51.

ويكفى أن نعلم أن اسم «موسى عليه السلام» ورد فى القرآن فى حدود مائة وثلاثين مرة، واسم «عيسى عليه السلام» خمس وعشرين مرة، ولقبه «المسيح» عشرة مرات فى حين لم يرد اسم «محمد ﷺ» سوى أربع مرات، واسم «أحمد» مرة واحدة، فلو كان القرآن من وضع محمد ﷺ لأكثر من ذكر اسمه فى القرآن ليزيد ذكره عن باقى الأنبياء أو على الأقل ليتساوى معهم.

ولو كان القرآن كلام محمد ﷺ لذكر به اسم فاطمة ، ابنته وقرة عينه، ولذكر اسم خديجة زوجته، ولذكر اسم أبو طالب، ولما هاجم عمه أو لهب، ولكن كل هذا لم يحدث، وقد أنزل الله تعالى فى شأن أبى لهب: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾(1).

ولو كان القرآن كلام محمد ﷺ ما سجل القرآن على النبى ﷺ من أخطاء فى بعض اجتهاداته ومن عتاب تحس تارة بلطفه وأخرى بعنفه مثل قوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾(2).

وقوله جل شأنه: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(3). وقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(4).

فلو كان هذا التنزيل كلامه ﷺ ما سمح أن يسجل على نفسه ذلك العتاب كله.

(1) المسد: 7.

(2) التوبة: 43.

(3) الأنفال: 67, 68.

(4) التحريم: 7.

وكل من أوتى حظاً من حسن البيان وذوق البلاغة لابد أن يفرق بين أسلوب القرآن وغيره من الأساليب فرقاً كبيراً يمثل ذلك الفرق الكبير بين مقدور الخالق ومقدور المخلوق، فلا يزال القرآن والحديث قائمين بيننا يناديان فى الناس بهذا الفرق البعيد إن كان لهم إحساس فى البيان أو ذوق فى الكلام[1].

ولو كان القرآن قول بشر لما تحدى به الله سبحانه وتعالى العرب، وهم أفصح الناس، وقد وصلوا فى وقت البعثة إلى أعلى درجات الفصاحة والبيان، ومع ذلك لم يقدرون على التحدى يقول الله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[2].

ويقول جل شأنه: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[3].

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[4]ولم تأت لنا المصادر التاريخية بأن العرب قد أتوا ولو بآية واحدة على نسق النصوص القرآنية.

وقد روى إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش وكان ذا سنٍّ فيهم، وقد حضر الموسم، فقال لهم: يامعشر قريش، إنه قد حضر هذا الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا (يعنى محمد ﷺ) فاجمعوا فيه رأياً واحداً ، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا، فقالوا: نقول:

---

(1) شبهات مزعومة حول القرآن – ص 50.

(2) يونس: 38.

(3) البقرة: 23 - 24.

(4) الإسراء: 88.

كاهن، قال: لا والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه قالوا: فنقول: مجنون، قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، قالوا: نقول: شاعر، قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله رَجَزَه وهَزَجَه وقَريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر، قالوا: فنقول: ساحر، قال: ما هو بساحر، قالوا فما نقول؟ قال: والله إن لقوله لحلاوة وإن أصله لعذق وإن فروعة لجناة[1].

وعندما ذهب إليه عتبة بن ربيعة ليفاوضه على الكف من الدعوة قال له الرسول ﷺ: «أقد أفرغت يا أبا الوليد»؟ قال: نعم، قال: «فاستمع منى» قال: أفعل، قال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ* حم ① تَنزِيلٌ مِنْ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ② كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ③ بَشِيراً وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ ④ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾[2] ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه. . ثم قال: «قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك» فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به، فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبو الوليد؟ قال: ورائى أنى سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة. . »[3].

وقد أنكر البعض الوحى فيما يجدونه من الأخبار الماضية والمستقبلة فى القرآن الكريم، فزعموا أن محمداً ﷺ قد تلقى هذه الأخبار من بعض أهل الكتاب كورقة بن نوفل وبحيرى الراهب ويهود المدينة.

(1) بتصرف يسير من سيرة ابن هشام - جـ 1ص، 136.

(2) فصلت: 1 - 5.

(3) سيرة ابن هشام جـ 1 ص 147 , 148.

ونجد أنه من الأحـرى عرض الروايات التـاريخيـة التى جاءت فى شـأن لقاءات الرسول ﷺ مع بحـيرى الراهب وورقة بن نوفل، ومـوقف يهود المدينة منه ﷺ، وذلك حتى يكون ردنا موثق لا مجرد أقوال مرسلة.

فبالنسبة لبحيرى الراهب روى أن أبا طالب خرج فى ركب تاجراً إلى الشام، فلما تهـيأ لـلرحيل وأجـمع المسـيـر تعلق به رسـول الله ﷺ، فرَقَّ له، وقـال: والله لأخرجن به معى، ولا يفـارقنى ولا أفارقه أبداً، فخرج به مـعه، فلما نزل الركب بُصْرَى من أرض الشام، وبها راهب يقال له بحيـرى فى صومعة له، وكان إليه علم أهل النصرانيـة، ولم يزل فى تلك الصومعة كـتاب يتوارثونه كابر عن كـابر، فلما نزلوا ذلك العام بـبحيـرى، وكانوا كثـيراً ما يمـرون به قبل ذلك فـلا يكلمهم ولا يعرض لهم، حتى كـان ذلك العام، فلما نزلوا قريباً من صومـعته رأى رسول الله ﷺ وهو فى صومعته فى الركب حين أقبلوا وغمامة تُظلُّه من بين القوم، ثم أقبلوا فنزلوا فى ظل شجرة قـريباً منه، فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشـجرة وتهصّرت أغصان الشـجرة على رسول الله ﷺ حتى اسـتظل تحتها، فلمـا رأى ذلك بحيرى نزل من صومـعته، ثم أرسـل إليهم، فقـال: إنى قد صنعت لكم طعـاماً يامعـشر قريش، فأنا أحب أن تحضـروا كلكم صغيركم وكبيركم وعـبدكم وحركم، قال له رجل منهم: والله يا بحيرى، إن لك لشأناً اليوم، ما كنت تصنع هذا بنا وقد كنا نمر بك كثيراً!! فما شأنك اليوم؟ فقـال له بحيرى: صدقت، قد كان ما تقول، ولكنكم ضيف وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاماً فـتأكلوا منه كلكم، فاجتمعوا إليه وتخلف رسول الله ﷺ من بين القوم لحداثة سنه - فى رحال القوم تحت الشجرة، فلما نظر بحيرى فى القـوم ولم ير الصفة التى يعرف بها ويجد عنده قـال: يامعشر قريش لا يختلفن أحد منكم عن طعامى، قـالوا له: يابحيرى، ما تخلف عنك أحد

ينبغى له أن يأتيك إلا غلاماً وهو أحدث القـوم سناً فتخلف فى رحالهم، فقال: لا تفعلـوا، ادعوه فليحـضر هذا الطعـام معكم، فـقال رجل من قريـش مع القوم: واللات والعزى إن كان للؤم بنا أن يتخلف ابن عـبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا، ثم قام إليه فـاحتضنه، وأجلسه مع القوم، فلما رآه بحـيرى جعل يلحظه لحظاً شديداً وبنظر إلى أشيـاء من جسده، وقد كان يجدها عنده من صـفته، حتى إذا فرغ القوم من طعامـهم وتفرقوا قام إليه بحيرى فـقال له: ياغلام، أسألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتنى عمـا أسألك عنه، وإنما قال له بحيرى ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما، فقال له رسـول الله ﷺ: «لا تسألنى باللات والعزى شيئاً، فو الله ما أبغضت شيئاً قط بغـضهما» فقال بحيرى: فبالله إلا مـا أخبرتنى عما أسألك عنه، فقال له: «سلنى عـما بدا لك» فجعل يسأله عن أشيـاء من حاله: من نومه، وهيئـته، وأموره، فجـعل رسول الله ﷺ يخبره، فـيوافق ذلك ماعند بحـيرى من صفته، ثم نظر إلى ظهره فـرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضـعه من صفته التى عنده. فلما فـرغ أقبل على عمه أبـى طالب فقال له: ما هذا الغـلام منك؟ قال: ابنى، قال له بحيرى: ما هو بابنك، وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أباه حياً، قال: فإنه ابـن أخى، قال: فمـا فعل أبوه؟ قـال: مات وأمـه حُبْلى به، قـال: صدقت فارجع بابن أخيك إلى بلـده، واحذر عليه يهود، فوالله لئن رأوْه، وعـرفوا منه ما عرفت ليَبْـغُنَّهُ شراً، فإنه كائن لابن أخيك هذا شـأن عظيم، فأسرع به إلى بلاده، فخرج به عمه أبو طالب سريعاً حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته إلى الشام[1].

وروى [2] أنه لما خرج ﷺ مع ميـسرة غلام خديجـة - رضى الله عنهما - فى تجارة لها إلى الشـام أنه - ﷺ - نزل فى ظل شجرة قريباً من صـومعة راهب من

(1) انظر فى هذا الخبر - السيرة النبوية لابن هشام - جـ 1 ص94, 95 .

(2) بتصرف يسير من سيرة ابن هشام - جـ 1 صفحات 97, 98, 99, 123.

الرهبان، فاطّلع الراهب إلى ميسرة، فقال له: من هذا الرجل الذى نزل تحت هذه الشجرة؟ قال له ميسرة: هذا رجل من قريش من أهل الحرم، قال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبى.

ثم باع رسول الله ﷺ سلعته التى خرج بها، واشترى ما أراد أن يشترى، ثم أقبل قافلاً إلى مكة ومعه ميسرة، فلما قدم مكة على خديجة بمالها، حدثها ميسرة عن قول الراهب، فأخبرت خديجة ورقة بن نوفل - وكان ابن عمها، وكان نصرانياً قد تتبع الكتب وعلم من علم الناس - أخبرته ما ذكر لها غلامها ميسرة من قول الراهب، فقال ورقة: لئن كان هذا حقاً يا خديجة إن محمداً لنبى هذه الأمة، وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبى ينتظر، هذا زمانه.

ولما جاءه ﷺ جبريل فى غار حراء وحدّث خديجة بما رأى أخبرت ورقة بن نوفل فقال: قدوس قدوس، والذى نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتينى يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى، وإنه لنبى هذه الأمة، فقولى له فليثبت، فرجعت خديجة إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بقول ورقة بن نوفل.

ولقيه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالكعبة، فقال: يا ابن أخى، أخبرنى بما رأيت وسمعت، فأخبره رسول الله ﷺ، فقال له ورقة: والذى نفسى بيده إنك لنبى هذه الأمة، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذى جاء موسى؛ ولتكذبن، ولتؤذين، ولتخرجن، ولتقاتلن، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصراً يعلمه، ثم أدنى رأسه منه فقبل يأفوخه، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله.

ومن جماع الروايات السابقة نجد أن رسول الله ﷺ لم يلتق ببحيرى الراهب سوى مرة واحدة فى صباه، ولم يلتق سوى مرة واحدة بورقة بن نوفل عند

الكعبة، فـهل ياترى تعلم رسول الله ﷺ منهما فى هذه المـرة كل ما أتى به القرآن من أنباء الغيب؟! فتأمل.

أما عن يهود المدينة وعدائهم لرسول الله ﷺ فحدث ولاحرج، فقد كانوا أشد عدواة له من عدواتهم لعيسى بن مريم عليه السلام وقد حاولوا قتله أكثر من مرة، وحزبوا عليه الأحزاب، وتحـالفوا مع أعدائه من المشركين فهل يعلمـونه شيئاً وهم على هذه الحال؟! أجب أنت أيها القارىء العزيز.

* * * *

الفصل الثانى
شبهات توهم بالتناقض فى القرآن

عرض الشبهات:

فى إطار الحديث عن التناقض فى الكتاب المقدس، يسـأله مقدم البرنامج: هناك سؤال يذكر أنه فى سفر الملوك الثانى الأصحاح الثامن عدد 26 ذكر أن أخزيا الملك كان ابن 22 سنة، وفى سفر أخبار الأيام الثانى إصحاح 22 عدد 2 ذكر أنه كان ابن 42 سنة، فيبدو أنه هناك تناقض فى هذه الأيات[1].

- **القـمص**: من يقـرأ يقـول أن هذه أعـداد، والظاهر أن هنـاك تناقض، لكن الدراسة المتأنية المتعمقة تثبت عكس هذا الكلام، لأن لو كان الكتاب المقدس محرف كان من السهل أنهم يصلحـوا الأشياء التى تبدو أنها متناقـضة، فرغم هذا التناقض الظاهرى إلا أنها تثبت صحة الكتاب المقدس، كيف؟

ويبدأ القمص فى عرض النصوص: «**كان أخزيا ابن اثنتين وعشرين سنة حين ملك، وملك سنـة واحدة فـى أورشليم، واسم أمـه عَـثَلْيـا بنت عُـمْـرِى ملك اسرائيل**»[2].

والنص الثـانى: «**كـان أخـزيا ابن اثنتين وأربعين سنة حين مـلك، وملك سنة واحدة فى أورشليم واسم أمه عثَلْيـا بنت عُمْرِى، وهو أيضاً سلك فى طريق بيت أخاب لأن أمه كانت تشير عليه بفعل الشر**»[3].

---

(1) حلقة 33.

(2) ملوك ثانى 8 :26.

(3) أخبار الأيام الثانى 22 :2 - 3.

ويشرح القمص النصين: الحقيقة أن عُمر أخزيا كان 22 سنة لأن أبوه كان عمره حين ملك 32 سنة وملك 8 سنوات (ملوك ثانى 8 عدد 17) فيكون عمر أبوه 40 سنة وغير ممكن أن يكون عمر ابنه 42 سنة، إذن أخزيا كان عمره 22 سنة، ويضيف القمص: لاحظ أنه لم يقل كان عمره، ولكن قال ابن 42 سنة إلا أن المفسرين قالوا أنه كان ابن 42 سنة بمعنى بلاغى مجازى؛ لأن أمه هى التى كانت تحكم وتشير عليه، وكانت مالكة على الأرض، فالملك الفعلى للأم، فسفر الملوك الثانى أشار بكناية وتورية إلى أنه ليس هو الملك، لكن الملك الحقيقى كان أمه وكان عمرها 42 سنة.

وفى موضع آخر[1] يسأله مقدم البرنامج: تكلم الشيخ ديدات أن هناك تناقض بين ما جاء عن المعركة بين النبى داود وشوبك وهى مذكورة فى صموئيل الثانى وأخبار الأيام أيضاً، فهل لك أن تلقى ظلال النور على هذا الموضوع؟

- **القمص**: أصمد ديدات أخذ هذا عن كتاب إظهار الحق لرحمة الله الهندى، وما جاء فى سفر صموئيل الثانى 10 :18 **«وهرب آرام من أمام إسرائيل وقتل داود من آرام سبع مائة مركبة وأربعين ألف فارس وضرب شوبك رئيس جيشه فمات»** وفى أخبار الأيام الأول اصحاح 19 عدد 18 قال: **«وهرب آرام من أمام إسرائيل وقتل داود من آرام سبعة آلاف مركبة وأربعين ألف راجل وقتل شوبك رئيس الجيش»**.

إذن يوجد سبع مائة وسبعة آلاف، ويوجد فارس وراجل يعنى مشاه، وعدم التدقيق فى تعبيرات الكتاب المقدس يسقط الإنسان فى ورطة، فهل المركبة الحديدية تُقتل **«وقتل داود.. سبع مائة مركبة»** فهذا يعنى الناس الذين فى المركبة، فذلك

(1) حلقة: 93

كناية عن الذين هم فى داخل المركبة الحديدية، فهذا تعبير بلاغى، ويقصد عدد الرجال الذين فى المركبة، وكان عدد الرجال فى كل مركبة كما يفسرها أخبار الأيام عشر رجال، فيكون المجموع سبعة ألاف شخص، ذكرت مرة كناية إلى (المركبات) ومرة كناية إلى الأشخاص الذين داخل المركبة.

والنقطة الثانية (فى النصين السابقين) أربعون ألف فارس والثانى أربعون ألف راجل، فهل هم فرسان أم مشاه؟ وهذا ينم عن جهل كبير جداً للشيخ ديدات عن فهم استراتيجية المعارك؛ فقد قُتل رئيس الجيش، فهل الجيش هرب، والذى يهرب يخاف أن يركب الحصان، فيختبئ فى الكهوف مثلما حدث فى معركة أُحد، فكذلك هؤلاء الفرسان عندما مات القائد تركوا الخيول وأصبحوا مشاه، فكانوا فرسان ثم ترجلوا وأصبحوا مشاه.

ويضيف القمص: أن ديدات ذكر أن سليمان قيل عنه فى سفر أخبار الأيام إنه كان لديه **أربعة آلاف مذود** وفى أخبار الملوك الأول كان لديه **أربعون ألف مذود،** فهى خيول تأكل على المذود، وهذا ليس به تناقض - على حد تعبير القمص - لأن سليمان حكم أربعين سنة فالإحصاء الأول كان على أن كل عشر خيول كانوا يأكلوا فى مذود، ولما اتسعت المملكة عمل لكل حصان مذود، فكانت المذاود فى الأول أربعة آلاف ثم أصبحت أربعون ألف. لكن هذه تغطية لتناقضات القرآن والأحاديث النبوية.

- **مقدم البرنامج:** هل لديك مثال أو برهان على ذلك؟

- ا**لقمص:** هناك أمثلة كثيرة، **أولاً:** خلقه السماء والأرض، فهل السماء خُلقت أولاً بحسب نص القرآن، أم الأرض خلقت أولاً بحسب نص القرآن؟ فى سورة البقرة آية 29: **﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى**

﴿السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ ثم استوى إلى السماء، إذن خلق الأرض أولاً ثم خلق السماء، ولكـن فى سورة النازعات أية 27 إلى 32 يقول: ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ ودحاها أى بسطها، ففى هذه الأية بنى السماء فى الأول، فماذا حدث، السماء الأول أم الأرض؟

- **مقدم البرنامج:** هل لديك أى شيء أخر عن خلق السماء والأرض؟

- **القمص:** عدد الأيام التى خُلقت فيها السماء والأرض(1)، ففى سورة الأعراف 54، ويونس 3، وهود 7، والفرقان 59، والسجدة 4، وق 38، والحديد أية 4، سبع آيات فى سبع سور مختلفة تقول أن الله خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام، لكن فى سورة فصلت من الآية 9 إلى 12 يقول ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.

فهنا الأرض يومين، أقواتها أربعة والسماء يومين فيكون المجموع ثمانية أيام، والأيات السابقة صريحة فى ستة أيام. حاجات غريبة الشأن جداً.

مقدم البرنامج: هناك تناقض ثالث هو وجود قصة عن حدث واحد عن موسى، فهل لك أن تلقى الضوء؟

---

(1) عرض القمص زكريا بطرس هذه الشبهة فى حلقتى 33، 93.

القمص: قصة موسى وردت فى ثلاث سور: النمل أية 7، 8، والقصص آية 29، 30، وطه آيات 9 :12، وفى كل سورة ذكرت هذه القصة مختلفة تماماً؛ ففى سورة طه يقول: **﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾**[1] وهذا الكلام لا يوجد فى سورة القصص أو سورة النمل، فهل نساها أم نُسخت؟! وفى سورة القصص يقول: **﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾**[2] ولا توجد فى سورة طه ولا النمل، وفى سورة القصص يقول: **﴿آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾**[3] وفى سورة طه يغير الكلام ويقول: **﴿إِذْ رَأَىٰ نَارًا﴾**[4] وفى سورة النمل لم يذكرها. والقصة تتكامل فى سورة النمل **﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لأَهْلِهِ﴾**[5] وفى سورة القصص: **﴿قَالَ لأَهْلِهِ﴾**[6] بدون «إذ» أليس هذا كلام موجود باللوح المحفوظ، فهل اللوح المحفوظ يتغير؟! وفى سورة النمل: **﴿سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾**[7] وفى سورة القصص: **﴿لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾**[8] ولم يذكر فى سورة طه. وفى سورة طه: **﴿لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾**[9] وفى سورة النمل: **﴿أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾**[10] أتيكم أم لعلى آتيكم، وفى سورة القصص: **﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ﴾**[11] لا موجودة فى النمل ولا موجودة فى طه ذكرت فى القصص فقط، فهل جبريل نسى من آية لآية؟!

وفى سورة النمل: **﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ﴾**[12] وفى القصص تغيرت: **﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ﴾**[13] وفى سورة طه: **﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ﴾**[14] ويقولوا أنه فى لوح محفوظ!!

---

(1) آية : 9. (2) (3) آية : 29.
(4) آية : 10. (5) آية : 7. (6) آية : 29.
(7) أية : 7. (8) آية : 29. (9) آية : 10.
(8) آية : 29. (9) آية : 10. (10) آية : 7.
(11) آية : 29. (12) آية : 8. (13) آية : 30.
(14) آية : 11.

مقدم البرنامج: هل لديك مزيد من الأمثلة؟

القمص: جواب قوم لوط فى سورة الأعراف: **﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾**[1] وفى سورة العنكبوت يغير الكلام: **﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ﴾**[2] فكيف يخرجوا من قريتهم وكيف يأتيهم بعذاب الله؟ أليس هذا فى لوح محفوظ؟

مقدم البرنامج: هل لديك مثال أخير تتكلم عن الفحشاء؟

القمص: فى سورة البقرة آية 168، 169 **﴿وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ﴾** إذن الشيطان يأمر بالسوء والفحشاء، وفى سورة الأعراف آية 28: **﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾** وفى سورة الإسراء آية 16: **﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾** أليس الفسق هو الفحشاء، فهل الله يأمر بالفسق؟!

وفى موضع آخر[3] يقول القمص: ما رأى أحمد ديدات فى هذه المقابلة البسيطة، فى سورة السجدة آية 5: **﴿يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾** الإمام النسفى يفسر ذلك بأنه يوم القيامة، وفى سورة المعارج آية 4 يقول: **﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾**[4] والإمام النفسى يقول إنه يوم القيامة. إذن، يوم القيامة ألف أم خمسين ألف؟ فالمفروض أن يعطى أحمد ديدات تفسيرات للاختلافات الموجودة فى القرآن بين هذه الأيام.

---

(1) آية: 82.

(2) آية: 29.

(3) حلقة: 33.

(4) القمص تعمد عدم ذكر الأيتان فى سورتى السجدة والمعارج بصورة كاملة حتى لا يتضح السياق الكامل ويرتفع التناقض، وهذا هو إسلوبه ومنهجه الذى يسير عليه.

- الرد على الشبهات:

- أولاً: الرد على الشبهات التى توهم التناقض فى القرآن الكريم:

1 - خلق الأرض والسماء أيهما تقدم:

يحاول القمص زكريا بطرس فى هذا المقام أن يوهم المشاهد بوجود تناقض فى القرآن حول خلق السموات والأرض وأيهما خلق أولاً، وقبل أن نشرع فى نفى الشبهة علينا بذكر النصوص أولاً.

يقول الله سبحانه وتعالى فى سورة البقرة: **﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾**(1)
ويقول سبحانه وتعالى فى سورة فصلت: **﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾**(2)
ويقول جل شأنه فى سورة النازعات: **﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾**(3).

وبمجرد النظر إلى النصوص السابقة نجد أنه لا تعارض ولا تناقض، ففى النص الأول يقول تعالى: **﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ﴾** وفى النص الثانى يقول جل شأنه: **﴿خَلَقَ الأَرْضَ﴾** وفى الثالث يقول عز من قائل: **﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾**

---

(1) آية: 29.

(2) آيات: 9 :11.

(3) آيات: 27 :30.

والدحو (يعنى البسط) غير الخلق، فخلق الأرض كان قبل خلق السماء ولكن دحوها كان بعد خلق السماء أما القمص فيريد أن يجعل «الخلق» و«الدحو» مترادفين.

فالله سبحانه وتعالى بدأ خلق الأرض فى يومين غير مدحوة ثم خلق السماء فسواها فى يومين ثم دحا الأرض بعد ذلك وجعل فيها الرواسى وغيرها فى يومين، فتلك أربعة أيام للأرض[1].

2 - عدد أيام خلق الأرض والسماء:

وهمٌ جديد يثور فى ذهن القمص زكريا بطرس بشأن التناقض المزعوم فى أيات القرآن، وتحديداً فيما يخص عدد الأيام التى خلق فيها الله سبحانه وتعالى السموات والأرض، فقد أخبرنا القرآن الكريم فى أكثر من موضع أن الله تعالى جلت قدرته قد خلق السموات والأرض فى ستة أيام، أذكر منها قوله تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ**﴾[2] ويزعم القمص أن هناك تعارض بين هذه الآيات التى تقول بخلق السموات والأرض فى ستة أيام، وبين آيات سورة فصلت حيث يقول جل وعلا: ﴿**قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**﴾[3] ويعلق القمص على

---

(1) ا بن حجر العسقلانى - فتح البارى - جـ8 - ص 55، والإتقان فى علوم القرآن للسيوطى - جـ3 - ص 81.

(2) الأعراف: 54، ويونس: 3.

(3) فصلت: 9 - 12.

هذه الآيات الكريمات بقـوله: إن الله خلق الأرض فى يومين، وأقـواتها فى أربعـة أيام، والسماء فى يومين فيكون المجوع ثمـانية أيام مع أن المتواتر أن خلق السموات والأرض كان فى ستة أيام، وهذا تناقض.

والرد على ما ادعاه القمص فى غـاية اليسر؛ فقوله: ﴿**خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ**﴾ والنص واضح أن الخلق فى يومين، وقوله: ﴿**وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا**﴾ أى جعلها مباركة قابلة للخـير والبذر والغراس، وقدر فيها أقواتها وهو ما يحتاج أهلها إليه من الأرزاق والأماكن التى تزرع وتغرس وهذا أيضاً تم فى يومين، وهما مع اليومين السابقين أربعة أيام(1). ومثاله قول القائل: خرجت من البصرة إلـى بغداد فى عشرة أيام، وإلى الكوفـة فى خمسة عشـر يوماً أى فى تتمة خمسـة عشر يوماً(2) فتكون المسافة من بغداد إلـى الكوفة خمسة أيام، وهذا مشهور فى لغة العرب.

من السهل على القمص أن يرجع إلى كـتب التفسير الموجودة بالحـاشية إذا كان هدفه الوصول إلى الحـقيقة، ولكنه لا يرجع إلى هذه الكتب إلا إذا وجـد ما يخدم غرضه التضليلى، أما قول الحق فبينه وبين القمص عداء واضح.

3 - مقدار اليوم عند الله سبحانه وتعالى:

يتسـاءل القمص زكريا بطرس، هل الـيوم عند الله ألف سنة أم خمـسون ألف سنة، ويدعى أن نصوص القرآن مضطربة - وحاشا لله - فى هذا الشأن، وقبل أن نرد على القمص يكون حرى بنا أن نعرض أولاً للنصوص الواردة فى هذا الشأن.

يقول سـبحانه وتعـالى فى سورة الحج آية 47: ﴿**وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ**﴾ ويقول جل شأنه فى

---

(1) تفسير ابن كثير للآيات 9 - 12 من سورة فصلت.

(2) تفسير القرطبى للآيات السابقة.

سورة السجدة آية 5: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ ويقول جل وعلا فى سورة المعارج آية 4: ﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾.

ففى سورة الحج يخبر الله سبحانه وتعالى من يستعجل العذاب أن العذاب فى الآخرة يأتيهم أيام طويلة، وهذا وعيد لهم بامتداد عذابهم فى الآخرة، أى يوم من أيام عذابهم فى الأخرة ألف سنة، وقيل: المعنى أن يوماً فى الخوف والشدة فى الآخرة كألف سنة من سنى الدنيا فيها خوف وشدة[1]. وذلك كقول القائل مرت الأيام علىّ كالسنين أو كالدهر.

- أما اليوم فى سورة السجدة فهو اليوم الذى يدبر فيه الله سبحانه وتعالى الأمر من السماء إلى الأرض ثم عروجه إليه، فهذا اليوم كذلك مقداره ألف سنة من سنى الدنيا.

- أما فى سورة المعارج فالله سبحانه وتعالى يخبرنا أن عروج الملائكة إليه فى يوم مقداره خمسين ألف سنة.

واضح إذن أن الأحداث التى أخبرنا بها الله سبحانه وتعالى فى الآيات الثلاث إنما هى أحداث مختلفة، كل منها يستغرق زمنا قدره الله سبحانه وتعالى، فهو خالق الزمن وخالق كل شىء، إنما أراد الله سبحانه وتعالى أن يقرب لنا الصورة بمقاييس الدنيا التى نعرفها، ومن الواضح إنه لا تناقض ولا اختلاف فى هذه الآيات - ولا فى القرآن الكريم برمته - ولكن ما يفعله القمص زكريا بطرس - عمداً - هو الخلط بين كلام الله سبحانه وتعالى وبين أقوال المفسرين ليوهم المشاهد بوجود التناقض، لكن فارق كبير بين كلام الله وأقوال البشر.

(1) تفسير القرطبى للآية 47 من سورة الحج.

4 - الله لا يأمر بالفسق:

حاول القمص فى هذا الصدد أن يوهم المشاهد بأن الله سبحانه وتعالى يأمر بالفسق - وحاشاه - فى القرآن الكريم، وأورد قوله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾**[1] وقوله جل شأنه: **﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾**[2] والجواب فى غاية اليسر، فالأولى فى الأمر الشرعى، بمعنى أن أوامر الله الشرعية تخلو من أى فحشاء، والثانية فى الأمر الكونى بمعنى القضاء والتقدير.

ولم يكن للقمص زكريا بطرس أن يورد مثل هذا الاعتراض، لأن كتابه المقدس ملئ به[3]؛ ففى الأصحاح الرابع عدد 21 من سفر الخروج هكذا: **«وقال الرب لموسى عندما تذهب لترجع إلى مصر انظر جميع العجائب التى جعلتها فى يدك واصنعها قدام فرعون. ولكنى أشدد قلبه حتى لا يُطلق الشعب»**.

وفى الأصحاح السابع عدد 3 من نفس السفر: **«ولكنى أقسى قلب فرعون»** وفى الإصحاح الحادى عشر عدد 10 من نفس السفر: **«ولكن شدد الرب قلب فرعون فلم يطلق بنى إسرائيل من أرضه»**. فيظهر من هذه النصوص أن الله هو الذى قسى قلب فرعون حتى لا يطلق بنى إسرائيل.

وفى الإصحاح السادس من سفر أشعياء عدد 10: **«غلظ قلب هذا الشعب وثقل أذنيه واطمس عينيه لئلا يبصر بعينيه ويسمع بأذنيه ويفهم بقلبه ويرجع فيشفى»**.

وفى سفر حزقيال الأصحاح الرابع عشر عدد 9: **«فإذا ضل النبى وتكلم كلاماً فأنا الرب قد أضللت ذلك النبى وسأمد يدى عليه وأبيده من وسط شعبى إسرائيل»**.

---

(1) الأعراف: 28.

(2) الإسراء: 16.

(3) حول هذه النصوص انظر إظهار الحق لرحمت الله الهندى - جـ2 ص 113 وما بعدها.

وفى الإصحاح الثانى عشر عدد 39 - 40 من إنجيل يوحنا: **«لهذا لم يقدروا أن يؤمنوا لأن إشعياء قال أيضاً قد أعمى عيونهم وأغلظ قلوبهم لئلا يبصروا بعيونهم ويشعروا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم»**.

وفى الأصحاح الثانى عدد 11 من الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيكى: **«ولأجل هذا - أى لعدم قبولهم محبة الحق - سيرسل إليهم الله عمل الضلال حتى يصدقوا الكذب. لكى يدان جميع الذين لم يصدقوا الحق بل سروا بالإثم»**.

وبعد عرض هذه النصوص من الكتاب المقدس، تلك النصوص التى تقول بأن الله قدر الضلال، وأعمى العيون وأغلظ القلوب، بعد هذا نسأل القمص زكريا بطرس لما جادلت فى هذا الأمر قبل أن تعلم ما يسطره كتابك المقدس؟! ومن ناحيتنا قدمنا الرد، فهل عندك من رد على ما جاء بالكتاب المقدس؟!

5 - قصة موسى - عليه السلام - فى القرآن:

رأينا أن القمص حاول أن يوهم المشاهد بأن قصة موسى - عليه السلام - جاءت فى القرآن فى مواضع عدة بينها كثير من التناقض - على حد تعبيره - وقد عرضنا ما ادعاه القمص من اختلافات، وحتى تستقيم الصورة علينا بعرض النصوص القرآنية فى هذا الشأن. يقول الله سبحانه وتعالى فى سورة طه آيات 9 - 12:

﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿٩﴾ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾.

ويقول جل شأنه فى سورة النمل آيات 7 - 9: **﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾**.

ويقول جل وعلا فى سورة القصص آيات 29 - 30: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

والنصوص الثلاثة ليس بينها أى تناقض أو اختلاف، ويتضح ذلك لكل ذى لب بغير حاجة إلى توضيح أو تعليق، ولكن القمص أرهق نفسه يعرض كلمات ذكرت فى نص دون الآخر وادعى أن ذلك من قبيل التناقض، وسأضرب للقارئ مثال بسيط، فأنت حينما تخبر أحد الناس بقولك: ذهبت إلى فلان فى الساعة الرابعة، وأخبرت آخر بقولك: ذهبت لزيارة فلان فى الرابعة. فأى تناقض بين الخبرين؟ بالطبع لا يوجد تناقض، ولكن كل ما فى الأمر أنك أخبرت الخبر بأسلوبين مختلفين، والخبران حقيقيان، والمثل الأعلى لرب العزة سبحانه وتعالى.

فهل أراد القمص زكريا بطرس أن يخبرنا الله بقصة موسى فى أكثر من موضع بنفس الألفاظ، وبلا أى تغيير فى التركيب وإلا كان الكلام متناقضاً؟!

ونسأل القمص: لماذا لم تذكر لنا أى تناقض فى معنى مدلول الآيات التى اقتبستها؟! وهل الخلاف فى الأسلوب يعنى التناقض والاختلاف؟! ما أضعف الباطل.

وعلى كل حال فإن فى تكرار القصص الكثير من الفوائد[1] نذكر منها:

1 - إن فى كل موضع زيادة شيء لم يذكر الذى قبله، أو إبدال كلمة بأخرى لنكتة، وهذه عادة البلغاء.

2 - ومنها أن فى إبراز الكلام الواحد فى فنون كثيرة وأساليب مختلفة مالايخفى من الفصاحة.

---

(1) حول هذه الفوائد انظر: الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى - جـ3 - ص 204 وما بعدها.

3 - ومنها أنه تعـالى أنزل هذا القرآن، وعجز القـوم عن الإتيان بمثله، بأى نظم جاءوا، ثم أوضح الأمر فى عـجزهم؛ بأن كرر ذكر القـصة فى مواضع، إعلاماً بأنهم عـاجزون عن الإتيان بمثله، أى بأى نظم جـاءوا، وبأى عبارة عبروا.

4 - ومنها أن القـصة لما كررت كان فى ألفـاظها فى كل موضع زيادة ونقـصان وتقديم وتـأخير، وأتت عـلى أسلوب غيـر أسلوب الأخرى، فـأفاد ذلك ظهور الأمـر العجيب فى إخراج المعنى الـواحد فى صور متـباينة فى النّظْم وجذب النفـوس إلى سماعـها لما جُبِلت عليه من حب التنقل فى الأشـياء المتجددة واستلذاذها بها، وإظهار خاصة القرآن حيث لم يحصل مع التكرير ذلك فـيـه هُجْنه فى اللفظ، ولا ملل عند سـمـاعـه، فبـاين ذلك كـلام المخلوقين.

وكلمة أخيرة أقـولها للقمص بعد دفع الشبهات المـزعومة فى شأن التناقض فى القرآن، أقول: اعلم **أن هذا القرآن نزل على رسول الله ﷺ بحضرة رجال، وبين ظهرانى قوم كانوا أحرص الخلق على أن يجدوا فيه مغمزاً أو عليه مطعناً، وكانوا أعلم منى ومنك باللغة العربيـة وأسرارها، وبلغوا حداً من الفصاحـة والبلاغة لم ولن يبلغه قوم مـثلهم، فلو كان ما اقتبـسته من نصوص القرآن به شـبهة تناقض لتـعلقوا به، وأسـرعوا بالرد عليـه، ولسطرت لنا الكتب مطاعنهم، ولكن الـقوم علموا وجهلت، ولم ينكروا منه ما أنكرت. وفى هذا الكفاية.**

ثانياً: التناقض والاختلاف فى الكتاب المقدس:

بعد أن قمنا بدفع الشبهات التى أثارها القمص زكريا بطرس فى شأن التناقض فى القرآن الكريم، وبعد بيان كذب ما ادعاه القمص يكون حرى بنا أن نعرض للنصوص التى تثبت وقوع التناقض والاختلاف فى الكتاب المقدس، وسنبدأ أولاً بعرض النصوص التى قام القمص بالرد عليها، لنوضح مدى ضعف الرد ووهن الحجج التى احتج بها لدفع التناقض. وتعقب ذلك بعرض نصوص أخرى لم يتعرض لها القمص.

1 - عُمْر أخزيا:

التناقض والاختلاف واضح فى شأن تحديد عمر أخزيا عندما تولى الحكم، ففى سفر الملوك الثانى أصحاح 8 عدد 26 هكذا: **«كان أخزيا ابن اثنتين وعشرين سنة حين ملك، وملك سنة واحدة فى أورشليم، واسم أمه عَثَلْيَا بنت عُمْرِى ملك إسرائيل»**.

والنص الثانى الذى تعرض لنفس المسألة فى سفر أخبار الأيام الثانى أصحاح 22 عدد 2 - 3: **«كان أخزيا ابن اثنتين وأربعين سنة حين ملك، وملك سنة واحدة فى أورشليم واسم آمه عثليا بنت عمرى»**.

وقد قال القمص بصحة النص الأول يقيناً لأن القول بصحة النص الثانى يجعل أخزيا أكبر من أبيه، وقد دفع هذا التناقض بقوله: لاحظ أن النص الثانى لم يقل عمره، ولكن قال: ابن 42 سنة، وقال أن المعنى بلاغى، لأن أمه هى التى كانت تحكم وتشير عليه.. فالملك الحقيقى كان أمه وكان عمرها 42 سنة.

وكلام القمص يحاصره الخطأ من كل جانب، فأولاً: ذكر القمص أن النص الثانى لم يقل كان عُمره كذا ولكن قال ابن 42. لكن يتضح لنا بمراجعة النص الأول

أنه قال: ابن 22 سنة ولم يقل عمـره، فالنصين متطابقين فى هذه النقطة ولا مـجال للقول بأن الإسلوب مجازى.

وثانياً: أين هو النص الذى توصل من خلاله القمص إلى عـمر عثليا أم أخزيا، فنصوص الكتاب المقدس لم تذكره، أم هو مجرد تخمين من القمص.

وثالثاً: نسأل القمص، هل عندما يشير أحد الناس على صاحبه أن ننسب مجازاً للثانى عمر الأول؟! وإذا أشار أكثر من مشير على نفس الشخص، فأى عُمْر ننسبه لهذا الشخص؟! وفى حقيقة الأمر نجد أن أخزيا كان له أكثر من مشير، فباقى النص فى سفر أخبـار الأيام الثانى يقول: «.. **واسم أمه عثليا بـنت عمرى، وهو أيضاً سلك فى طريق بيت أخاب لأن أمه كانت تشير عليه بفعل الشر، فعمل الشر فى عينى الرب مثل بيت أخاب لأنهم كانوا له مشيرين بعد وفاة أبيه لإبادته»**.

إذن يتضح من النص أنهم جميعهم أشاروا عليه لا أمه فقط.

ورابعاً: نجد أن أمـه لم تكن هى الملك الحقيقى كـما ادعى القمص، لأن النص قال: «أمـه كانت تشيـر..» ولم يقل: كانت تجبـره وتلزمه، ومـعلوم فى اللغة أن الاستـشارة غيـر ملزمة، فهل لمجـرد الاستشـارة نقول أن المعنى بلاغى ومـجازى فاكتسب آخزيا عمر أمه؟! وهذا يكفى لدحض حجج القمص.

2 - المعركة بين داود عليه السلام وشوبك:

النص الأول فى سفر صموئيل الثانى أصـحاح 10 عدد 18: «وهرب آرام من أمام إسرائيل وقتل داود من آرام **سبع مائة مركبة** وأربعين ألف **فارس**..».

والنص الثانى فى سفر أخبار الأيام الأول أصحاح 19 عدد 18: «وهرب آرام من أمام إسرائيل وقتل داود من آرام **سبعة آلاف مركبة** وأربعين ألف **راجل**..».

فالنص الأول يقول: ... سبع مائة مركبـة، والثانى يقول: سبعة آلاف، والنص الأول يقول: فارس، والثانى يقول: راجل.

وقد ذكرنا جواب القمص بأكمله عند عرض الشبهة، ونذكر منه قوله: هل المركبة الحديدية تُقتل؟! فمعنى قوله: **«وقتل داود سبع مائة ألف مركبة»** هذا يعنى وعلى حد تعبير القمص - الناس الذين فى المركبة، فهذا كناية عن الذين هم فى المركبة الحديدية، وذكر أن عدد المركبات سبع مائة فى كل مركبة عشرة رجال، ذكرت مرة كناية إلى المركبات ومرة كناية إلى الأشخاص الذين داخل المركبة وعددهم سبعة آلاف شخص.

نقول للقمص: طالما أن المركبة لا تُقتل، فلماذا قال النص أنه قتل سبع مائة مركبة، وإذا كان النص الأول يشير إلى عدد المركبات، والثانى يشير إلى عدد الأشخاص، فلماذا لم يقل: «سبعة ألاف شخص» وقال: «سبعة آلاف مركبة».

إذنالنصان يتحدثان عن عدد المركبات، وبهذا لا يمكن رفع التناقض بالصورة التى ذكرها القمص كلما ضاقت به الأمور، وهى التعبير البلاغى، والتعبير المجازى.

أما عن الذين قُتلوا هل هم فرسان أم مشاه يقول القمص: الذى يهرب يخاف أن يركب الحصان، فيختبئ فى الكهوف، فتركوا الخيول وأصبحوا مشاه، فكانوا مشاه ثم ترجلوا.

نقول للقمص: وهل جهل النص الأول هذه الحقيقة التى ذكرتها فقال: **«أربعين ألف فارس»**، فهل النص الإلهى لم يصل - على فرض أنه إلهى - لم يصل إلى عبقرية القمص؟!! وهل هرب أربعون ألف فارس؟! وكذلك، هل معنى نزول الفارس من على جواده يجعله من المشاة، ولتوضيح الأمر نضرب مثلاً لنقرب الصورة إلى ذهن القارئ، فلو أن طيار قفز من طائرته أثناء نشوب المعركة، ثم قُتل بعد ذلك، فهل سيحسب من ضمن السلاح الجوى أم من ضمن سلاح المشاة؟! بالطبع سيظل طيار كما هو ولن تتغير صفته، فكفاك سفسطة أيها القمص.

3 - عدد مذاود خيول سليمان عليه السلام:

هناك نصان متعارضان فى شأن عدد مذاود خيول سليمان، النص الأول فى سفر أخبار الأيام الثانى أصحاح 9 عدد 25: **«وكان لسليمان أربعة آلاف مذود خيل ومركبات وإثنا عشر ألف فارس»**.

والنص الثانى فى سفر الملوك الأول أصحاح 4 عدد 26: **«وكان لسليمان أربعون ألف مذود لخيل مركباته وإثنا عشر ألف فارس»**.

وقد قال القمص - كما ذكرنا سلفاً - لدفع هذا التناقض: أن الخيول تأكل على المذود، وأنه لا تناقض؛ لأن سليمان حكم أربعين سنة، فالإحصاء الأول كان على أن كل عشر خيول كانوا يأكلوا فى مذود، ولما اتسعت المملكة عمل لكل حصان مذاود، فكانت المذاود فى الأول أربعة آلاف، ثم أصبحت أربعون ألف.

نقول دحضاً لحجج القمص: هل كان سليمان ينتظر اتساع المملكة ليزيد عدد مذاود الخيل؟! ولما اتسعت المملكة فلماذا لم يزد إلا عدد المذاود فقط ولم يزد عدد الخيول ولا عدد الفرسان الذى قُدِّر فى النصين بإثنا عشر فارس؟! فهل يضحك القمص على المشاهدين أم يضحك على نفسه؟!

4 - عُمْر يهوياكين:

تضاربت نصوص الكتاب المقدس بشأن عُمْر يهوياكين حين تولى الملك، ففى سفر الملوك الثانى الأصحاح 24 عدد 8: **«كان يهوياكين ابن ثمانى عشرة سنة حين ملك وملك ثلاثة أشهر فى أورشليم»**.

وفى سفر أخبار الأيام الثانى أصحاح 36 عدد 9: **«كان يهوياكين ابن ثمانى سنين حين ملك وملك ثلاثة أشهر وعشرة أيام فى أورشليم»**.

والسؤال هنا، هل كان عمر يهوياكين حين ملك ثمانى عشرة أم ثمان سنوات؟! وهل ظل فى الحكم ثلاثة أشهر أم ثلاثة أشهر وعشرة أيام؟!

فهل سيكون جواب القمص أن أمه كانت بنت ثمان عشرة سنة وكانت هى التى تحكم؟! أم أن جوابه أن المعنى بلاغى مجازى؟! وماذا سيكون جوابه عن العشرة أيام الزائدة فى النص الثانى؟!

5 - كلام جاد لداود عليه السلام:

جاء فى سفر صموئيل الثانى أصحاح 24 عدد 13: **«فأتى جاد إلى داود وأخبره وقال له أتأتى عليك سبع سنى جوع فى أرضك أم تهرب ثلاثة أشهر أمام أعدائك وهم يتبعونك أم يكون ثلاثة أيام وباء فى أرضك»**.

وفى سفر أخبار الأيام الأول أصحاح 21 عدد 12: **«فجاء جاد إلى داود وقال: هكذا قال الرب اقبل لنفسك. إما ثلاث سنين جوع أو ثلاثة أشهر هلاك أمام مضايقيك وسيف أعدائك يدركك أو ثلاثة أيام يكون فيها سيف الرب ووباء فى الأرض وملاك الرب يعثو فى كل تخوم إسرائيل»**.

نسأل القمص، هل عدد سنين الجوع سبع سنوات أم ثلاثة سنين؟! أم أن أحدهما حقيقى والآخر بلاغى مجازى؟!!

6 - هل شفى السيد المسيح أعمى واحداً أم أعميين؟!

جاء فى إنجيل متى أن عيسى عليه السلام لما خرج من أريحا وجد أعميين جالسين فى الطريق فشفاهما من العمى، وجاء فى إنجيل مرقس أنه وجد أعمى واحداً اسمه بارتيماوس فشفاه. وإليك النصوص:

إنجيل متى - أصحاح 20 عدد 29 - 33: **«وفيما هم خارجين من أريحا تبعه جمع كثيرة. وإذا أعميان جالسان على الطريق فلما سمعا أن يسوع مجتاز صرخا**

قائلين ارحمنا يا سيـد يا ابن داود. فانتهرهما الجمع ليسكتا فكانـا يصرخان أكثر قائلين ارحمنا يا سـيد يا ابن داود. فوقف يسوع وناداهمـا وقال: ماذا تريدان أن أفعل بكما؟ قالا له: يا سيد أن نفتح أعـيننا. فتحنن يسوع ولمس أعينهما فللوقت أبصرت أعينهما فتبعاه».

أما فى إنجيل مـرقس أصحاح 10 عدد 46 - 52 فهكذا: **«وفيمـا هو خارج من أريحا مع تلاميذه وجـمع غفير كان بارتيماوس الأعمى ابن تيـماوس جالساً على الطريق يستعطى. فلمـا سمع أنه يسوع الناصرى ابتدأ يصـرخ ويقول: يا يسوع يا ابن داود ارحمنى. فـانتهره كـثيرون ليـسكت. فصرخ أكـثر كثـيراً: يا ابن داود ارحمنى. فـوقف يسوع وأمـر أن يُنادى. فنادوا الأعمى قـائلين له ثق. ثم هوَذا يناديك. فطرح رداءه وقام وجاء إلى يسوع. فأجاب يسوع وقال له: ماذا تريد أن أفعل بك؟ فقال له الأعمى: يا سيـدى أن أبصر. فقال له يسوع: اذهب. إيمانك قد شفاك. فللوقت أبصر وتبع يسوع فى الطريق».**

ونسأل القمص: هل المعنى بلاغى ومجازى؟!

7 - هل شفى المسيح عليه السلام مجنوناً واحداً أم أثنيـن؟

جاء فى إنجيل مـتى أن المسيح عليه السلام لما جاء إلى العبـر إلى كورة الجدريين استقـبله مجنونان خارجان من القبور فـشفاهما، وجاء فى إنجـيلى مرقس ولوقا أنه استقبله مجنون واحـد خارجاً من القبر فشفاه، وهذا الحـدث جاء بعد تهدئة المسيح عليه السلام الرياح بإذن الله تعالى، وإليك النصوص:

إنجيل متى أصحاح 8 عدد 28 - 33: **«ولما جاء إلى العبر إلى كـورة الجرجسيين استـقبله مجنونان خـارجان من القبور هائجـان جداً حتى لم يكن أحـد يقدر أن يجتاز من تلك الطريق، وإذا هما قد صـرحا قائلين: ما لنا ولك يا يسوع ابن الله**

أجئت إلى هنا قبل الوقت لتعذبنا؟ وكان بعيداً منهم قطيع خنازير كثيرة ترعى. فالشياطين طلبوا إليه قائلين: إن كنت تخرجنا فأذن لنا أن نذهب إلى قطيع الخنازير. فقال لهم: امضوا، فخرجوا إلى قطيع الخنازير وإذا قطيع الخنازير كله قد اندفع من على الجرف إلى البحر ومات فى المياه. أما الدعاة فهربوا ومضوا إلى المدينة وأخبروا عن كل شىء وعن أمر المجنونين».

وفى إنجيل لوقا أصحاح 8 عدد 26 - 34: **«وساروا إلى كورة الجَدريين التى هى مقابل الجليل. ولما خرج إلى الأرض استقبله رجل من المدينة كان فيه شياطين منذ زمن طويل وكان لا يلبس ثوباً ولا يقيم فى بيت بل فى القبور. فلما رأى يسوع صرخ وخرّ له وقال بصوت عظيم: مالى ولك يا يسوع ابن الله العلى! أطلب منك أن لا تعذبنى. لأنه أمر الروح النجس أن يخرج من الإنسان. لأنه منذ زمان طويل كان يخطفه وقد ربط بسلاسل وقيود محروساً وكان يقطع الربط ويساق من الشيطان إلى البرارى. فسأله يسوع: ما اسمك؟ فقال: لجنون. لأن شياطين كثيرة دخلت فيه. وطلب إليه أن لا يأمرهم بالذهاب إلى الهاوية. وكان هناك قطيع خنازير كثيرة ترعى فى الجبل فطلبوا إليه أن يأذن لهم بالدخول فيها فأذن لهم. فخرجت الشياطين من الإنسان ودخلت فى الخنازير فاندفع القطيع من على الجُرف إلى البحيرة واختنق. فلما رأى الرعاة ما كان هربوا وذهبوا وأخبروا فى المدينة وفى الضياع»**[1].

ونسأل القمص بعد عرض النصين، هل استقبل المسيح عليه السلام مجنوناً واحداً أم اثنين أم ماذا؟!

---

(1) ا لنص الثالث موجود فى إنجيل مرقس الأصحاح الخامس عدد 1 - 15 وهو مشابه إلى حدٍ ما لما جاء فى إنجيل لوقا فارجع إليه.

8 - الذبيح: إسحق أم إسماعيل؟!

نحن كمسلمين نعلم علم اليقين أن ذبيح الله هو إسماعيل عليه السلام، ولكن الكتاب المقدس - وبطريقة مفضوحة - جعل الذبيح هو إسحق عليه السلام، والطريقة مفضوحة، لأن التناقض فى النصوص كان واضحاً للعيان.

جاء فى الأصحاح السادس عشر من سفر التكوين: **«وأما ساراى امرأة أبرام فلم تلد له. وكانت لها جارية مصرية اسمها هاجر. فقالت ساراى لأبرام هوذا الرب قد أمسكنى عن الولادة ادخل على جاريتى لعلى أرزق منها بنين. فسمع أبرام لقول ساراى... فدخل على هاجر فحبلت... وقال لها ملاك الرب: ها أنت حُبلى فتلدين ابنا. وتدعين اسمه إسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك.. فولدت هاجر لأبرام ابنا. ودعا إبرام اسم ابنه الذى ولدته هاجر إسماعيل. كان أبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل لأبرام»**

وجاء بالأصحاح السابع عشر من نفس السفر: **«وقال الله لإبراهيم ساراى امرأتك لا تدعو أسمها ساراى بل اسمها سارة. وأباركما وأعطيك أيضاً منها ابناً.. فسقط إبراهيم على وجهه وضحك.. وقال فى قلبه: هل يولد لابن مئة سنة. وهل تلد سارة وهى بنت تسعين سنة»**.

وجاء بالأصحاح الحادى والعشرين من نفس السفر: **«فحبلت سارة وولدت لإبراهيم ابنا فى شيخوخته. فى الوقت الذى تكلم الله عنه. ودعا إبراهيم اسم ابنه المولود له الذى ولدته سارة إسحاق وختن إبراهيم إسحاق ابنه وهو ابن ثمانية أيام كما أمره الله. وكان إبراهيم ابن مئة سنة حين ولد له اسحاق ابنه»**.

والأن انظر ما جاء بالأصحاح الثانى والعشرين من نفس السفر: **«وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم فقال له: يا إبراهيم: فقال: هأنذا. فقال: خذ**

ابنك وحيدك الذى تحبه إسحاق واذهب إلى أرض المُريَّا وأصعده هناك مُحرقة على أحد الجبال الذى أقول لك» وبعد أن نفذ إبراهيم أمر ربه ناداه ملاك الرب فقال: **«لا تمد يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئاً. لأنى الآن علمت أنك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عنى».**

والتناقض بين النصوص الثلاثة الأولى وبين النص الرابع واضح لامراء فيه، فعندما يقول الله سبحانه وتعالى لإبراهيم ﷺ خذ ابنك وحيدك، فالمقصود به إسماعيل، لأن اسحق لم يكن أبداً وحيداً، لأن النصوص واضحة كل الوضوح فى أن إسماعيل ولد قبل إسحق، فكيف سيكون إسحق وحيداً؟!

وكيف سيكون امتحان إبراهيم ﷺ امتحاناً حقيقياً إذا كان له أكثر من ابن؟! بالطبع لم يكن ذلك بالإمتحان الصعب لأنه سيكون معه ابناً آخر، ولكن لِما كان إبراهيم لم يعلم أن الله سيرزقه بإسحق إلا بعد أن بلغ إسماعيل ثلاث عشرة سنة، فيصح أن امتحان إبراهيم كان قبل مولد إسحق عليه السلام، وقبل أن يعلم أنه سيرزق بابن ثان.

وعلى هذا لو سلمنا أن الابن الوحيد هو إسحق لوجب علينا أن نقول أن اسحق ولِدَ قبل إسماعيل، وهذا لم يقل به أحد، ولو سلمنا أن الابن الوحيد وكما جاء فى النص - هو اسحق لتعارض ذلك مع باقى نصوص الكتاب المقدس. فتأمل باجناب القمص.

فهل الكتاب المقدس به تحريف بزيادة كلمة «إسحق» إلى النص، أم أنه به تناقض بين النصوص؟! اختر ما شئت[1].

---

(1) حول مزيد من الاختلافات والتناقض بين نصوص الكتاب المقدس انظر «إظهار الحق» لرحمت الله الهندى جـ 1 من ص 133 حتى ص 171 حيث أورد 45 إختلافاً بنصوص العهد القديم، و124 إختلافاً بنصوص العهد الجديد، وستجد على صفحات الكتاب الموجود بين يديك المزيد من الإختلافات وسنعرض إليها فى موضعها إن شاء الله.



الفصل الثالث
شبهات حول سورة الكهف
والتفصيلات فى القرآن

عرض الشبهات:

فى معرض التعليق عن ردود د. زغلول النجار على ما أثاره القمص من شبهات وأباطيل حول الإسلام، يسأل مقدم البرنامج[1]: **القرآن ليس به التفصيل التاريخى، فهو جاء خالٍ من التفصيلات.**

القمص: هذا كلام الدكتور النجار، عندما تحدثنا عن الأسكندر ذو القرنين، إذا كان الأمر كذلك، لماذا ذكر القرآن هذه التفصيلات، مثل: زوجات النبى، وقصة زينب بنت جحش ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾[2]، ويعلق القمص: القرآن المفروض إنه من الأزل وفيه اسم زيد، وقصة حفصة فيها تفاصيل[3].

مقدم البرنامج: هل ذكر القرآن تفاصيل لغير محمد؟

القمص: من التفاصيل سورة النمل، والهدهد، والعفريت من آية 18 إلى 40، فكل هذه أليست تفصيلات؟

مقدم البرنامج: قد تكون لهذه الأسماء (النمل والهدهد) معانى روحية.

القمص: ده فيه تفاصيل عن كلب فى سورة الكهف، حتى الكلب فيه تفاصيل، فكيف يقول الدكتور زغلول أن القرآن ليس فيه تفاصيل.

---

(1) حلقة: 105.

(2) الأحزاب: 37.

(3) يقصد ما ورد فى سورة التحريم، وسنوضح تفسير هذه الآيات والمراد منها فى موضع لاحق بهذا الكتاب فى الفصل الخاص بالشبهات المزعومة حول زوجات النبى ﷺ.

مقدم البرنامج: الدكتور زغلول تحدث عن قصة ذى القرنين، وأنكر ما قلناه[1] فما هو الدليل؟

القمص: الدكتور زغلول يعتبر أن كلامه فى حد ذاته دليل، والحقيقة أن القرآن ذكر قصة ذى القرنين، والدكتور زغلول قال لم يكن بها تفاصيل (وأخذ القمص يتلو الآيات) فهل كل هذا ليس تفاصيل، والدكتور زغلول قال أن القرآن لم يتحدث عن الإسكندر المقدونى، لكنه تحدث عن رجل صالح، وكيف تغرب الشمس فى عين بئر؛ وهى أضعاف حجم الأرض.

- **مقدم البرنامج: من هو ذى القرنين؟**

- **القمص:** تحدثنا عن ذلك فى الحلقة 48، لنفحص المراجع الإسلامية: فى تفسير الطبرى ص 271 يقول عن عقبة بن عامر قال: يعنى قوم من أهل الكتاب أرادوا أن يسألوا رسول الله عن ذى القرنين فقال الرسول: إنه كان شاباً من الروم، وبنى الأسكندرية فى مصر. فمن الذى بنى الأسكندرية فى مصر؟!

ويضيف القمص: والقرطبى قال: إنه نبى فتح الله تعالى على يده الأرض، وهو الأسكندر الملك اليونانى المقدونى، فهل لم تقرأ هذه المراجع.

- وفى الموسوعة العربية الميسرة: ورد ذكر ذى القرنين فى القرآن فى سورة الكهف، ويراد به الأسكندر المقدونى، أو يراد به... (لم يكمل القمص باقى النص).

مقدم البرنامج: إذن ذى القرنين هو الأسكندر المقدونى.

القمص: هذا ما تقوله المراجع الإسلامية، ودائرة المعارف الإسلامية توضح سراً خطيراً، وقالوا أن ذى القرنين يطلق على أحد هؤلاء منهم الأسكندر الأكبر، وقالوا أنه أشهر من قيل أنه ذى القرنين.

(1) يقصد ما ذكروه من أن ذى القرنين هو نفسه الأسكندر المقدونى.

مقدم البرنامج: ما هو السر الخطير الذى جاء فى دائرة المعارف الإسلامية؟

القمص: تقول هذه الدائرة أن سورة الكهف أخذت بصورة الأسكندر الأصلية الموجودة فى الأسطورة السريانية، والتى جاء فيها أن ازسكندر خاطب فيها الله سبحانه وتعالى. . . فهل كان الأسكندر نبياً، وهل كان هناك ملاك يوحى إليه، فهل مصدر القرآن هو الأسطورة السريانية!!

وفى موضع آخر[1] يقول مقدم البرنامج:

نستكمل المواضيع التى أثارها الدكتور النجار فى ردوده وبالتحديد رده على موضوع غروب الشمس فى عين حمئة.

القمص: دكتور زغلول النجار قال فى التلفزيون المصرى رداً على تساؤلنا عن غروب الشمس فى عين حمئة: القرآن يصف رحلة ذى القرنين بأنه تحرك من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب حتى وجد الشمس تغرب فى عين حمئة.

مقدم البرنامج: ماذا قال القرآن؟

القمص: القصة من القرآن فى سورة الكهف: **﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾**[2].

وتفسير الطبرى - والكلام للقمص - اختلف القراء فى قراءة ذلك، فقرأه بعض قراء المدينة والبصرة: **﴿فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾** بمعنى أنها تغرب فى عين ماء ذات حماة وطين، وقرأه جماعة من قراء المدينة، وعامة قراء الكوفة: فى عين حامية، يعنى أنها تغرب فى عين ماء حارة.

(1) حلقة: 106.

(2) سورة الكهف: 83 - 86.

ويعلق القمص على ما جاء فى تفسير الطبرى فيقول: **من هذا يتضح أن المدارس القديمة الثلاثة: المدينة والبصرة والكوفة تفسر الآية على أن الشمس تغرب فى عين مليئة بالماء الساخن أو الطين، كيف يكون ذلك والشمس أكبر من الأرض مليونا وثلاثين ألف مرة.**

مقدم البرنامج: وكيف فسر ذلك الدكتور زغلول؟

القمص: قال (يعنى الدكتور النجار): إن الذى يقف على شاطىء البحر يرى الشمس تغرب فيه، والذى يقف على شاطىء بحيرة يرى الشمس تغرب فيها، والأدهى من كده إن الدكتور النجار قال: والذى يقف على شاطىء بئر يرى الشمس تغرب فيه، شيء مضحك؛ فالبحر مسطح مائى كبير، والبير ليس له مسطح مائى، كيف يحدث ذلك؟! والدكتور النجار يقول: ولو أن الرؤية غير صحيحة لكنه رآها بنظرته البشرية فتصورها تغرب فى عين بئر، فما الخطأ العلمى فى ذلك.

مقدم البرنامج: ما تعليقك على هذا الكلام؟

القمص: لاحظ تخبط هذا العالم الذى لم يستطع أن يحفظ توازنه فى الإجابة مما يدل على عدم صدق ما يقول، فقد قال: ما الخطأ العلمى فى ذلك؟ ثم يعود فيقول: ولو أن الرؤية البشرية غير صحيحة: فإذا كان هذا حال كبيرهم، فما هو حال باقى المسلمين، فهل للبئر شاطىء أم مجرد حافة فهو ليس مسطح مائى كبير حتى يُخيل لى.

ويضيف القمص: إن رؤية الإنسان للشمس وكأنها تغرب فى البحر أو المحيط فهذا معقول لأتساع المسطح المائى، أما عن رؤية الإنسان للشمس وكأنها تغرب فى

البئـر فإن الأمر يختـلف تماماً، حيث ليس للبـئر مسطح مـائى كبيـر يوهم بغروب الشمس فيه. هذه واحدة.

مقدم البرنامج: هذا كلام منطقى سليم. قلت هذه واحدة، فما هى الثانية؟

القمص: لاحظ كلمـات الآية القرآنيـة، فهى تقـول: ﴿**إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا**﴾[1] وابن كـثيـر يقول فى تفـسيـره: ﴿**إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ**﴾ أى أعطيناه ملكاً عظيـماً ممكناً فـيه من جمـيع مايؤتى الملوك من الـتمكين والجنود وآلات الحرب، وقال ابن عباس: يعنى علماً.

ولاحظ معنى فأتْبـع، قال ابن كثير: بحـسب عامة قراء المدينة والبـصرة «فاتَّبع» لأن ذلك خبر من الله تعالى عن مسيـر ذى القرنين فى الأرض التى مكن له فيها، إذن فمسيـرة ذى القرنين كما يقول القرآن هى بتوجـيه من الله سبحانه، متبعـاً فيها العلم؛ إذن فرؤيتـه ليست مجرد رؤية عين الواقف على الشـاطىء، بل اتباع العلم الإلهى، كما يقول المفسرون. وهذه ثانية[2].

مقدم البرنامج: وما الثالثة؟

القمص: لاحظ تعبير القرآن، لم يقل **رآها** تغرب فى عين حمئة، بل **وجدها**، وفى كل المعاجم العربيـة كلمة «وجد» بمعنى علم وأدرك، وليست رؤية بشـرية كما يقول الدكتور زغلول. هذه الثالثة.

مقدم البرنامج: وما هى الملاحظة الرابعة؟

---

(1) الكهف: 84.

(2) القمص يريد أن يصل إلى نتيجة مؤداها أن القرآن والتفـسير يقولان أن ذى القرنين وجد الشمس تغرب فى عين حمـئة، وأن هذه الرؤية حـقيـقية مما يـؤدى أن القرآن - وحاشـا لله - يقول بالخـرافات والأسـاطير، وسنبرهن على كذب هذا الأدعاء فى حينه.

القمص: تقول الآية القـرآنية ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾[1] **إذن هو لم ير الشمس برؤية بشرية تغرب فى البئر كما تغرب فى البـحر بحسب تفسير الدكتور زغلول، وإنما وجد عند مكان غـروبها قومـاً، فقد كان فى مكان غـروب الشمس**. ويظل سؤالنا لصاحب الإعجاز العلمى: كيف تغرب الشمس فى بئر من الطين وهى أكبر من الأرض مليونا وثلاثين ألف مرة.

والواقع أن هناك مفاجأة للدكتور زغلول النجار ولجميع المشاهدين.

مقدم البرنامج: وما هى هذه المفاجأة؟

القمـص: هى أن محمـداً قد نقل هذه الفكـرة عن الشعر الجـاهلى فقد أتت بنصهـا فى شعر **أمية بن أبى الصلت** الذى أنشد قـصيدة فـى ذى القرنين (ديوان شعراء النصرانية)، وكان محمد معجب بهذا الشاعر جداً، يقول أمية:

بلغ المشـارق والمغـارب يبـتـغى   أسـباب أمـر من حكيم مرشـد

فرأى مـغيب الشمس عند مـآبها   فى عين ذى خُلُبٍ وثأْطٍ حَـرِقْـدِ

ويوضح القمص معانى الكلمات فيقول:

خلب: طين. **ثأط:** الحمأة. **حرقد:** الأسود من الحمأة.

فيكون المعنى: أن الأسكندر الأكبر ذى القرنين[2] وجد الشمس تغرب فى عين طين أسود ساخن (أى عين حمئة) إذن محمد أخذها منه، وده رجل (يعنى أمية بن أبى الصلت) من الحنفاء.

مقدم البرنامج: وماذا قال الدكتور زغلول عن الرعد؟

(1) الكهف: 86.

(2) القمص يـريد أن يوحى للمشـاهد أن القرآن يقـول أن الأسكندر المقدونى هو نفـسه ذى القـرنين، والقرآن والمفسـرون براء من ذلك.

القمص: فى القرآن الآية تقول: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾[1] وفى كتب التفسير يقولون أن محمداً قال: الرعد ملك من ملائكة الله موكل بالسحاب بيده مخراق من نار... ويعلق القمص: فما صحة هذا الكلام مع التعليل العلمى للرعد أنه تفريغ كهربائى، فكيف يكون ملاك.

مقدم البرنامج: ماذا كان رد الدكتور النجار؟

القمص: الدكتور النجار قال: الرعد ظاهره كونية تتم فعلاً عن طريق التفريغ الكهربى، وهذا لا ينفى أبداً أن الملائكة تسوقه.

ويعلق القمص على كلام الدكتور النجار فيقول: لا نعلم كيف ربط هذا بذاك، وسؤالنا: ما هو المرجع العلمى على أن الملائكة تسوق السحب ويحدث الرعد من زجره لها؟!

ويضيف القمص: بقى أن أنقل لكم ما قاله العالم الدكتور نصر أبو زيد فى كتابه (مفهوم النص ص 22): «إن المفسر الحديث حين يدافع عن هذا التفسير يجد نفسه فى صدام مباشر مع حقائق العلم فيلجأ للألتفاف التأويلى حين يذهب إلى أن التفسير العلمى لظاهرة الرعد أن هناك ملكاً موكلاً بإحداث الرعد.

الرد على الشبهات:

- أولاً: مقارنة بين التفصيلات فى القرآن والتفصيلات فى الكتاب المقدس:

عجباً لهذا القمص، يريد أن يأتى القصص القرآنى بلا وقائع ولا ألفاظ!! فهو يرفض أن يأتى اسم زيد فى القرآن على أساس أن القرآن من الأزل ويبدو أن القمص نسى أو تناسى أن الله سبحانه وتعالى عالم بكل شىء منذ الأزل، يعلم ما

(1) الرعد: 13.

هو كائن وما سيكون، فلا غرابة أن يكون سبحانه وتعالى عالماً بقصة زيد منذ الأزل، ولا عجب أن يتضمن القرآن القصة ويذكر بها اسم زيد، ونسأل القمص: هل ذكر اسم زيد ينفى عن القرآن قدسيته؟! مع أن الكتاب المقدس به آلاف آلاف الأسماء ولم تنكروا عليه قدسيته؟

نقول للقمص زكريا بطرس أن التفصيلات التى جاء القرآن الكريم خالياً منها، والتى تحدث عنها أستاذنا الدكتور زغلول النجار؛ هى تلك التفصيلات التى لا تفيد وهى تلك التى لا طائل من ورائها، فالغاية الأولى من القصص القرآنى هى العبرة والحكمة التى يريد الله سبحانه وتعالى أن ترسخ فى ذهن ووجدان المسلم، أما التفاصيل التى لا تخدم هذا الفرض فلم يذكرها الله سبحانه وتعالى، ولم يطلب منا أن نبحث عنها، إذ أن القرآن ليس كتاب تاريخ جل همه هو سرد الحوادث بتفاصيلها وتاريخها، ولكنه كتاب سماوى أنزله الله على عبده هدى ورحمة للعالمين.

ولنزيد الأمر إيضاحاً سنعرض لبعض النصوص فى القرآن الكريم ونقارن بها ماجاء فى الكتاب المقدس ليتضح لنا من ناحية الأختلاف بين الإسلوبين، ومن ناحية أخرى معنى خلو القرآن الكريم من التفاصيل.

فعن دخول فتيان السجن مع يوسف عليه - السلام -، وحلمهما اللذان قصاهما على يوسف يقول الله عز وجل: ﴿**وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[1].

(1) يوسف: 36.

وعن تأويل يوسف - عليه السلام - لهذه الرؤى يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (٤١) وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾[1].

وعن نفس الواقعة يقول الكتاب المقدس فى سفر التكوين أصحاح أربعين عدد 1 - 19:

«وحدث بعد هذه الأمور أن ساقِيَ ملك مصر والخباز أذنبا إلى سيدهما ملك مصر. فسخط فرعون خَصِيَّيْهِ رئيس السقاة ورئيس الخبازين. فوضعهما فى حبس بيت رئيس الشُّرط فى بيت السجن المكان الذى كان يوسف محبوساً فيه. فأقام رئيس الشرط يوسف عندهما فخدمهما. وكانا أياماً فى الحبس.

وحَلُما كلاهما حُلْماً فى ليلة واحدة كل واحد حلمه كل واحد بحسب تعبير حلمه. ساقى ملك مصر وخباره محبوسان فى بيت السجن. فدخل يوسف إليهما فى الصباح ونظرهما وإذا هما مغتمان. فيسأل خصيى فرعون اللذين معه فى حبس بيت سيده قائلاً: لماذا وجها كما مُكْمَدَّان اليوم. فقالا: حلمنا حلما وليس من يُعَبِّرُه. فقال لهما يوسف: أليست لله التعابير. قصا على..

فقص رئيس السقاة حلمه على يوسف وقال له: كنت فى حلمى وإذا كَرْمَة أمامى. وفى الكرمة ثلاثة قضبان وهى إذا أفرخت طلع زهرها وأنضجت عناقيدها عنباً. وكانت كأس فرعون فى يدى. فأخذت العنب وعصرته فى كأس فرعون وأعطيت الكأس فى يد فرعون فقال له يوسف هذا تعبيره: الثلاثة القضبان هى ثلاثة أيام. فى ثلاثة أيام أيضاً يرفع فرعون رأسك ويردك إلى مقامك. فتعطي كأس فرعون فى يده كالعادة الأولى حين كنت ساقيه. وإنما إذا ذكرتنى عندك

(1) يوسف: 41، 42.

حينمـا يصير لك خـير تصنع إلى إحسـاناً وتذكرنى لفرعـون وتخرجنى من هذا البيت. لأنـى قد سُرِقْت من أرض العـبرانيين. وهنا أيضـاً لم أفعل شـيئـاً حَتى وضعونى فى السجن.

فلما رأى رئيس الخبازين أنه عَبَّرَ جـيداً قال ليوسف: كنت أنا أيضا فى حلمى وإذا ثلاثة سلال حُوَّارَى على رأسى. وفى السَّلِّ الأعلى من جمـيع طعام فرعون من صنعة الخبار، والطيور تأكله من السل عن رأسى. فأجاب يوسف وقال: هذا تعبـيره. الثلاثة السـلال هى ثلاثة أيام. فى ثلاثة أيام أيضاً يرفع فـرعون رأسك عنك ويعلقك على خشبة وتأكل الطيور لحمك عنك..».

ومن مقارنة النصين نجد الفارق واضحـاً لامراء فيه، فشتان بين الإسلوب الإلهى وأسلوب البشر، وبإحصائية بسيطة لعدد كلمات النصين، تجد أن عدد الكلمات فى النص القرآنى فى حدود 64 كلمة، وفى الكتاب المقدس 271 كلمة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخـرى نسأل القمص ما القـائدة من معرفة أن المسـجونان مع يوسف - عليه السـلام - أحدهما رئيس خبازيـن والأخر رئيس سقاة، وما الفـائدة من ذكر سبب ومكان سجنهما، نقول للقمص هذه التفاصيل التى يبتعد عنها القرآن الكريم، تلك التفاصيل التى لاطائل من ورائها ولا فائدة، فهل علمت الأن ياجناب القمص الفارق بين التفاصيل التى يذكرها القرآن وتلك التى تجنب ذكرها؟ وهل علمت الآن ياجناب القمص لماذا لم يعلمنا الله سـبحانه وتعالى شخصـية ذى القرنين؟ ذلك لأن علمنا بهذه الشـخصية لن يـضيف جديداً إلى المراد من أحداث القـصة، ألا وهو الأخذ بالأسباب.

ثانياً: من هو ذى القرنين؟

حاول القمص بشتى الطرق إثبات أن الإسلام يعترف ويقر بأن ذى القرنين هو نفسه الأسكندر المقدونى، فأخذ يقتطع من النصوص ما يخدم منهجه التضليلى ويهمل ماعدا ذلك ولذلك نجد أنه لزاماً علينا أن نعرض لنصوص التفسير - التى بنى عليها القمص باطله - بشيء من التفصيل، فنجد أولاً أن القمص ذكر أنه جاء فى تفسير القرطبى أن رسول الله ﷺ قال: إنه - يعنى ذى القرنين - كان شاباً من الروم، وبنى الإسكندرية فى مصر.

فما هى حقيقة ما جاء فى تفسير الطبيرى؟

جاء فى تفسير الطبرى: «وأما الخبر بأن الذين سألوه كانوا قوماً من أهل الكتاب، فحدثنا به أبو كريب قال: ثنا زيد بن حباب عن ابن لهيعة قال ثنى عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن **شيخين من تجيب** قال أحدهما لصاحبه: انطلق بنا إلى عقبة بن عامر نتحدث قالا: فأتيا فقالا: جئنا لتحدثنا، فقال: كنت يوما أخدم رسول الله ﷺ فخرجت من عنده فلقينى قوم من أهل الكتاب فقالوا: نريد أن نسأل رسول الله ﷺ فاستأذن لنا فدخلت عليه فأخبرته... قال ﷺ: جئتم تسألونى عن ذى القرنين **وما تجدونه فى كتابكم:** كان شاباً من الروم فجاء فبنى مدينة مصر الإسكندرية...»[1].

ولنا ملحوظتين عما جاء فى الرواية السابقة، **الأولى:** أن الرواية جاءت عن شيخين مجهولين، وهذا مما لا يعتد به، **والثانية:** أن الرسول ﷺ - فى الرواية على فرض صحتها - أخبر أهل الكتاب عما يجدوه فى كتابهم، فالخبر إذن محمول عما جاء فى نصوص أهل الكتاب، ولا يدل عن قريب أو بعيد عن فكر إسلامى محض.

---

(1) تفسير الطبرى للآية 83 من سورة الكهف.

وجاء فى تفسير القرطبى تعليقاً على الرواية السابقـة: «وذكر الطبرى حديثاً عن النبى ﷺ: أن ذا القـرنين شـاب من الروم **وهو حـديث واهى السند..**»[1] إذن القرطبى ينكر الرواية التى جاءت فى تفسير الطبرى.

ويعرض القرطبى لرواية ابن اسحق فيقول: «قال ابن إسحق: حدثنى من يسوق الأحاديث عن **الأعاجم** فيـما توارثوا من علم، أن ذا القرنين كان من أهل مـصر اسمه مرزبان بن مردبة اليونانى من ولد يونان بن يافث بن نوح»[2].

والخبر كما هو واضح منقـول عن الأعاجم، وهو يقصد بهم أهل الكتاب، ولـم ينسب إلى رسول الله ﷺ.

وجاء فى تفـسير ابن كثـير تعليقاً على رواية الطبـرى: «وقد أورد ابن جرير - يعنى الطبرزى - هـهنا حديثاً أسنده وهو ضـعيف عن عقـبة بن عامـر أن نفرا من اليهـود جاءوا يسألون النبى ﷺ عن ذى القـرنين فأخبرهم بما جـاءوا له ابتداء فكان فيـما أخبرهم أنه كـان شاباً من الروم وأنه بنى الإسكندرية... والحديث فـيه طول ونكارة ورفعة لا يصح وأكثر ما فيه أنه من أخبار بنى إسرائيل»[3].

أما ماجاء فى الموسوعـة العربية الميسرة: «... ويراد به الأسكندر المقدونى، أو يراد به...» والغـريب أن القمـص لم يكمل النص، وذلك ليـوحى للمشـاهد أن الموسوعـة قصرت ذلك على الأسكندر المقـدونى؛ فالموسوعـة قالت: «.. أو يراد به..» إذن فالمسألة مجرد شك واحتمالات لا تلزم أحد.

ونفس الشىء فى **دائرة المعارف الإسلامية**، فقد جاء بها - وكـما قرأ القمص: «أن ذى القرنين يطلق على أحد هؤلاء منهم الإسكندر الأكبر» ونسأل القمص، إذا

(1) تفسير القرطبى للآية 83 من سورة الكهف.

(2) السابق، وانظر سيرة ابن هشام جـ 1 ص 155.

(3) تفسير ابن كثير للآية 83 من سورة الكهف.

كان الأسكندر هو أحد هؤلاء، فمن هم الباقين؟! إذن نعود ونكرر أن المسألة مجرد شك.

أما قول دائرة المعارف الإسلامية أن سورة الكهف أخذت بالصورة الموجودة فى الأسطورة السريانية فهذا القول لا يلزم أى مسلم، لأن هذه الدائرة من وضع المستشرقين، وكل ما جاء بها جاء على حسب أهوائهم، ومعظم ماجاء بها مجرد مطاعن واهية على الإسلام ورسول الإسلام، إلا أن جناب القمص الموضوعى الأمين يريد أن يوحى للمشاهد أن هذه الدائرة من وضع علماء المسلمين، وهو يعلم علم اليقين أنها ليست كذلك.

وبعد، نتتهى من هذا العرض أن أقوال جمهور المفسرين لم تقل أبداً أن ذا القرنين هو نفسه الأسكندر المقدونى، وأن ما جاء بها بهذا المعنى مجرد أقوال ضعيفة لا ترقى إلى أى يقين، وهذا كله موجود بنفس المصادر التى اقتطع منها القمص ما عرضه على المشاهدين، ولكن ضميره لا يسمح له بعرض الحقيقة كاملة.

ثالثا: غروب الشمس فى عين حمئة:

أراد القمص زكريا بطرس بعرضه لهذه الشبهة أن يوهم المشاهد بأن القرآن الكريم جاء مخالفاً للحقائق العلمية المتفق عليها، فجاء تعليقه على ما ذكره الطبرى فى تفسيره لكلمة ﴿حَمِئَةٍ﴾ على النحو التالى: **«يتضح أن المدارس القديمة الثلاثة: المدينة والبصرة والكوفة تفسر الآية على أن الشمس تغرب فى عين مليئة بالماء الساخن أو الطين، كيف يكون ذلك والشمس أكبر من الأرض مليونا وثلاثين ألف مرة»**.

وإذا فرضنا أن تحليل القمص سليم، وأن مفسرى المدارس الثلاثة قالوا بهذا، فهذا لا يعيب القرآن الكريم فى شىء، لأن القرآن نفسه لم يقل هذا، وهذا بلسان

القمص الذى قال: أن المدارس القديمة الثلاثة **تفسر الآية**، ولم يقل أن القرآن قال بهذا، وبهذا فباعتراف القمص: القرآن الكريم برىء من هذا التفسير على فرض صدوره من علماء المسلمين بالصورة التى ذكرها القمص لكن ما هى حقيقة ما قاله مفسرو المسلمين عن هذه الآية:

جاء فى تفسير الطبرى بعدما عرض أختلاف المدارس الثلاث فى القراءة، فقرأها بعضهم: حمئة، وقرأها البعض الآخر: حامية، يعلق الطبرى على هذا فيقول: **«والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال أنهما قراءتان مستفيضتان فى قراءة الأمصار، ولكل واحدة منهما وجه صحيح ومعنى مفهوم، وكلا وجهيه غير مفسد أحدهما صاحبه، وذلك أنه جائز أن تكون الشمس تغرب فى عين حارة ذات حمأة وطين، فيكون القارىء فى عين حامية واصفها بصفتها التى هى لها وهى الحرارة، ويكون القارىء فى عين حمئة واصفها بصفتها التى هى بها وهى أنها ذات حمأة وطين»**[1].

وأنا أدعو القارىء الكريم مسيحياً كان أم مسلماً أن يعيد قراءة مناقشة الطبرى السالف بيانها، وسيجد أن الطبرى يناقش اختلاف القراءات، أى الأختلاف اللغوى بين كلمتى حمئة وحامية، ليس أكثر ولا أقل، ولم يشير الطبرى من قريب أو بعيد أن غروب الشمس فى عين حمئة هى حقيقة كونية نشاهدها فى كل وقت، ولكنها هى رؤية ذى القرنين بالنسبة للمكان الموجود به، وهو لم يذكر هذا على اعتبار أن هذه قضية منتهية لا يدور شك بشأنها لكل ذى لب.

وجاء فى تفسير ابن كثير: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ أى رأى الشمس فى منظره تغرب فى البحر المحبط، وهذا شأن كل من انتهى إلى ساحله يراها كأنها تغرب فيه، وهى لا تفارق الفلك الرابع الذى هى مثبتة فيه»[2].

---

(1) تفسير الطبرى للآية 86 من سورة الكهف.

(2) تفسير ابن كثير لنفس الآية.

وعلى ذلك نجد أن ابن كـثير يزيد الأمر إيضاحـاً بأن هذه الرؤية كانت فى نظر ذى القرنين، فالأمر غاية فى السهـولة، فأنت عندما تقف على شاطىء البحر وتنظر تجاه الغرب وقت غروب الشمس ستجد الشمس وكأنها تسقط فى ذلك البحر، فما العجب فى هذا؟!

وجاء فى تفـسير القـرطبى: «ليس المراد أنه انتهى - يعـنى ذى القرنين - إلى الشمس مغرباً ومشرقاً حـتى وصل إلى جرمها ومسها، وهى أعظم من أن تدخل فى عين من عيون الأرض، بل هى أكبر أضعافاً مضاعفة، بل المراد أنه أنتهى إلى آخر العمارة من جهة المغرب ومن جـهة المشرق فوجدها فى رأى العين تغرب فى عين حمئة كما أنا نشاهدها فى الأرض الملساء كأنها تدخل فى الأرض»[1].

وها هو القرطبى يؤكد أن هذه الرؤية كـانت فى نظر ذى القرنين، وأن هذا ليس هو الوضع الحقيقى للشمس لأنها أعظم من الأرض، ولكن القمص - كعادته - لا يجرؤ على عرض مثل هذه التفسيرات لأنها ضد منهجه التضليلى.

رأينا أن القمص زكـريا بطرس يقول: لاحظ أن تعبيـر القرآن لم يقل **رآها** تغرب فى عين حمئة، بل **وجدها**، وكلمة وجد بمعنى علـم وأدرك، وليست رؤية بشرية كما يقول الدكتور زغلول النجار.

فالقـمص هنا يحاول مرة أخـرى أن يثبت أن القرآن يجـعل من رؤية زى القرنين لمنظر الغروب رؤية مطلقة حقيقية، وليست مجرد رؤية نسبية، ويرد على هذا الهراء **البيضـاوى فى تفسيره فـيقول: «ولعله - يعنى ذى القرنين - بلـغ ساحل المحيط فـرآها كذلـك إذ لـم يكن فى مطمح بصـره غيـر الماء، ولذلك قـال: ﴿وَجَـدَهَا تَغْرُبُ﴾ ولـم يقل كانت تغرب»**[2].

(1) تفسير القرطبى لنفس الآية.

(2) تفسير البيضاوى لنفس الآية.

ويؤكد القرطبى على أن هذه الرؤية كانت فى نظر ذى القرنين فيقول: «ولهذا قال سبحانه وتعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾[1] **ولم يرد أنها تطلع عليهم بأن تماسهم وتلاصقهم بل أراد أنهم أول من تطلع عليهم**»[2].

ونضيف: إن الله تعالى لم يقل: وجدها تشرق من عين حمئة، مما يؤكد أن ما ذكره القرآن فى هذا الموضع - رؤية ذى القرنين - لم يكن ابداً حقيقة علمية بل هى رؤية خاصة بذى القرنين وكل من كان فى وضعه كان سيرى هذه الرؤية النسبية.

- أما تعليق القمص على كلمة وجد بقوله: فى كل المعاجم اللغوية كلمة وجد بمعنى علم وأدرك ليست رؤية بشرية كما يقول الدكتور زغلول النجار. ويعيب القمص أن القرآن الكريم لم يقل رآها.

نقول رداً على ذلك: جاء فى كتاب المفردات فى غريب القرآن للأصفهانى فى مادة (وجد) ما نصه: «الوجود أضرب: وجود بإحدى الحواس الخمس نحو: وجدت زيداً، ووجدت طعمه، ووجدت صوته، ووجدت خشونته، ووجود بقوة الشهوة نحو: وجدت الشبع، ووجود بقوة الغضب: كوجود الحزن والسخط، ووجود بالعقل أو بواسطة العقل كمعرفة الله تعالى، وقوله تعالى: ﴿حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾[3] أى حيث رأيتموهم، وقوله جل شأنه: ﴿وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾[4] إنه وجود بالبصر والبصيرة، فلقد كان منه مشاهدة بالبصر واعتبار لحالها بالبصيرة»[5].

---

(1) الكهف: 90.

(2) من تفسير القرطبى للآية 86 من سورة الكهف.

(3) النساء: 89.

(4) النمل: 23.

(5) المفردات فى غريب القرآن - جـ 1 - ص 512.

وعلى ذلك، فقوله جل شأنه: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾[1] بمعنى رآها. والله سبحـانه وتعالى لم يقل رآها، لأن الرؤية أما أن تكون بالحـاسة، وأما أن تكون بالوهم والتخيل، وأما أن تكون بالتفكر كأن تقول: أرى أن أفعل كذا[2].

وعلى ذلك فالرؤية قد تكون رؤية بالحواس أو بالوهم والتخـيل، أما وجد فتعنى ما تشعـر به الحواس الخمس، وذو القرنين قـد رأى الشمس ببصره، والبـصر أحد الحواس الخمس، لذا استخدام القرآن الكريم لكلمة وجد فى هذا الموضع يمثل قمة الإعجاز اللغوى.

- أما عن قول القمص كيف يرى الإنسـان الشمس وهى تغرب فى البئر مع أن البئر ليس له مسطح مائى كبير.

فنقول للقـمص: لو أن هذا البئر فى جـهة الغرب وبعيـد عن موضعك مسـافة كافية لرأيت الشـمس وكأنها تغرب فيه، مع أن البـئر ليس له مسطح، والأدهى من ذلك، لو أنك فى غابة قد ترى الشمس تغرب داخل فروع إحدى الأشجار، مع أن الشجـرة ليست مسـطح مائى، ونقول للقـمص: كيف تتعـجب من ذلك مع أنك تستطيع أن تحـجب عنك قرص الشـمس بأحد كفـيك، مع أن الشمس أكـبر من الأرض مليونا وثلاثين ألف مرة!!

- أما عن قول القمص: إن مـسيرة ذى القرنين كانت بتوجيـه من الله سبحانه، متبـعاً فيها العلـم؛ إذن فرؤيته ليست مجـرد رؤية عين الواقف على الشاطىء، بل اتباع العلم الإلهى».

(1) الكهف: 86.

(2) المرجع السابق - جـ 1 - ص 209.

نقول للقمص: لا تناقض بين كون ذى القرنـين أتاه الله سبحانه وتعالى من العلم الغزير، وبين رؤيته للشمس بهذا الوصف، فنفترض جدلاً أن عالماً من علماء الفلك وقف على شاطىء البحـر فى وقت الغروب، فهل سيـرى الشمس وهى تغرب فى البحر أم سيكون له رؤية أخرى؟!

ومن هذا العرض يتضح لنا أن النص القرآنى - ومـعه أقوال المفسرين - لم يقل بأن ما رآه ذو القرنين حقيقة علمية مسلم بها، فأنت لا تستطيع أن تقنع طفل صغير بأن الشمس تغرب فى عين ماء، وهذا مـا فهمه العرب أصحاب الفـصاحة وعلماء أسـرار اللغة، ولو علمـوا غـير هذا لأنكروا مـا جاء بـالنص القرآنى، ولوجـدناه مسطوراً فى أمـهات الكتب، ولكن هذا لم يحـدث، ولم تثر هذه الشبـهة إلا فى ذهن الجهال المكابرين ورثة السفوسطائيين.

رابعاً: شعر أمية بن أبى الصلت:

أعلن القمص فى هذا المقام عن مفاجأة سبقـها جهل يستعصى علاجه، وهى: أن محمداً ﷺ قد نقل ماجاء عن قصة ذى القـرنين من الشعر الجاهلى متمثلاً فى أشعار نسبها القمص جهلاً إلى أمية بن أبى الصلت.

وبداية نقول أن الأبيات التى استرشـد بها القمص لدعم فكرته الشوهاء هى من أشعار تبع الحميرى، وهى أشعار ظهرت فيـها وبوضوح لغة حمير فى حين أن أمية بن أبى الصلت كان من ثقيف، جاء فى تفسير القرطبى للآية 86 من سورة الكهف:

«وقال الشاعر وهو تبع اليمانى:

قد كان ذو القرنين قـبلى مسلماً	**ملكاً تـدين له الملوك وتسـجـد**
بلغ المغـارب والمشـارق يبـتـغى	**أسـباب أمـر من حكيم مرشـد**
فرأى مغيب الشمس عند غروبها	**فى عين ذى خلب وثأط حـرمد**

الخلب: الطين والثأط: الحمأة. والحرمد: الأسود[1].

وإذا افترضنا جدلاً صحة نسبة الأبيات لأمية بن أبى الصلت، فيكون حرى بنا أن نوضح أولاً من هو أمية ونعقب ذلك بالرد على ما أثاره القمص.

جاء فى كتاب الإصابة لابن حجر العسقلانى: «أمية بن أبى الصلت الشاعر المشهور لم يدركه الإسلام، وقد صدقه رسول الله ﷺ فى بعض شعره وقال: **قد كاد أمية أن يسلم**، وأم أمية رقية بنت عبد شمس بن عباد بن عبد مناف، ولذلك **رثى أمية بن أبى الصلت قتلى بدر** بقصيدته المشهورة لأنه كان من رؤوس من قتل بها عتبة وشيبة ابن ربيعة بن عبد شمس وهما ابنا خاله، واتفقت العرب على أن أمية أشعر ثقيف، وكان أمية فى الجاهلية **نظر الكتب** ولبس المسوح، وتعبد أولاً بذكر إبراهيم وإسماعيل والحنيفية، وحرم الخمر وتجنب الأوثان **وطمع فى النبوة** لأنه قرأ فى الكتب أن نبياً يبعث بالحجاز فرجا أن يكون هو، **فلما بعث النبى ﷺ حسده فلم يسلم**، وروى أن أمية آمن بالنبى ﷺ فقدم الحجاز ليأخذ ماله من الطائف ويهاجر، فلما نزل بدرا قيل له: إلى أين يا أبا عثمان؟ قال: أريد أن اتبع محمداً، فقيل له: هل تدرى ما فى هذا القليب؟ قال: لا، قيل له: شيبة وعتبة ابنا خالك وفلان وفلان، فجدع أنف ناقته وشق ثوبه وبكى وذهب إلى الطائف فمات بها. **ذكر ذلك فى السنة الثانية من الهجرة والمعروف أنه مات التاسعة**، ولم يختلف أصحاب الأخبار أنه مات كافراً، وصح أنه عاش **حتى رثى أهل بدر**. وقال المرزبانى: اسم أبى الصلت عبد الله بن ربيعة بن عوف بن عقدة بن عزة بن عوف بن ثقيف. وفى الطبرانى الكبير عن أبى سفيان بن حرب قال: خرجت تاجراً فى رفقة فيهم أمية بن أبى الصلت، فذكر قصة فيها أن أمية قال: أن نبياً يبعث بالحجاز

(1) انظر كذلك تفسير ابن كثير لنفس الآية.

من قريش، وأنه كان يظن أنه هو إلى أن تبين له أنه من قريش وأنه يبعث على رأس الأربعين وأنه سأله عتبة بن ربيعة فقال أنه جاوزها، قال: فلما رجعت إلى مكة وجدت النبى ﷺ قد بعث فلقيت أمية فقال لى: اتبعه فإنه على الحق قلت: فأنت. قال: لولا الاستحياء من صبيات ثقيف إنى كنت أحدثهن إنى هو ثم يريننى تابعاً لغلام من بنى عبد مناف.

ومن شعر أمية:

يارب لا تجعلنى كافراً أبداً واجعل سريرة قلبى الدهر إيمانا

ومثل هذا فى شعره كثير، ولذلك قال ﷺ: **«آمن شعره وكفر قلبه»**[1].

ويتضح لنا من ترجمة أمية ابن أبى الصلت والسابق عرضها: أن أمية مات بعد غزوة بدر، والغالب أنه مات فى السنة التاسعة من الهجرة، أى بعد هجرة رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة، ومعلوم للجميع أن سورة الكهف والتى ورد بها قصة ذى القرنين هى سورة مكية؛ أى نزلت قبل هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة، أى قبل غزوة بدر، فلماذا لم يفترض القمص أن أمية اقتبس ماجاء بالقرآن ونظمه شعراً؟! ومن أين علم القمص أن أمية أنشد الأبيات أولاً قبل نزول سورة الكهف؟! أم أن هذا وحياً بالروح القدس؟!! هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى، فمن الواضح من ترجمة أمية أنه نظر كتب أهل الكتاب، ومن الممكن أن يكون قد علم شطراً من قصة ذى القرنين من هذه الكتب فأنشدها شعراً، ومن المعلوم أنه يوجد بعض النوافق بين القرآن والتوراة فى بعض الأحكام وبعض الأحداث التاريخية، وكل هذا لا ينفى عن القرآن قدسية وأنه موحى به من الله عز وجل.

(1) الإصابة: جـ 1 ص 249، وانظر كذلك فتح البارى جـ6 ص 583.

وإذا افترضنا جدلاً أن رسول الله ﷺ قد اقتبس من شعر أمية قصة ذى القرنين، فإن الأبيات التى بين أيدينا لا تذكر إلا الجزء الخاص بغروب الشمس فى عين حمئة، فمن أين استقى الرسول ﷺ باقى القصة؟ فأين باقى الأشعار التى تسرد القصة كما جاءت بالقرآن الكريم؟!

وإذا أفترضنا جدلاً أن رسول الله ﷺ نقل القصة من أشعار أمية بن أبى الصلت، فمن أين نقل باقى القصص القرآنى؟ من أين نقل قصة خلق آدم، وقصة عاد وثمود، وآل لوط.. إلخ؟!

ومن أين نقل الأحكام والتشريعات التى جاء بها القرآن وهى تباين كثيراً ماجاء بأحكام التوراة؟!

لو أن محمداً ﷺ قد استقى كل ماجاء بالقرآن من مصدر بشرى ثم قام بصياغته بهذه الطريقة الإعجازية لاحتاج إلى مئات السنين، فى حين أنه من المعلوم أن بعثة محمد ﷺ لم تتعد ثلاثة وعشرين عاماً.

وأخيراً لو أن محمداً ﷺ قد اقتبس القرآن من مصدر بشرى وكان هذا من السهولة كما تصورها القمص، فهيا باجناب القمص قم بصياغة نصوص كتابك المقدس على نفس النسق القرآنى، فالقارىء لنصوص الكتاب المقدس ولنصوص القرآن الكريم سيلحظ الفارق فى **الأسلوب اللغوى ذلك الأسلوب الذى** وصل لحد الإعجاز، ولو كان الأمر سهلاً بالطريقة التى صورها القمص لاستطاع مترجمو الكتاب المقدس أن يصيغوا ولو سطراً واحداً من كتابهم كما صاغه القرآن الكريم، ولكن هيهات أن يطابق قول البشر ما نزل به الوحى الإلهى[1].

---

(1) سبق وعرضنا هذا الفارق بمثال عملى عند ذكر المقارنة بين التفصيلات فى القرآن والتفصيلات فى الكتاب المقدس، وذلك بعرض جزء من قصة يوسف - عليه السلام -.

وفى النهاية يحضرنى قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾[1].

وقوله عز وجل: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[2].

وقوله عز وجل: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[3] ويقول الله سبحانه وتعالى متحدياً الإنس والجن: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[4].

- خامساً: الرعد فى القرآن:

يقول الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾[5].

وقد علق القمص على النص القرآنى بقوله: فى كتب التفسير يقولون أن محمداً قال: الرعد ملك من ملائكة الله موكل بالسحاب بيده مخراق من نار..، ويضيف: فما صحة هذا الكلام مع التعليل العلمى للرعد بأنه تفريغ كهربائى؟ فكيف يكون ملاك؟

وبداية نجد أن القمص يخادع المشاهدين ويوهمهم أن رسول الله ﷺ قال أن الرعد ملك من الملائكة، والرسول ﷺ لم يقل هذا أبداً ولا قاله المفسرون.

(1) النحل: 103.

(2) هود: 13.

(3) البقرة: 23.

(4) الإسراء: 88.

(5) الرعد: 13.

جاء فى تفسير القرطبـى لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾[1]: «واختلف العلماء فى الرعد، ففى الترمذى عن ابن عباس قال: سـألت اليهود النبى ﷺ عن الرعـد قال: ملك من الملائكة يسوق السـحاب حـيث يشاء الله (فـالملك هو الذى يسـوق السـحاب وليس هو الرعـد كـما ذكـر القمص). فقالـوا: فما هذا الصوت الذى نسمع. قال: زجـره بالسحاب إذا زجره حيث ينتهى إلى حيث أمر الله. قالوا: صدقت.».

وعن ابن عباس قال: أقـبلت اليهود إلى النبى ﷺ فقالوا: اخـبرنا عن الرعد ما هو؟ قال: ملك مـن ملائكة الله موكل بالسـحاب بيـده مخراق من نـار يزجر به السحاب يسوقه حيث أمره الله، قالوا: فما هذا الصوت الذى نسمع؟ قال: صوته[2]. يعنى صوت السحاب.

وعلى هذا فالحديث واضح فى أن للرعد ملكا، ولا يعنى أن الرعد هو الملك، فقد قال: (ملك من ملائكة الله موكل بالسحاب).

وقد قال استاذنا الدكتور زغلول النجار: الرعد ظاهرة كونية تتم فعلاً عن طريق التفريغ الكهربى، وهذا لا ينفى أبداً أن الملائكة تسوقه.

وعلق القـمص على هذا بـقوله: لا نـعلم كـيف ربط هذا بذاك، وسـؤالنا - والكلام للقمص - ما هو المرجع العلمى على أن الملائكة تسـوق السحاب ويحدث الرعد من زجره لها؟

---

(1) البقرة: 19.

(2) الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى - جـ 1 ص 909.

نقول للقمص: هناك فارق بين ما يحدث فى عالم الغيب وبين الظاهرة المادية فى حد ذاتها، ولا تناقض بين الغيب والظاهر، وإليك مثال بسيط: فمن المعلوم أن الموت كظاهرة مادية هو توقف قلب الإنسان وما يصحبه من توقف فى جميع الوظائف الحيوية لجسم الإنسان، وهذا مسلم به، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فالموت فى عالم الغيب هو قبض ملك الموت لروح الإنسان، وهذا أمر معلوم من الدين بالضرورة لكل أصحاب الديانات السماوية ولم ينكره أحد، حتى أنت لا تستطيع أن تنكره، ونقول لك متبعين نفس منهجك: ما هو المرجع العلمى على أن ملك الموت يقبض روح الإنسان مما يؤدى إلى موته؟! هل هناك إجابة؟!!

سادساً: بعض الظواهر الكونية فى الكتاب المقدس:

كان هدف القمص زكريا بطرس من الشبهات السالف عرضها - والتى قمنا بالرد عليها - هو إظهار القرآن الكريم بمظهر المخالف للحقائق العلمية المتفق عليها، ولكنه فشل فى ذلك فشلاً ذريعاً، إذ من المستحيل أن يظهر الحق بمظهر الباطل، والقمص لم يفعل هذا إلا لتغييب أذهان مشاهديه - خاصة الأخوة المسيحيين - عما ورد فى الكتاب المقدس من نصوص صريحة تخالف ماجاءت به الحقائق العلمية المتفق عليها، والمسلم بها، ولكى نزيد الأمر إيضاحا يكون لزاماً علينا أن نعرض لبعض نصوص الكتاب المقدس فى هذا الشأن.

1 - غياب الشمس عند جبعة بنيامين:

جاء فى الأصحاح 19 عدد 14 من سفر القضاة «وقال لغلامه تعال نتقدم إلى أحد الأماكن ونبيت فى جِبْعَةَ أو فى الرامة، فعبروا وذهبوا **وغابت لهم الشمس عند جبعة التى لبنيامين** فمالوا إلى هناك لكى يدخلوا ويبيتوا فى جبعة..».

ونقـول للقمص زكـريا بطرس ها أنت جادلت فى قـول الله سبـحانه وتعـالى: ﴿**وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ**﴾ وقد قمنا بالرد عليك من كـتب المفسرين القدامى التى تتصـيد منها شبـهاتك، والآن نريد أن نعرف كـيف نغيب الشمس عند جبـعة بنيامين؟! مع العلم أنه بـاطلاعنا على شروح الكتاب المقـدس لم نجد تفسيـراً لهذا النص، فهل عندك ما تقوله ياجناب القمص؟! هل تسـتطيع أن تفسر لنا كيف تغيب الشمس عند جبعة وهى أكبر من الأرض مليوناً وثلاثين ألف مرة؟! نحن فى انتظار إجابتك.

2 - دوران الشمس حول الأرض:

جاء فى سـفر الجامعـة إصحاح 1 عدد 3 - 5: «ما الفائدة للإنسـان من كل تعبه الذى يتـعبـه تحت الشـمس. دور يمضى ودور يجىء **والأرض قائمـة إلى الأبد**. والشمس تشرق والشمس تغرب **وتسرع إلى موضعها حيث تشرق**».

فالأرض قائمة إلى الأبد، والشمس تسرع، الأرض ثابتة، والشمس تدور. فهل هذا يتفق مع الحقائق العلمية؟!

3 - الأرض ثابتة لا تتحرك:

جاء فى المزمور 104 عدد 1 - 5: «باركى يا نفسى الرب. يارب إلهى قد عظمت جداً مجداً وجـلالاً لبست. اللابس النور كثوب الباسط السموات كـشقة. المسقف علاليه بالمياه الجـاعل السحاب مركبته. الماشى على أجنحـة الريح. الصانع ملائكته رياحاً وخدامه ناراً مـلتهبة. **المؤسس الأرض على قواعدها فـلا تتزعزع إلى الدهر والأبد**».

والآن يا جناب القمص، إذا كـانت الأرض ثابتة لا تتحرك، فـيما تفسـر تعاقب الليل والنهار؟! وبما تفسـر تعاقب الفصول الأربعة؟! أم أن مـاجاء فى النصوص هو من قبيل التعبير المجازى والمعانى الروحية؟!!

4 - خلق الليل والنهار قبل خلق الشمس:

جاء فى الإصـحاح الأول من سـفر التكويـن عدد 1 - 19: «فى البدء خلق الله السموات والأرض. وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه القمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه. **وقال الله ليكن نور فكـان نور. ورأى الله النور أنه حسن. وفصل الله بين النور والظلمـة. ودعا الله النور نهاراً والظلمة دعـاها ليلاً**. وكان مساء وكان صباح يوماً واحداً.

وقال الله ليكن جلد فى وسط المياه. ولـيكن فاصلاً بين مياه وميـاه. فعمل الله الجلد وفصل بين المـياه التى تحت الجلد والمياه التى فـوق الجلد وكان كـذلك. ودعا الله الجلد سماءً. وكان صباح يوماً ثانياً.

وقال الله لتـجتـمع المياه تحت السمـاء إلى مكان واحد. ولتظهـر اليابسـة وكان كذلك. ودعـا الله اليابسـة أرضا. ومـجتـمع المياه دعاه بحـاراً ورأى الله ذلك أنه حسن. وقـال الله لتنبت الأرض عشبـاً وبقلا يبـزر بزراً وشجراً ذا ثمر يعـمل ثمراً كجنسه بزره على الأرض. وكان كذلك.

فأخرجـت الأرض عشباً وبقـلاً يبزر بزراً كجنسه وشـجراً يعمل ثمراً بزره فـيه كجنسه. ورأى الله ذلك أنه حسن. وكان مساء وكان صباح سوماً ثالثاً.

وقال الله لتكن أنوار فى جلد السـماء لتفصـل بين النهار والليل. وتكون لآيات وأوقات وأيام وسنين. وتكون أنوار فى جلد السماء لتنير على الأرض وكان كذلك.

فعمل الله النورين العظيمين. النور الأكبر لحكم النهار. والنور الأصغر لحكم الليل. والنجوم. وجعلها الله فى جلد السماء لتنير على الأرض. ولتحكم على النهار والليل ولتفصل بين النور والظلمة. ورأى الله ذلك أنه حسن. وكان مساء وكان صباح يوماً رابعاً».

ووفقاً للنص السابق يكون خلق الليل والنهار قد تم فى اليوم الأول، فى حين أن الشمس - وهى مصدر الضوء - لم تُخلق إلا فى اليوم الرابع.

وجدير بالذكر أنه حتى نهاية القرن السابع عشر كان يُعتقد - طبقاً لتعاليم الكتاب المقدس - أن الشمس ليست هى مصدر الضوء، ولكنها فقط تقوم بتمريره على أساس أن الضوء وجوده مستقل، وظل الوضع كذلك إلى أن أثبت العلماء عكس هذا الكلام المفترى، وتيقنوا أن الشمس هى مصدر الضوء، وهذا عين ما جاء به القرآن الكريم، يقول الله سبحانه وتعالى: **﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾**[1] ويقول جل شأنه: **﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾**[2] وهذا هو الفارق بين الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم والعجز العلمى فى الكتاب المقدس.

5 - الأرض مسطحة:

جاء فى إنجيل متى إصحاح 4 عدد 8: **«ثم أخذه أيضاً إبليس إلى جبل عال جداً وأراه جميع ممالك العالم ومجدها»**.

وجاء فى إنجيل لوقا أصحاح 4 عدد 5: **«ثم أصعده إبليس إلى جبل عالٍ وأراه جميع ممالك المسكونة فى لحظة من الزمان»**.

---

(1) يونس: 5.

(2) نوح: 16.

ومن المعلوم أن الإنسان مهـما وصل به الأرتفاع فإنه لا يسـتطيع أن يرى جميع ممالك الأرض إلا إذا كـانت الأرض مسطحـة، ولما كانت الأرض كرويـة فإن هذا الأمر مستحيل التحقق، ولكن يبدو أن القمص زكريا بطرس سيغطى العجز العلمى للكتاب المقدس بالمعانى الروحية والأقوال المجازية!!

* * * *

الفصل الرابع

شبهات حول أزواج النبى ﷺ

أولاً: شبهة حول عدد أزواجه ﷺ:

فى إطار الرد عما أثاره الشيخ أحمد ديدات فى كتابه عتاد الجهاد[1] تحت عنوان «ولقد كانت هاجر زوجة لسيدنا إبراهيم»؛ وذلك حسب النص الذى ورد بالكتاب المقدس، والذى جاء فيه: **«فأخذت ساراى (سارة) امرأة أبرام (إبراهيم) هاجر المصرية جاريتها.. وأعطتها لأبرام رجلها زوجة له»**[2].

فى هذا الإطار يطرح مقدم البرنامج على القمص زكريا بطرس هذا التساؤل: ماذا عن الأمر الأخر الذى أثاره ديدات الخاص بأن إبراهيم كان متزوجاً أيضاً من هاجر فى نفس الوقت؟!

يجيب القمص: إن ديدات أراد التعتيم على أن النبى محمد كان متزوجاً من أكثر من ستين زوجة، بل فوق الستين، وادعى أن مراجعه فى هذا تمثلت فى السيرة البنوبة لابن كثير، وسيرة ابن هشام، وصحيح مسلم، وصحيح البخارى، ثم أخذ يعدد بعض أسماء النساء، بعضهن من أزواجه ﷺ، وأخريات لا نعلم من أين أتى بهن.

ثم يتساءل مقدم البرنامج: أيعقل أن يتزوج نبى الله بهذه الطريقة؟![3]

---

(1) عتاد الجهاد: ص 14.

(2) تكوين 16 :3.

(3) الحلقة 87.

- الرد:

بداية نقول: إن تعجب الشيخ أحمد ديدات لم يكن من جمع إبراهيم بين أكثر من امرأة، وإنما تعجبه لمخالفة الكتاب المقدس لما هو متفق عليه من حقائق، حيث إن هاجر لم تكن زوجة لسيدنا إبراهيم وإنما كانت سرّيته، والاختلاف بين الزوجة والسُرّية معروف، لذا تعجب أحمد ديدات، لكن مقدم البرنامج ومعه القمص فهما الكلام على هواهما وجعلا تعجب ديدات من الجمع بين امرأتين فى نفس الوقت، حتى يفتحا مجالاً للحديث عن زوجات النبى ﷺ.

أما قول القمص زكريا بطرس أن رسول الله ﷺ قد تزوج أكثر من ستين امرأة، فهذا كذب وبهتان، وحسبنا هنا المراجع الإسلامية الموثوق بها، وهى نفس المراجع التى رجع إليها القمص، لكنه - كعادته - قام بتحريف المعلومات التى استقاها من هذه المراجع، وكأن التحريف بالزيادة والنقصان أمر موروث يجرى مجرى الدم فى عروق القمص ومن على شاكلته.

ففى صحيح البخارى - وهو أحد المراجع التى استند إليها القمص - عن أبى قتادة، عن أنس بن مالك قال: [كان النبى ﷺ يدور على نسائه فى الساعة الواحدة من الليل والنهار، وهن إحدى عشرة.. وقال سعيد عن قتادة: إن أنساً حدثهم تسع نسوة][1].

ولا خلاف بين الروايتين؛ فالمراد بالإحدى عشرة اللاتى كان يطوف عليهن تسع زوجات، وسريتان كما سيتضح لنا حالاً.

وعن زوجاته تفصيلاً نقول: إن من تزوجهن ودخل بهن إحدى عشرة امرأة، وهن[2]:

(1) صحيح البخارى - كتاب الوضوء - باب إذا جامع ثم عاد ومن دار على نسائه فى غسل واحد.

(2) السيرة النبوية لابن هشام - جـ4 ص 372، تاريخ الطبرى جـ2 ص 494 وما بعدها، السيرة النبوية لابن كثير - جـ4 ص 461 وما بعدها، زاد المعاد فى هدى خير العباد لابن قيم الجوزية جـ1 ص 34 وما بعدها - سبل الهدى والرشاد (السيرة الشامية) جـ12 ص 15 وما بعدها، والبداية والنهاية لابن كثير - جـ5 ص 394.

1 - خديجة بنت خويلد: وهى أول من تزوج، ولم يتزوج ﷺ فى حياتها. وأصدقها رسول الله ﷺ عشرين بكْرَة.

2 - عائشة بنت أبى بكر الصديق، وعقد عليها وهى بنت سبع سنين، وبنى بها بالمدينة وهى بنت تسع سنين أو عشر، ولم يتزوج رسول الله ﷺ بكراً غيرها، وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمائة درهم.

3 - سودة بنت زمعة بن قيس، وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمائة درهم.

4 - زينب بنت جحش الأسدية، وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمائة درهم.

5 - أم سلمة، وهى هند بنت أبى أمية بن غالب القرشية، وأصدقها رسول الله ﷺ فراشاً حشوه ليف وقدحاً وصحفة ومَجِشَّة.

6 - حفصة بنت عمر بن الخطاب، وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمائة درهم.

7 - أم حبيبة، وأسمها رَمْلَة، بنت أبى سفيان بن حرب، وأصدقها النجاشى وهى بأرض الحبشة عن رسول الله ﷺ أربعمائة دينار.

8 - جُوَيْرِيَة بنت الحارث الخزاعية، وكانت فى سبايا بنى المصطلق، وقد قضى رسول الله ﷺ عنها كتابتها وتزوجها.

9 - صفية بنت حيى بن أخطب، وكانت من سبايا خيبر.

10 - ميمونة بنت الحارث، وأصدقها العباس عن رسول الله ﷺ أربعمائة درهم، ويقال: إنها التى وهبت نفسها للنبى ﷺ.

11 - زينب بنت خزيمة بن الحارث، وكانت تسمى أم المساكين لرحمتها إياهم ورقنها عليهم، وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمائة درهم.

فهؤلاء اللاتى بنى بهن رسول الله ﷺ، إحدى عشرة فمات قبله منهن ثنتان: خديجة بنت خويلد، وزينب ينت خزيمة، وتوفى عن تسع.

وأما من خطبها ولم يتزوجها، ومن وهبت نفسها له ولم يتزوجها، فنحو أربع أو خمس، وقال بعضهم: هن ثلاثون امرأة، وأهل العلم بسيرته وأحواله ﷺ لا

يعـرفون هذا، بل ينكرونه، والمعـروف عندهم: أنه بعث إلى الجـونية ليـتزوجـها، فدخل عليهـا ليخطبها، فاستعـاذت منه، فأعاذها ولم يتزوجها، وكـذلك الكلبية، وكذلك التى رأى بكشحهـا بياضاً، فلم يدخل بها، والتى وهبت نفسهـا له فزوجها غيره على سور من القرآن، هذا هو المحفوظ والمتفق عليه[1].

وبعد، فهـذا هو الكلام المسطور فى كتب السيرة النبوية المطهـرة، وكتب التاريخ الموثوق بها - وقـد أشرنا إلى معظمـها فى الحاشـية - فمن أين أتى القـمص زكريا بطرس بهذا الخـبر الذى كان يجهله المسلمـون فى مشارق الأرض ومغـاربها، بأن محمداً ﷺ تزوج من أكثر من ستين امرأة؟!

أما عن تعـجب مقدم البرنامج بقـوله: أيعقل أن يتزوج نبى الله بهـذه الطريقة؟! واتفاق القمص معه فى هذا التعجب؛ فنقول:

إن تزوج أى نبى بالنساء لا ينـتقص من نبوته، ولا ينال منهـا، فإذا كان محـمد ﷺ قد تزوج أكثر من ستين امرأة - على حسب زعم القمص - وإن كان لا يعقل أن يتزوج نبى الله بهذه الطريقـة، فما بالنا بنبى الله سليمان - عليـه السلام - وقد جمع بين ألف امرأة، وهذا بنص العـهد القديم: **«وكانت له (أى سليـمان) سبع مـائة من النساء السـيـدات وثلاث مائة من السـرارى..»**[2]، فهل قـال أحد أن سليمان بفعله هذا قد خرج من زمـرة الأنبياء، هذا قول لا يرضاه المسلمون؛ لأننا نؤمن بجميع الأنبياء والرسل، وكذلك لا يقبله اليهود ولا النصارى، لكن أن يجمع محـمد ﷺ بين إحدى عشـرة امرأة فهذا إثم كـبير، نوضع له المقـدمات الكاذبة، وتخـرج التتائج الأكـثر كـذباً حتى يـنالوا منه ﷺ، وذلك لأن العداوة والبـغضـاء للإسلام ونبى الإسلام هى المحرك الأول لهؤلاء ومن على شاكلتهم.

---

(1) زاد المعاد - ابن القيم الجوزية - جـ1 ص 37.

(2) ملوك أول 11: 3.

ثانياً - شبهات حول بعض زوجات الرسول ﷺ:

1 - عائشة بنت أبى بكر:

يعلق القمص على حديث زواج الرسول ﷺ من عائشة رضى الله عنها، فيقول: «أن عائشة لم تكن بالغة، وأنه قد جاء فى كتاب فتح البارى بشرح صحيح البخارى أنه دخل عليها دون البلوغ ولو كانت لا يوطأ مثلها»(1).

الرد:

فى الرد على هذه الشبهة علينا الرجوع إلى نفس المصادر التى استقى منها القمص معلوماته حتى نقف على مدى صدقه وأمانته فى النقل.

وبداية نجد أنه جاء فى صحيح البخارى عن هشام عن أبيه، قال: توفيت خديجة قبل مخرج النبى ﷺ إلى المدينة، بثلاث سنين، فلبث سنتين أو قريباً من ذلك، ونكح عائشة، وهى بنت ست سنين، ثم بنى بها، وهى بنت تسع سنين(2).

وعن عائشة - رضى الله عنها - أن النبى ﷺ تزوجها وهى بنت ست سنين وأدخلت عليه وهى بنت تسع ومكثت عنده تسع(3).

والحديث الأخير هو الذى استند إليه القمص زكريا بطرس فى إثبات أن النبى ﷺ دخل بعائشة وهى لم تصل لسن البلوغ، ويدعى أن هذا قد جاء فى كتاب فتح البارى بشرح صحيح البخارى.

وبالرجوع إلى كتاب فتح البارى نجد أن ابن حجر يقول فى شرحه لهذا الحديث: «.. وقد ورد حديث عائشة فى تزويج أبى بكر لها دون البلوغ..»(4).

---

(1) حلقة: 86، 89.

(2) صحيح البخارى - كتاب المناقب - باب تزويج النبى ﷺ عائشة وقدومها المدينة وبنائه بها.

(3) صحيح البخارى باب إمكاح الرجل ولده الصغار - حديث رقم 4738.

(4) فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى - جـ9 - ص 190 فى تعليقه على الحديث رقم 4738.

وعلينا أن نضع مائة خط تحت كلمــة «تزويج»، فالكلمة هنا تعنى العــقد، وليس الدخول، فالزوجية إنما تثبت من يوم العقد، أما الدخول فهو حق من حقوق الزوج الذى يثبت له بعد العقد، والمغايرة بين الزواج والدخول واضحة بنص الحديث، فقد جاء فى الحــديث: «.. تزوجها... وأدخلت عليــه..» وفى كل الأحوال لم يأت فى كتــاب فتح البارى الذى نقل عنه القــمص عبارة: «دخل عليــها دون البلوغ..» لكن يبدو أن القمص ينتهج نهج أسلافه **﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾**[1].

وعلى هذا، فالرســول ﷺ لم يدخل على عائشة - رضى الله عنهــا - إلا بعد بلوغها، وإلا لما كانت هناك فترة زمنية - ثلاث سنوات - بين عقده ودخوله عليها، وإذا قيل أن الغــالب الآن أن الفتاة فى سن التــسع سنوات لا تكون قد وصلت إلى سن البلوغ. نقول: أن سن البلوغ يختلف باختلاف البيئات، فمثلاً الفتاة فى المناطق الحارة فى بلوغها أسرع مــن فتيات المناطق الباردة، وإلى فترة قريبــة كان الفتيات فى صعــيد مــصر يتزوجن وهن بــنات إحدى عشــرة سنة وبل أقل من ذلك، وذلك لبلوغهن فى سن صغيرة، وقد جاء فى شرح النووى لصحيح مسلم: وكانت - أى عائشة - قد شبت شباباً حسنا رضى الله عنها[2]، وهذا يدل على أن النبى ﷺ قد دخل بها وهى بالغة.

2 - زينب بنت جحش:

يثير القمص زكريا بطرس شبــهة حول زواج الرسول ﷺ من زينب بنت جحش فيقول: «هل من قلة النساء فى عهد مــحمد أن يتزوج زينب بيت جحش امرأة ابنه بالتبنى زيد بن الحارثة؟

(1) المائدة: 41.

(2) صحيح مسلم بشرح النووى - جـ9 ص 527.

ويضيف تعليقاً على إلغاء الله سبحانه وتعالى لنظام التبنى: «وإذا كان قد ألغى التبنى - يقصد محمد ﷺ - فقد ألغاه لغرض فى نفس عمر، فالإلغاء كان مسبب. وذكر أن محمداً ﷺ رآها - أى زينب - فوقع هواها فى نفسه»[1] ومضمون كلام القمص هو أن محمداً ﷺ قد ألغى التبنى لهدف واحد، وهو تمهيده لزواج زينب بنت جحش.

الرد:

بداية نقول أن محمداً ﷺ لم يلغ نظام التبنى، ولكن ألغاه الله سبحانه وتعالى من فوق سبع سموات؛ فالقرآن ليس قول بشر، يقول سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[2].

أما عن إلغاء التبنى، يقول الله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[3].

ويوضح لنا ابن كثير منطق الآية فى تحريم التبنى، والربط بينه وبين ما قبله فيقول: «يقول تعالى قبل المقصود المعنوى أمراً معروفاً حسياً وهو أنه كما لا يكون للشخص الواحد قلبان فى جوفه ولا تصير زوجته التى يظاهر منها بقوله أنت على كظهر أمى أماً له كذلك لا يصير الدعى ولداً للرجل إذا تبناه فدعاه ابناً له. وقوله

(1) حلقة 87، 94.

(2) النحل: 102.

(3) الأحزاب: 4، 5.

تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ هذا هو المقصود بالنفى؛ فإنها نزلت فى شأن زيد بن حارثة رضى الله عنه مولى رسول الله ﷺ، كان النبى ﷺ قد تبناه قبل النبوة فكان يقال له زيد بن محمد، فأراد الله تعالى أن يقطع هذا الإلحاق. وقال ههنا: ﴿ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ يعنى تبنيكم لهم قول لا يقتضى أن يكون ابنا حقيقياً، فإنه مخلوق من صلب رجل آخر، فما يمكن أن يكون له أبوان، كما لا يمكن أن يكون للبشر الواحد قلبان. وقوله عز وجل ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ﴾ هذا أمر ناسخ لما كان فى ابتداء الإسلام من جواز ادعاء الأبناء الأجانب وهم الأدعياء، فأمر تبارك وتعالى برد نسبهم إلى أبائهم فى الحقيقة، وأن هذا هو العدل والقسط والبر. وقوله عز وجل: ﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾ أمر تعالى برد أنساب الأدعياء إلى آبائهم إن عرفوا فإن لم يعرفوا فهم إخوانهم فى الدين ومواليهم أى عوضاً عما فاتهم من نسب»(1).

وقد نزل فى شأن زواجه ﷺ من زينب بنت جحش قول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (٣٧) مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾(2).

يقول ابن كثير فى تفسيره: «يقول الله تعالى مخبراً عن نبيه قال لمولاه زيد بن حارثة رضى الله عنه، وهو الذى أنعم الله عليه أى بالإسلام ومتابعة الرسول ﷺ ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ أى بالعتق من الرق، وكان رسول الله ﷺ قد زوجه بابنة عمته

(1) باختصار من تفسير القرآن العظيم - تفسير الآيتان 5,4 من سورة الأحزاب.

(2) الأحزاب: 37، 38.

ﷺ زينب بنت جحش الأسدية - رضى الله عنها، وأمهـا أميمة بنت عبد المطلب، فمكث عنده قريبـاً من سنة أو فوقها، ثم وقع بينهما فـجاء زيد يشكوها إلى رسول الله ﷺ فجعل رسول الله يقول له أمسك عليك زوجك واتق الله[1].

قال الله تعالى: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ ذكر ابن أبى حاتم وابن جرير ههنا آثاراً عن بعض السلف رضى الله عنهم أحـببنا أن نضرب عنها صـفحاً فلا نوردها لعدم صحتها[2] (يقصد ابن كثيـر تلك الروايات الضعيفة التى تدعى أن رسول الله ﷺ قد وقع فى نفـسه شيء عند رؤيته لزينب بيت جحش، وأنه أحـبها تبعـاً لذلك، وتلك الروايات - التى يتمسك بهـا أصحاب الأباطيل - يدحضـها أن زينب بنت جحش هى ابنة عم الرسول ﷺ، وقد رآها مئات المرات قبل أن يزوجها لزيد، والرسول ﷺ هو الذى زوجـها لزيد، فلو كان فى قلبـه شيء منها لتزوجـها ﷺ ولما كان زوَّجها زيداً).

نعود إلى تفسير ابن كثير حيث يقول فى تفسير الآية: أن الله تعالى أعلم نبيه ﷺ أن زينب ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجـها فلما أتاه زيد رضى الله عنه ليشكوها إليه قال: اتق الله وامسك عليك زوجك فقال قد أخبرتك أنى مزوجكها وتخفى فى نفسك ما الله مبديه[3].

ويورد القرطبى فى تفسير بعض الشبهات بخصوص هذا الموضوع فيقول[4]: «أنه ﷺ إنما عتب الله عليـه فى أنه قد أعلمه أن سـتكون هذه من أزواجك فكيف قال بعد ذلك لزيد: أمسك عليك زوجك وأخذتك خشية الناس أن يقولوا: تزوج امرأة ابنة (سبحان الله، فهو نفس قول القمص زكريا بطرس) والله أحق أن تخشاه، وقال

(1) تفسير القرآن العظيم - تفسير الأية 37 من سورة الأحزاب.

(2) السابق.

(3) السابق.

(4) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبى) - من تفسير الآية 37 من سورة الأحزاب.

النحاس: قال بعض العلماء: ليس هذا من النبى ﷺ خطيئة، ألا ترى أنه لم يؤمر بالتوبة ولا بالإستغفار منه، وقد يكون الشىء ليس بخطيئة إلا أن غيره أحسن منه، وأخفى ذلك فى نفسه خشية أن يفتتن الناس. والثانية: قال ابن عربى: فإن قيل لأى معنى قال له: امسك عليك زوجك، وقد أخبره الله أنها زوجة؟ قلنا: أراد أن يختبر منه ما لم يُعلمه الله من رغبته فيها أو رغبته عنها، فأبدى له زيد النفرة عنها والكراهة فيها ما لم يكن علمه منه فى أمرها؛ فإن قيل كيف يأمره بالتمسك بها وقد علم أن الفراق لابد منه وهذا تناقض قلنا: بل هو صحيح للمقاصد الصحية لإقامة الحجة ومعرفة العاقبة؛ ألا ترى أن الله تعالى يأمر العبد بالإيمان وقد علم إنه يؤمن، فليس فى مخالفة متعلق الأمر لمتعلق العلم ما يمنع من الأمر به عقلاً وحكماً».

إذن، فقد ألغى الله سبحانه وتعالى نظام التبنى، وذلك لأنه أمر معنوى ولا يصح أن يكون له نفس آثار الأمر الحسى (أى البنوة الحقيقية)، ثم زاد ذلك بياناً وتأكيداً بوقوع تزويج رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش رضى الله عنها لما طلقها زيد بن حارثة رضى الله عنه، ولهذا قال الله تعالى فى آية التحريم: ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾[1] فهذا التحريم يسرى على مطلقة الابن الصلبى الحقيقى، لذا قال: من أصلابكم.

وهذا يعنى أن الرسول ﷺ إنما تزوج زينب بنت جحش لأمر إلهى تأكيداً لتحريم التبنى، وليس كما يُفترى أنه ﷺ هواها أو حسنت فى نظره، فكما سبق وذكرنا هى ابنة عمه، وكانت أمامه قبل أن يزوجها لزيد، وبل كانت بكراً لا ثيباً، ومع ذلك لم يلتفت إليها ﷺ.

(1) النساء: 23.

3 - جويرية بنت الحارث:

يقول القمص زكريا بطرس: «أن محمداً قد أخذ نساء من أزواجهن، زينب بنت جحش، وصفية بنت حيى، وجويرية بنت الحارث، والفتاة الفزارية» ويذكر أن جويرية كانت من نصيب ثابت بن قيس، وذلك فى غزوة بنى المصطلق، لكن محمد أخذها منه.

ويذكر أن مراجعه هى السيرة النبوية، وتاريخ الطبرى[1]. وكان سنده فى ذلك حديث السيدة عائشة - رضى الله عنها - الذى سنورده فى الرد على هذه الشبهة.

الرد:

فى الرد على ما أثاره القمص زكريا بطرس بخصوص زواجه ﷺ من جويرية بنت الحارث، نجد أنه لزاماً علينا أن نورد حديث السيدة عائشة رضى الله عنها، حيث أنه يعتبر المصدر الأساسى الذى اعتمدت عليه كتب السيرة فى هذا الشأن، على أن نقوم بعد ذلك بالتعليق عليه.

فعن عائشة رضى الله عنها، قالت: لما قسم رسول الله سبايا بنى المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث فى السهم لثابت بن قيس بن الشماس، أو لابن عم له، فكاتبته على نفسها، وكانت امرأة حُلْوَة مُلاَّحة لا يراها أحد إلا أخذت نفسه، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه فى كتابتها قالت عائشة: فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتى فكرهتها، وعرفت أنه سيرى منها ﷺ ما رأيت، فدَخَلَتْ عليه، فقالت: يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار سيد قومه، وقد أصابنى من البلاء ما لم يخف عليك، فوقعت فى السهم لثابت بن قيس بن الشماس، أو لابن عم له، فكاتبته على نفسى، فجئتك أستعينك على كتابتى، قال: «فهل لك فى

(1) حلقة: 87، 94.

خيـر من ذلك؟» قـالت: وما هـو يا رسول الله؟ قـال: «أقـضى عنك كـتـابتك وأتزوجك».

قالت: نعم يا رسول الله، قـال: «قد فعلت» قالت: وخـرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ قد تزوج جويرية ابنة الحارث، فـقال الناس أصهار رسول الله ﷺ، وأرسلوا مـا بأيديهم، قـالت: فلقـد أعتق بتـزويجـه إياها مـائة أهل بيت من بنى المصطلق، فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها[1].

باستقـراء هذا الحديث - وقد أورده القمص زكـريا بطرس فى الحلقة 94 ورتب عليه نتائجه الباطلة - باستقـرائه نجد أن جويرية بنت الحارث قد كاتبت ثابت بن قيس أو ابن عمه على نفسها، فما معنى الكتابة؟

الكتابة عقد يعقد بين السيد وعبـده بتحديد التعويض الواجب للسيد وترك العبد يعمل مستقلاً للوفاء بالقيمة المتفق عـليها مقسطة على أقساط يحددها العقد فإذا تم الوفاء بها جميـعاً صار العبد حراً نهائياً، فالكتـابة إذن وسيلة من وسائل تحرير الرق فى الإسلام.

وعلى هذا نجد أن ثابت بن قيس لم يتخذ جويرية زوجة أو سرّية، ولكن كل ما فعله هو إبرام المكاتبة، وبمجرد سداد قيمة العقد ستعود إليها حريتها.

إلى هذا الحـد ينتهى دور ثابت بن قـيس؛ فكل مـا كان ينتظره من جـويرية هو سداد قيمة العقـد المتفق عليه مقابل حريتها، فما كان من الأخـيرة إلا أنها استعانت برسول الله ﷺ ليسدد عنها ما تفقت عليه مع ثابت بن قيس، فعرض عليها رسول الله ﷺ الزواج، فوافقت على الفور، فإن قـيل أنها أُكرهت على هذا الزواج حتى

(1) السيرة النبـوية لابن هشام جـ3 ص 133، تاريخ الطبرى - أحداث السـنة السادسة - جـ2 ص 424، سبل الهـدى والرشاد (السـيرة الشـامـيـة) جـ12 ص 124، وكذلك جـ4 ص 489، وانظر: زاد المعاد جـ1 - ص 25.

تنال حريتها، نقول: أن رسـول الله ﷺ قال لها عندما استعانته على كـتابتها: «فهل لك فى خير من ذلك؟» ثم قال: «أقضى عنك كتابتك وأتزوجك»، فهى طلبت أمر واحد، قضاء الكتـابة، لكنه ﷺ عرض عليها الأكثر من ذلك، وهـو قضاء الكتابة والزواج من نفســه الشريفة، ومن يعـرض الأكثر يوفى بالأدنى وهو الكتـابة فقط، وعلى ذلك فلو كانت جـويرية قد رفضت الزواج من رسـول الله ﷺ لكان قضى عنها كتابتها.

لكن لماذا تزوج رسول الله ﷺ جويرية؟

من الممكن أن نطلـق على هذا الزواج مـصطلح الزواج السـياسى، فـجـويرية تنتسب إلى بنى المصطلق، وهى بطن من بطون خـزاعة، ووالد جويرية هو الحارث بن أبى ضرار سيـد قومه وملك خزاعة، وقد ذكـر ابن كثير[1] أن هذا البطن من خزاعة كانوا حلفاء لأبى سفيان على رسول الله ﷺ.

إذن فقد حقق رسول الله ﷺ عدة أهداف من هذا الزواج؛ فأولاً: نجد أنه قد ألف بهـذا الزواج قلوب بنـى المصطلق، وبل كل خـزاعـة، عـسى أن ينفـذ نور الإسـلام إلى قلوبهم، وثانيـاً: تقـويض معـاهدة التـحـالف العـسكرى - بين بنى المصطلق وأبى سفيان - من جذورها، فقد أصـبحوا بهذا الزواج أصهار رسول الله ﷺ. وثالثاً: فقد كـسب رسول الله ﷺ إلى جانبه قوة هذه القبـيلة التى لن تتخاذل عن نصرة رسـول الله ﷺ زوج ابنة سيدهم. كل هذا تم فى وقت كـان المسلمون فى حاجة إلى القضاء على أى تحالف مبرم مع قريش، حيث أنه حتى هذا الحين لم تكن معاهدة الحديبية قد أبرمت بعد، تلك المعاهدة التى وضعت حداً للحروب مع الجيوش المكية بهدنة حددتها المعاهدة بعشر سنوات.

(1) صفوة السيرة جـ4 ص 467، والبداية والنهاية جـ5 ص 399.

أما مـا جاء فى حديث عـائشة - رضى الله عنها - من أن جـويرية كانت حُلوة مُلاّحـة لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه، وقولها: وعـرفت أنه ﷺ سيرى منهـا ما رأيت.

نقول: أن عائشة - رضى الله عنها - كانت شديدة الغيرة على رسول الله ﷺ، وما قـالته فى هذا الحـديث إنما هو محـض نقل للصورة التى تمثلت فى ذهنـها من حيث أنها امرأة تتحكم فيها العاطفة، تلك العاطفة التى تطغى على أى منطق عقلى، وعلى هذا لا يلزم أن يكون رسول الله ﷺ قـد رأى فى جويرية ما رأته عـائشة - رضى الله عنها - فلم يشغل باله ﷺ ما إذا كانت جـويرية جميلة أم دميمة، ولكن كل ما ثار فى ذهنه ﷺ عندمـا قرر الزواج منها هى تـلك الأهداف والغايات التى تحدثنا عنها آنفاً.

وبعد عرض رواية عائشـة، والتعليق عليها - إذا افترضنا جدلاً أنهـا صحيحة - ووصولنا إلى نتيجة مـؤداها أن رسول الله ﷺ لم يأخذ جويرية من ثابت بن قيس، وأن هذا الأخير لم يتخذها له زوجة كما ادعى القمص زكريا بطرس، بعد كل هذا يكون حـرى بنا أن نعرض لرواية أخـرى وردت فى شأن زواجه ﷺ من جـويرية، ورغم أن الرواية قد ذكرت فى نفس المراجع التى يُحرف منها القمص زكريا بطرس إلا أنه لم يعرض لهـا، لأن لم تكن لتسـاعده فى الوصول إلى بـغيتـه، وسنعرض الرواية من عدة مصادر حتى نزيد الأمر ايضاحاً.

فيقـول ابن كثير نقـلاً عن سيف بن عمر: وسبى رسـول الله ﷺ جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار بن الحـارث بن عامر بن مالك بن المصطـلق من خزاعة يوم المريسيغ فأعتقها وتزوجهـا، ويقال: بل قدم أبوها الحارث وكان ملك خزاعة فأسلم ثم تزوجها منه[1].

(1) البداية والنهاية جـ5 ص 399، وصفوة السيرة - جـ4 ص 467.

وجاء فى طبقات ابـن سعد عن أبى قِلابة قال: جاء أبو جويريـة فقال: لا يسبى مثلها، فخل سبيلها، فقـال: بل أخيرها، قال أحسنت، فأتى أبوها، فقال: إن هذا الرجل خيرك فلا تفضحينا، قالت: فأنا أختار الله ورسوله(1).

وعن عبـد الله بن زياد قال: أفاء الله تعـالى على رسوله ﷺ عـام المُرَيْسيغ فى غزوة بنى المُصْطَلق جويرية بنت الحارث، فأقبل أبوها فى فـدائها، فلما كان بالعقيق نظراً إلى إبله التى يفدى بها ابنته، فرغب فى بعيرين منها كـانا من أفضلها، فغيبهما فى شِعْب من شِعـاب العقيق، ثم أقبل إلى رسول الله ﷺ بسـائر الإبل، فقال: يا محمد، أصـبتم ابنتى، وهذا فداؤها، فقال رسول الله ﷺ: فـأين البعيران اللذان غَيّبْت بالعقيق بشِعْب كذا؟ فقال الحارث: أشهد أنك رسول الله، ولقد كان منى فى البعيرين، وما اطّلع على ذلك إلا الله تعالى، فأسلم(2).

ويزيد ابن هشام الأمـر إيضاحاً فيـقول: «لما انصرف رسـول الله من غزوة بنى المصطلق ومعـه جويرية بنت الحـارث، وكان بذات الجيش، دفـع جويرية إلى رجل من الأنصار وديعة، وأمره بالاحتفاظ بها، وقدم رسول الله ﷺ المدينة، فأقبل أبوها الحارث بن أبى ضـرار بفداء لبنتـه، فلما كان بالعـقيق نظر إلى الإبل التى جـاء بها للفداء، فرغب فى بعيرين منها فغيبـهما فى شعب من شعاب العقيق، ثم أتى النبى ﷺ، وقال: يا مـحمد أصبـتم ابنتى وهذا فداؤها، فقال رسـول الله ﷺ: «فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق فى شعب كذا وكذا»؟ فقال الحارث: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك مـحـمد رسـول الله، فـوالله مـا اطلع على ذلك إلا الله، فـأسلم الحارث، وأسلم مـعه ابنان له وناس من قومـه، وأرسل إلى البعيـرين فجاء بهـما،

(1) الطبقات الكبرى لابن سعد - جـ8 ص 118، وسبل الهدى والرشاد جـ12 ص 124.
(2) سبل الهدى والرشاد - جـ4 ص 500.

فدفع الإبل إلى النبى ﷺ ودفعت إليه ابنته جويرية، فأسلمت وحسن إسلامها، فخطبها النبى ﷺ إلى أبيها، فزوجه إياها، وأصدقها أربعمائة درهم[1].

وباستعراض الروايات السابقة نجد أنه لم يرد بها أن جويرية قد وقعت فى السهم لثابت بن قيس، والتساؤل الذى يثور الآن، لماذا ذكرت عائشة - رضى الله عنها - فى حديثها أن جويرية وقعت فى السهم لثابت بن قيس؟

إجابة هذا التساؤل نجدها فى الرواية الأخيرة التى أوردناها عن ابن هشام، حيث قال: «دفع جويرية إلى رجل من الأنصار وديعة، وأمره بالاحتفاظ بها»، ويزداد الأمر إيضاحاً إذا علمنا أن ثابت بن قيس - أو ابن عمه - من الأنصار، وتحديداً من الخزرج[2]، وعلى هذا لم تفطن عائشة - رضى الله عنها - أن جويرية مودعة لدى ثابت بن قيس، فظنت أنها وقعت فى سهمه، ولهذا جاءت روايتها على النسق السابق بيانه.

وننتهى من العرض السابق إلى أن جويرية بنت الحارث - سواء فى رواية عائشة أو الروايات الأخرى - لم تكن زوجة لثابت بن قيس، وأقصى ما يكون وضعها - إذا أهملنا الروايات الأخرى - أن ثابت كاتبها على نفسها، وأن رسول الله ﷺ قد قضى عنها كتابتها، وأن زواجه منها كان للأهداف والغايات التى ذكرناها سابقاً، وأن ادعاءات القمص زكريا بطرس فى هذا الشأن كانت محض افتراء وتحريف لا تحتمله نصوص الروايات السابقة، فتأمل.

4 - صفية بنت حيى:

يسأل مقدم البرنامج القمص زكريا بطرس[3]: وماذا عن صفية بنت حيى؟

(1) السيرة النبوية لابن هشام - جـ3 ص 134.

(2) الإصابة - جـ1 ص 295.

(3) حلقة: 94.

فيقــول القمص: فى غزوة خيــبر سنة 7 هـ حاصر النبى القــموص حصن أبى الحقــيق، وأصاب رسول الله منهم ســبايا، منهن صفــية بنت حيى، وكــانت زوجة لكنانة بن أبى الحقيق، وبنتى عم لها، فاصطفى رسول الله صفية لنفسه، وكان دحية بن خليفة الــكلبى قد سأل رسول الله صفــية، فلما أخذها النبي لنفــسه أعطاه بنتى عمهــا (الكلام ده فى السيرة النبوية لابن هشام، وفى تاريخ الطبــرى، وفى طبقات ابن سعد)[1].

ويضيف: (بعد ما خدها دحية الكلبى راح خــدها منه وفكها باتنين بنات عمها، قــال له خُد اتنين وهاتهــا لى، فكانت من نصــيب دحيــة الكلبى، ده صحــابى من الصحابيين).

وما زال الكلام على لســان القمص: وقال ابن اسحــق: ولما أعرس رسول الله بصفــية بخــيــر، أو ببعض الطريق، وكــانت التى جملتــها لرســول الله ومشطتــها وأصلحت من أمــرها أم سليم أم أنس بن مــالك (ده كــان واخد وياه فى الجــيش ماشطة توضب له الستات وتعمل لها ماكيــاج) فبات بها رسول الله فى قبة له (عمل قبة مخصوص وبات وياها، بدون العدة بتاعتها ما تنتهى، بدون ما يقدر مشاعرها، ودخل عليها فى نفس اليوم، طب ماعندهاش مشاعر).

ثم يذكر رواية ابن اسحق: قام فينا رسول الله فقال: لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم والآخر أن يصيب امرأة من السبى حتى يستبرئها».

فيسأله مقدم البرنامج: ما معنى يستبرئها؟

---

(1) ما بين القوسين هو تعليــق للقمص زكريا بطرس أثناء عرضه للرواية فـضلت أن أكتبه كمــا قاله، وقد يكون باللغة العامية فى كثير من الأحيان فليغفر لى القارئ.

فيجيب: يدى لها فترة العدة، يمر عليها ثلاثة شهـور، يأتيها الحيض، فتبان إنها مش حامل من الرجل الأولانـى فيتزوجـها الثـانى، لكن هو ماعملش كـده، خد صفية فى نفس اليوم اللى قتل فيه أهلها وماستناش عليها ثلاث شهور وبات معها.

ويضيف القمص: قد علق على ذلك الدكتور سيد القـمى فى كتابه إسلاميات وقال: لقد بنى بها (يعنى دخل بها)، ولم تكمل عدتها.

الرد:

أثار القمص زكريا فى هذا الموضع شبهتين، الأولى: ادعاؤه أن صفية بنت حيى كانت لدحية الكلبى قبل أن يساومه رسول الله ﷺ ويعطيه ابنتى عمها هوضاً عنها، والثانية: ادعاؤه أن رسول الله ﷺ قد دخل بصفية بنت حيى قبل أن يستبرئها.

وفى مقام الرد على الشبهـة الأولى يكون حرياً بنا أن نعرض للرواية الكاملة التى استند إليها القمص زكريا بطرس خالية من تعليقاته القيّمة!!

يقول ابن اسحاق فى سياق كلامه عن فتح حصون خيبر وأخذ أموالها: «وتدنّى رسول الله ﷺ الأمـوال يأخذها مـالا مالا، ويفتـتحـها حصنا حـصنا، فكان أول حصـونهم افتُتح حـصن ناعم، . . ثم القمـوص حصن بنى أبى الحقـيق، وأصاب رسول الله ﷺ منهم سبايا منهن صفـية بنت حيى بن أخطب، وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق، وبنتى عم لها، فاصطفى رسـول الله ﷺ صفية، وكان دحية بن خليفة الكلبى قد سأل رسول الله ﷺ صفـية، فلما اصطفاها لنفسه أعطاه ابنتى عمها، وفشت السبايا من خيبر فى المسلمين[1].

وباستقـراء الرواية السابقة يتضح لـنا بجلاء أن دحية الكلبى قـد سأل رسول الله ﷺ صفـية بنت حيى بـعد أن أصطفاها لنفـسه ﷺ، فلا نعلـم كيف ثار فى ذهن القمص أن صفية كانت لدحية ثم أخذها منه رسول الله ﷺ.

(1) سيرة ابن هشام: جـ3 ص 155، وانظر تاريخ الطبرى: جـ2 ص 441.

وتساند الرواية السـابقة رواية أخرى - من نفس المصدر - وإن كـانت قد جاءت بتفاصـيل أكثر، قال ابن إسحـاق: «ولما افتتح رسول الله ﷺ القـموص حصن بنى أبى الحُقَيْق أتى رسـول الله ﷺ بصفية ابنة حُـيى بن أخطب، وبأخرى معهـا، فمر بهما بلال - وهو الذى جاء بهما - على قتلى من قتلى يهود، فلما رأتهم التى مع صفيـة صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على رأسهـا، فلما رآها رسول الله ﷺ قال: «أعـزبوا عنى هذه الشيطانة» وأمر بصـفية فحـيزت خلفه، وألقى عليـها رداءه، فعـرف المسلمون أن رسول الله ﷺ قد اصطفـاها لنفسه؛ فقـال رسول الله ﷺ لبلال - فـيما بلغنى، حين رأى بتلك اليـهودية ما رأى -: «أنُزِعَت الرحـمة يا بلال حين تمر بامرأتين على قتلى رجالهمـا» وكانت صفية قد رأت فى المنام - وهى عروس بـكنانة بن الربيع بن أبى الحقـيق - أن قمـراً وقع فى حجـرها، فعـرضت رؤياها على زوجـها، فـقال: ما هذا إلا أنك تمـنين ملك الحجـاز محمـداً، فلطم وجهها لـطمة خضَّر عينها منهـا، فأتى بها رسول الله ﷺ وبها أثر منه، فسـألها ما هو؟، فأخبرته هذا الخبر[1].

والتساؤل الذى يثور الآن: لماذا لم يعط رسول الله ﷺ، صفية بنت حيى لدحية الكلبى عندما سأله إياها؟

نقول: إن الأخلاق الكريمة تأبى أن يجمع على بنت سـيد القوم - بعد الهزيمة - الرق والحياة على مستوى أقل رتب الجيش المنتصر قدرة اقتصادية ومكانة اجتماعية، ومن ثم كان الأوفق أن يوكل أمرها إلى رئيس القوم المنتـصر وقد أضاف النبى ﷺ مكرمة جديدة هى التحرير من الرق ثم مكرمة أخرى هى الرفع إلى مستوى امهات المؤمنين، خاصة إذا علمنا أن صفـية بنت حيى من ذرية نبى الله ورسوله هارون بن عِمْران، أخى موسى، عليهما الصلاة والسلام[2].

(1) سيرة ابن هشام: جـ3 ص 159، وتاريخ الطبرى جـ2 ص 442.

(2) انظر - د. محمد بدر: الديمقراطية الأثينية وسيادة القانون فى التوراة والإنجيل والقرآن. ص 521، وكتابنا: الرسول والسيف ص 46.

ولكى نعرض لهذه الواقعة بموضوعية كاملة علينا أن ننوه أن هناك بعض الروايات التى توحى أن رسول الله ﷺ قد أخـذ صفية من دحيـة الكلبى بعد أن أعطاها له، تقول الرواية:

«... فجاءه دحية فقـال: يا رسول الله أعطنى جارية من السبى، فقال: اذهب فخذ جـارية، فأخذ صفيـة بنت حيى، فجاء رجل إلى النبـى ﷺ فقال: يا نبى الله أعطيت دحية صفية بنت حيى سيد قريظة والنضير، ما تصلح إلا لك، فقال: ادعوه بها، فجاء بها فلما نظر إليها النبى ﷺ قال: خـذ جارية من السبى غيرها، وأعتقها وتزوجها..»[1].

وفى رواية: «... ووقعت فى سـهم دحية جارية جـميلة فاشتـراها رسول الله ﷺ بسبعة أرؤس...»[2].

والروايتان السابقتان لا تناقضا ما سبق وذكرناه من روايات، وكل ما فى الأمر أن الراوى فى الروايتين الأخيرتين - والروايتان عن أنس - قد ثار فى ذهنه أن صفية قد وقعت بالفـعل فى سهم دحيـة الكلبى، وهذا وهم منه، لأن ما حـدث هو سؤال دحيـة الكلبى رسول الله ﷺ أن يعطيـه صفيـة، ولكن رسول الله ﷺ رفض هذا المطلب لحكمة ارتأهـا، ويجلى لنا الإمام النووى ما غـمض مستـهدياً برأى المازرى فيقول: «يحـتمل ما جرى مع دحية وجهين: أحـدهما أن يكون رد الجارية برضاه، وأذن له فى غيرها، والثانى: أنه إنما أذن له فى جـارية من حشو السبى لا أفضلهن (نسباً ورتبة)، فلما رأى النبى ﷺ أنه أخذ أنفسهن وأجودهن نسباً وشرفاً فى قومها استرجعهـا لأنه لم يأذن فيها، ورأى فى إبقائها لدحية مفـسدة تميزه بمثلها على باقى الجيش، ولما فـيه من انتـهاكهـا مع مرتبتـها وكونهـا بنت سيـدهم، ولما يخاف من

(1) صحيح مسلم: كتاب النكاح - باب فضيلة إعتاقه أمته ثم يتزوجها.

(2) المصدر السابق.

استعـلائها على دحية بسبب مـرتبتها، وربما ترتب على ذلك شقـاق أو غيره فكان أخذه ﷺ إياها لنفســه قاطعاً لكل هذه المفاسد المتخوفـة. وقوله فى الرواية الأخرى إنها وقعت فى سهم دحـية فاشتراها رسول الله ﷺ بسبـعة أرؤس يحتمل أن المراد بقوله: وقعت فى سهمـه أى حصلت بالإذن فى أخذ جارية ليوافق باقى الروايات، وقوله: اشتراها أى أعطاه بدلها سبعة أنفس تطييباً لقلبه، لا أنه جرى عقد بيع وعلى هذا تتفق الروايات»[1].

أما عن الشبهة الثانية التى أثارها القمص زكريا بطرس والتى يدعى فيها أن رسول الله ﷺ دخل بصفـية بنت حيى قبل أن يسـتبرئها فنقـول: أن هذا لا يليق بأشرف خلق الله، خاتم المرسلين والنبيين محمد ﷺ النبى الأمين.

وفى واقع الأمر نجـد أن كثيـراً من المصادر الإسلامـية - وأكثـرها يستند إليـها القمص زكـريا بطرس ليثيـر شبهـاته بعد أن يلوى أعناق نصوصـها - هذه المراجع ذكرت أن رسـول الله ﷺ قد بنى بصـفية بعـد أن أكملت عدتهـا، منها صـحيح مسلم[2]، فقـد جاء به أن صفيـة قد اعتدت فى بـيت أم سليم، ويقول النووى فى شرح هذا الحديث: «وتعتد فى بيتها (أى بيت أم سليم) فـمعناه تستبرئ فإنها كانت مسبية يجب استبراؤها وجعلها فى مدة الاستبراء، فلما انقضى الاستبراء جهزتها أم سليم وهيأتها أى زينتها وجملتها على عادة العروس»[3].

وقد ذكر ابن كـثير فى أكثـر من موضع: أن رسول الله ﷺ دخل بصفـية بعد استـبرائها، نذكـر منها قوله: «. . . وتقـدم أن رسول الله ﷺ لما حلت صفـية من استبرائها دخل بها بمكان يقال له سد الصهباء فى أثناء طريقه إلى المدينة»[4].

(1) صحيح مسلم بشرح النووى: جـ9 ص 537.
(2) كتاب النكاح - باب فضيلة إعتاقه أمته ثم يتزوجها.
(3) صحيح مسلم بشرح النووى: جـ9 ص 539.
(4) انظر: البداية والنهاية جـ4 ص 270، 271، 292، وصفوة السيرة: جـ3 ص 159.

وجاء فى السيرة الشامية: «. . . ثم دفعها - يعنى صفية بنت حيى - إلى أم سليم تصنعها وتهيئها، وتعتد فى بيتها. . »[1].

ونود هنا أن نصحح معلومة للقمص، وهى أن عدة المسبية ليست ثلاثة شهور كما ذكر، وإنما عدتها هى: بوضع الحمل عن الحامل، وبحيضة واحدة عن الحائل - أى غير الحامل -[2] والحكمة فى جعل العدة بحيضة واحدة وليست ثلاث قروء هى أن الهدف الأوحد من العدة فى هذا المقام هو التأكد من استبراء الرحم ليس إلا، وذلك بخلاف عدة المطلقة، فهو أطول أمداً لحكم ليس هنا مجال ذكرها. وقصر مدة الحيضة على النحو السالف بيانه يفسر لنا دخوله ﷺ بصفية قبل بلوغه المدينة.

أما ما قاله الدكتور سيد القمنى - إذا كان قاله - وهو أن رسول الله ﷺ قد بنى بصفية ولم تكمل عدتها، فهذا كلام باحث قاصر بحثه، وشاب العوار قوله، وما ذكره ليس بحجة على المسلمين.

ومن العرض السابق يتضح لنا عدم إنصاف القمص زكريا بطرس فيما ادعاه، وقد رأينا كيف أن المراجع التى يستند إليها تُكذب ادعاءاته، فلا الرسول ﷺ قد أخذ صفية من دحية الكلبى بالصورة التى صورها القمص، ولا هو ﷺ دخل بها قبل أن يستبرئها.

5 - الفتاة الفزارية:

يقول القمص زكريا بطرس[3]: النقطة الرئيسية فى هذه الزيجات أن محمداً قد أخذ هؤلاء النساء الأربعة من أصحابه، فأخذ زينب بنت جحش من زيد بن حارثة، وأخذ صفية بنت حيى من دحية الكلبى، وأخذ جويرية بنت الحارث من ثابت بن قيس، وأخذ الفتاة الفزارية من الصحابى سلمة.

---

(1) سبل الهدى والرشاد (السيرة الشامية) جـ12 - ص 127.

(2) انظر - صحيح مسلم بشرح النووى - جـ10 - ص29.

(3) حلقة 95. وما بين الأقواس هى تعليقات للقمص زكريا بطرس كتبناها كما سمعناها، وليغفر لى القارئ.

ثم يروى القمص قصة الفتاة الفزارية فيقول: وردت القصة فى سيرة ابن هشام والسيرة الحلبية والمصادر الأخرى، ويضيف: كان محمد قد كلف أبا بكر الصديق بالخروج على رأس سرية إلى فزارة ليقتل الناس على مائهم (يعنى الناس تروح تشرب يقتلوهم هناك)، وكان نصيب الصحابى سلمة فتاة رائعة الجمال، ويقول على لسان سلمة: عندما عدت إلى المدينة بت ليلتى معها - يعنى مع الفتاة الفزارية - ولم أكشف لها ثوباً، وفى الصباح رآنى رسول الله فى السوق (رسول الله رايح السوق يعمل إيه مش فاهم) فقال لى: يا سلمة هب لى هذه الفتاة، فقلت: يا رسول الله لقد أعجبتنى، وما كشفت لها ثوباً، حتى إذا كان الغد لقينى رسول الله فى السوق (هو ما كانش عنده حكاية غير السوق) فقال: يا سلمة هب لى الفتاة، فقلت: والله يا رسول الله لقد أعجبتنى وما كشفت لها ثوباً، فسكت رسول الله وتركنى، حتى إذا كان الغد لقينى رسول الله فى السوق (دى حكاية مش فايتة حكاية الرسول مع السوق) فقال: يا سلمة هب لى الفتاة لله أبوك، فقلت له يا رسول الله ما كشفت لها ثوباً، وهى لك يا رسول الله. ويضيف القمص: ويأتى دور الرواة بأكاذيب مفضوحة فقالوا: بعث بها رسول الله إلى مكة ليشترى بها أسرى من المدينة.

ويتساءل القمص: لماذا نقول أنها أكاذيب مفضوحة؟

ويجيب على نفسه: يعلق الدكتور السيد القمنى فى كتابه إسلاميات صفحة 462 قائلاً: فى هذه الإضافة للتبرير خلل واضح، حيث لم يكن فى ذلك الوقت بالتحديد أسرى من المسلمين فى مكة، كما كان العقد قد وقع بالحديبية فى هدنة مدتها من السنوات عشر، ويضيف القمص: وختم السيد القمنى كلامه قائلاً: وتظل هذه المرأة غير المسماة فى كتبنا الإسلامية لغزاً غامضاً رغم إشارة الأحداث إلى بقائها فى حوزة الرسول.

- الرد:

للرد على هذه الشبهة علينا أن نعرض أولاً نص الرواية كما جاءت فى كتب السيرة، والرواية جاءت على لسان سلمة..

قال: «خرجنا مع أبى بكر بن أبى قحافة وأمَّره رسول الله ﷺ علينا فغزونا فزارة، فلما دنونا من الماء أمرنا أبو بكر فعرسنا[1]، فلما صلينا الصبح أمرنا أبو بكر فشننا الغارة، فقتلنا على الماء من مر قِبَلنا.

قال سلمة: ثم نظرت إلى عنق[2] من الناس فيه الذرية والنساء نحو الجبل وأنا أعدو فى آثارهم، فخشيت أن يسبقونى إلى الجبل فرميت بسهم فوقع بينهم وبين الجبل، قال: فجئت بهم أسوقهم إلى أبى بكر حتى أتيته على الماء وفيهم امرأة من فزارة عليها قشع[3] من أدم ومعها ابنة لها من أحسن العرب، قال: فنفلنى أبو بكر بنتها، فما كشفت لها ثوباً حتى قدمت المدينة، ثم بتُّ فلم أكشف لها ثوباً، فلقينى رسول الله ﷺ فى السوق فقال لى: «يا سلمة هب لى المرأة» فقلت: والله يا رسول الله لقد أعجبتنى وما كشفت لها ثوباً، فسكت رسول الله ﷺ وتركنى، حتى إذا كان من الغد لقينى رسول الله ﷺ فى السوق فقال: «يا سلمة هب لى المرأة». فقلت: يا رسول الله والله لقد أعجبتنى وما كشفت لها ثوباً. فسكت رسول الله ﷺ وتركنى، حتى إذا كان من الغد لقينى رسول الله ﷺ فى السوق فقال: «يا سلمة هب لى المرأة لله أبوك». قلت: يا رسول الله والله ما كشفت لها ثوباً وهى

(1) التعريس: النزول آخر الليل للنوم والإستراحة.

(2) العُنق من الناس: الطائفة منهم.

(3) القشع: الفرو القديم.

لك يا رسول الله قال سلمة: بعث بها رسول الله ﷺ إلى أهل مكة وفى أيديهم أسارى من المسلمين ففداهم رسول الله ﷺ بتلك المرأة[1].

وعن السبب الذى من أجله أرسل رسول الله ﷺ هذه السرية إلى بنى فزارة يقول ابن كثير نقلاً عن البيهقى: «أن بنى فزارة أرادوا أن يقاتلوا رسول الله ﷺ مرجعه من خيبر وتجمعوا لذلك فبعث إليهم يواعدهم موضعاً معيناً فلما تحققوا ذلك هربوا كل مهرب؛ وذهبوا من طريقه كل مذهب»[2].

وعلى ذلك، فبنو فزارة هم الذين أظهروا العداوة لرسول الله ﷺ وللمسلمين، ومن ثم كان لابد من الاحتياط منهم، وكسر شوكتهم تجنباً لأى هجوم مباغت على دولة الإسلام. وباستقراء كل الروايات التاريخية فى شأن هذه السرية لن نجد بها أمراً من رسول الله ﷺ إلى قائد السرية ليقتل الناس على مائهم كما ادعى القمص زكريا بطرس، ولكن كل ما فى الأمر أن ظروف السرية هى التى أدت إلى وقوع المعركة على الماء، حيث تجمع الرجال والمحاربة سواء لشربهم أو شرب أفراسهم.

ولنعد الآن إلى موضوع الفتاة الفزارية؛ تلك الفتاة التى شغلت بال القمص زكريا بطرس، وبداية نقول: أن الرسول ﷺ لم يأخذ هذه الفتاة لنفسه؛ بمعنى أنه ﷺ لم يتزوجها ولم يتخذها سرية، فلو حدث هذا لتواترت به الأخبار ولعلمنا به.

أما بخصوص إنكار القمص زكريا بطرس لواقعة فداء رسول الله ﷺ أسرى المسلمين بهذه الفتاة استناداً إلى ما أثاره الدكتور السيد القمنى من أنه لم يكن فى ذلك الوقت بالتحديد أسرى من المسلمين فى مكة، وأن فى هذا الوقت كان العقد

---

(1) فى خبر هذه السرية انظر: تاريخ الطبرى - جـ2 - ص 433، وسيرة ابن هشام جـ4 ص 354، وفيها أن أمير السرية هو زيد بن حارثة، وانظر كذلك: البداية والنهاية جـ4 ص 303، وصفوة السيرة النبوية لابن كثير جـ3 ص 170، وسبل الهدى والرشاد جـ6 ص 146.

(2) البداية والنهاية جـ2 ص 292، وصفوة السيرة جـ3 ص 159.

قد وقع فى الحديبية فى هدنة مدتهـا من السنوات عشر. نقول أن هذا إنكار كسيح يستند إلى حجج مريضة، وذلك للآتى:

فأولاً: من أين علم الدكتور سيـد القمنى أن فى ذلك الوقت بالتحديد لم يكن هناك أسـرى من المسلمين فى مكة؟! وما هو المصـدر التاريخى الذى أكـد له هذه المعلومة التى غابت عن أذهان المؤرخين؟!

وثانياً: وفيما يخص الاستناد إلى صلح الحديبية لإنكار واقعة فداء الأسرى، فإنه ينبغى علينا أولاً أن نعرض لنص صلح الحديبية ثم نعـقبه بالتعليق على هذه الحجة. جاء فى الصلح:

«هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عـشر سنين، يأمن فـيهن الناس، ويكف بعـضهم عن بعض، على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم؛ ومن جاء قريشاً ممن مع محمـد لم يرده عليه، وأن بيننا عيبة مكفوفـة وأنه لا إسلال ولا إغلال، وأنه من أحب أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل قريش وعهـدهم دخل فيه، وأنك ترجع عنا عامك هـذا فلا تدخل علينا مكة، وأنه إذا كان عـام قابل خرجنا عنك فدخلتـها بأصحـابك فأقمت بها ثلاثاً مـعك سلاح الراكب السيوف فى القُرب، لا تدخلها بغيرها»[1].

وباستقراء نص هذا الصلح يتضح لنا بجلاء أنه لم يتعرض لمسألة أسرى المسلمين الموجودون بمكة، لذا كـان يسرى على هؤلاء الأسرى - والفرض أنهـم مأسورون قبل توقـيع الصلح - القواعد العامـة السارية وقتذاك، ومن ثم كـان هناك ضرورة

(1) سيرة ابن هشام - جـ3 ص 214، صفوة السيرة النبوية لابن كثير جـ4 ص 126، السيرة النبوية لابن حبان ص 158، وتاريخ الطبرى أحداث السنة السادسة جـ2 ص 427. وفى تحليل أحداث هذا الصلح وبنوده انظر كتابنا الرسول والسيف ص 137 وما بعدها.

لفدائهم، ونود أن ننبه القارئ أن الفاصل الزمنى بين توقيع صلح الحديبية وبين غزوة بنى فزارة لا يتعد أشهر قليلة، فصلح الحديبية أُبرم فى ذى القعدة سنة ست، وسرية بنى فزارة كانت عقب غزوة خيبر، وكانت فى أواخر محرم سنة سبع من الهجرة. وجدير بالذكر أن صلح الحديبية لم يستمر طويلاً، حيث نقضته قريش قبيل فتح مكة فى رمضان سنة ثمان من الهجرة.

ومن العرض السابق يتضح لنا عدم موضوعية القمص فى علاج هذه القضية - بل وكل القضايا التى أثارها - وقد ثبت لنا هذا من نفس المراجع التى يستند إليها.

أما عن سؤال القمص زكريا بطرس عن سبب ذهاب رسول الله ﷺ إلى السوق وسخريته من تكرار ذهابه، فالإجابة يجدها فى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا**﴾[1] وقوله جل شأنه: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا**﴾[2].

6 - حكاية حفصة ومارية ونزول سورة التحريم:

فى إطار الحديث عن شبهات أحمد ديدات حول الكتاب المقدس يسأل مقدم البرنامج[3] القمص زكريا بطرس:

موضوع آخر ذُكر أيضاً فى نفس الكتاب[4] (عتاد الجهاد) وهو أن شمشون مارس الزنى مع إحدى البغايا بمدينة غزة على صفحات الكتاب المقدس[5]، فما تعليقك على هذا؟

(1) الفرقان: 7. (2) الفرقان: 20.

(3) حلقة: 89. (4) عتاد الجهاد ص 15.

(5) الواقعة مذكورة بالكتاب المقدس - سفر القضاة 16 :7 وسنعرض لها تفصيلاً إن شاء الله تعالى.

- **القمص:** الكتاب المقدس لم يذكر أن ما فعله شمشون على أنه فضيلة ومثل يحتذى به، لكنه يقدم خطيئة شمشون، والأنبياء عندنا ليسوا معصومين من الخطية السلوكية على الإطلاق، والقرآن يذكر العديد من خطايا الأنبياء، ومحمد نفسه **﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾** وشمشون صنع شراً وعوقب عليه، فالكتاب المقدس لم يشجع على هذا.

ويضيف القمص: وفى نفس الوقت لماذا بذكر ديدات خطيئة شمشمون؟ حتى يغطى على فضيحة فى حياة محمد، ففى تفسير ابن كثير لسورة التحريم الآية التى تقول: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾**.

يقاطعه مقدم البرنامج: أنت تتكلم عما فعله محمد على فراش حفصة.

القمص: برافوا، أنت تقرأ أفكارى، فماذا يقول البيهقى؟

قال: عن الضحاك أن حفصة أم المؤمنين زارت أبوها ذات يوم، وكان يومها، فلما جاء النبى فلم يرها فى المنزل فأرسل إلى أمته مارية القبطية، فأصاب منها فى بيت حفصة فجاءت حفصة وهو على تلك الحال، فقالت: يا رسول الله أتفعل هذا فى بيتى وفي يومى. قال: فإنها على حرام فلا تخبرى بذلك أحد، فانطلقت حفصة إلى عائشة فأخبرتها، فأنزل الله عز وجل فى كتابه: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾** يعنى لما تُحرم مارية، فُأمر بأن يكفر عن اليمين وليس عن الفعلة ويُرجع جاريته.

مقدم البرنامج: فأنت تكاد تقول نبى الله يقترف الخطية والزنى مع امرأة غير زوجته وبعد هذا الفعل تنزل أية تتكلم عنه؟

القمص: هذا ما نسأل فيه أحباءنا المسلمين والفقهاء والعلماء حتى يقولوا لنا معنى هذا الكلام.

- الرد:

كعادة القمص زكريا بطرس، فـهو يهرب من الرد فى أقل عدد من الكلمات، فلم يعلق كثـيراً على ما ذكره أحـمد ديدات بخصوص خطيـة شمشون وأقـترافه الزنى مع إحـدى البغايا علـى الرغم - كما سنـرى - أن شمشـون هذا نبى بنص الكتاب المقدس، وقـبل أن نعرض لموضوع شمشـون يكون حرى بنا أن ندفع هذه الشبهة عن حبيبنا وسيدنا محمد ﷺ النبى الأمين وخاتم الأنبياء والمرسلين.

بداية نقول أن المفـسرين أختلفوا حـول سبب نزول آيات سورة التحـريم، فذكر السيوطى فى أسباب النزول[1] عن أنس أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤها فلم تزل به حفصـة حتى جعلها على نفسه حـراماً فأنزل الله ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ**﴾ الأية.

وعن ابن عمر قـال: قال رسول الله ﷺ لحفصة لا تخـبرى أحداً أن أم إبراهيم (يعنى مارية) على حرام فلم يقربها حتى أخبرت عائشة[2].

وأخرج الطبرانى **بسند ضعيف** من حديث أبى هريرة قـال: دخل رسول الله ﷺ بمارية سرّيتـه بيت حفصة فـجاءت فوجدتها مـعه فقالت: فى بيـتى دون بيوت نسائك قال: فإنها عـلى حرام أن أمسها يا حفصة واكتـبى هذا عنى فخرجت حتى أتت عائشة فأخبرتها[3].

وأخرج الطبرانى **بسند صحيح** عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يشرب عند سودة العسل فـدخل على عائشة فقالت: إنى أجـد منك ريحاً ثم دخل على

(1) أسباب النزول للسيوطى - سبب نزول الآية الأولى من سورة التحريم.

(2) المصدر السابق.

(3) السابق.

حفصة فقالت مثل ذلك، فقال «أواه من شراب شربته عند سودة والله لا أشربه» فنزلت الآية[1] وهذه الرواية الأخيرة هى التى رجحها المفسرون.

إذن هناك روايات سندها ضعيف، وأخرى سندها صحيح، لكن هذا لا يعنى القمص فى شىء فكل همه هو إثارة الشبهات بروح تجافى الموضوعية، وسواء علينا رجحنا هذه الرواية أو تلك فلا غبار على رسول الله ﷺ، وسنفترض صحة الرواية التى استند إليها القمص.

والتساؤل الآن، من هى مارية القبطية؟

مارية هى الجارية التى أهداها المقوقس إلى رسول الله ﷺ، وقد تسرى بها رسول الله ﷺ وأنجبت له ولده إبراهيم، وجدير بالذكر أن مارية قد أسلمت هى وأختها سيرين قبل أن تصلا إلى رسول الله ﷺ، فبعث النبى ﷺ بأختها سيرين إلى حسان بن ثابت، فولدت له عبد الرحمن بن حسان[2].

والتسرى بملك اليمين يعنى - فى شأن مباشرة الأمة جنسياً - خلاص السلطة من كل شركة للسيد الذى يستعمل هذا الحق، وهو يتفق مع الزواج فى أهم عناصره، وهو عنصر القصر القانونى للعلاقة الجنسية بالمرأة على رجل واحد والمرأة فى هذا الوضع الجديد تعود إليها حريتها بمجرد الحمل وتصبح «أم ولد» وأولاد الأمة بهذا الوضع يولدون أحراراً، وإذا كان الإسلام لم يقيد الحد الأقصى لعدد من يتسرى به من الإماء، فهذا مرده إلى رغبة الإسلام إلى تحرير أكبر عدد ممكن من الإماء تمهيداً للقضاء نهائياً على نظام الرق[3].

(1) السابق - وانظر فى عرض هذه الروايات تفسير القرطبى لسورة التحريم.
(2) انظر - تاريخ الطبرى - أحداث سنة 7 هـ، وزاد المعاد: جـ 3 ص 51.
(3) انظر كتابنا - الرسول والسيف - ص 46، وانظر كذلك كتابنا - زواج المتعة بين الإباحة والتحريم - ص 91 وما بعدها.

والتسرى بملك اليمين حلال ومشروع بنص القرآن، يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾[1].

والتسرى بملك اليمين حلال ومشروع بنص الكتاب المقدس؛ فقد ذكر عن النبى سليمان: **«وكانت له سبع مائة من النساء السيدات وثلاث مائة من السرارى»**[2].

فإذا قيل أن التسرى بملك اليمين يقدح نبوة محمد ﷺ، يكون لزاماً عليهم أن ينكروا نبوة سليمان لأنه تسرى بثلاث مائة جارية، ومع ذلك لم ينكرون نبوته، وإذا قيل أن الإنجيل نسخ التسرى بملك اليمين، فهذا لا يلزمنا لأن التسرى بملك اليمين صح عندنا وقد أقره القرآن.

وبهذا يبطل الزعم بأن محمداً ﷺ خير البشر قد اقترف خطيئة الزنى، فمعاذ الله أن يفعل هذا نبينا - ولا أى نبي أخر - فمارية كانت سرية رسول الله ﷺ بملك اليمين، وكانت حلالاً له، وكان له أن يطئها فى أى وقت شاء وفى أى مكان، لذا أنزل الله سبحانه وتعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ لذا لم يطلب الله سبحانه وتعالى منه ﷺ أن يستغفر، لأنه لم يرتكب ذنباً، بل طلب منه أن يكفر عن يمينه حتى تحل له مارية مرة أخرى، يقول جل شأنه: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[3].

خطيئة شمشون:

وحرى بنا الآن بعد أن أزهقنا الباطل الذى زعمه القمص زكريا بطرس على نبينا محمد ﷺ، حرى بنا أن نلقى الضوء على واقعة شمشون - والتى أثارها الشيخ

---

(1) المؤمنون: 5، 6. والمعارج: 29، 30.

(2) ملوك أول: 11 :3.

(3) التحريم: 2.

أحمـد ديدات - والتى علق عليهـا القمص بأن الكتـاب المقدس ذكرهـا على أنها خطيئة، وأن الأنبيـاء ليسوا معصومين من الخطأ، واكتـفى القمص بهذا الرد الموجز معتقداً بأن فى هذا الرد الكفاية.

جاء فى الكتاب المقدس: **«ثم ذهب شمشون إلى غـزة ورأى هناك امرأة زانية فدخل إليـها»**[1] وقد اعـترف القمص أن شـمشون قـد اقترف خطيـئة الزنى وأن الكتاب المقدس ذكرها على أنها خطيئة.

ولكن هل نسى القمص أن شـمشون نبى بنص الكتـاب المقدس، أم هو مكتف برده بأن الأنبياء ليسوا معـصومين، يقول الكتاب المقدس: **«وكان رجل من صرعة من عشيرة الدانيـين اسمه منوح وامرأته عاقر لم تلد. فـتراءى ملاك الرب للمرأة وقال لها: هـا أنت عاقر لم تلدى ولكنك تحبلين وتلدين ابـنا والآن فاحذرى ولا تشربى خمراً ولا مـسكراً ولا تأكلى شيئاً نجساً فـها إنك تحبلين وتلدين إبنا، ولا يعل مـوسى رأسـه. لأن الصـبى يكون نذير الله من البطن وهـو يبـدأ يخلص إسرائيل من يد الفلسطينيين»**[2].

ويقول: **«فولدت المرأة ابناً ودعت اسمه شمشون وباركه الرب وبدأ روح الرب يحركه فى محلة دان بين صُرعة وأشتأول»**[3].

وكذلك: **«فأوثقوه** (يعنى شمشون) **بحبلين جديدين وأصعدوه من الصخرة ولما جاء إلى الحى صـاح الفلسطينيون للقـائه. فحل روح الرب فكان الحـبلان اللذان على ذراعيه ككتـان أحرق بالنار فانحل الوثاق عن يديه. ووجـد لحى حمار طرياً فمد يده وأخذه وضرب به ألف رجل»**[4].

(1) قضاة 16 :1.
(2) قضاة 13 :2 - 5.
(3) قضاة 13 :24.
(4) قضاة 15 :13 - 15.

فهل يعـقل لنبى مثل هذا أن يقترف الزنـا، نبى كان نذير الله فى البطن - بنص الكتاب المقدس - وكـان يحركه روح الرب، وأعطى هذه القوة وتـلك المعجزات، فهل يزنى الأنبياء عندكم يا جناب القمص؟!

وهل روح الرب الذى كان يحركه جعله يرتكب كـبيرة مثل هذه وبكل بساطة؟! فنحن نعلم أن أى نـبى - خاصـة بعـد أن يؤتى كل هذا - يكون عليـه طاعـة الله سبحـانه وتعالى، وأن يمتنع عن المعاصى، فهو يُبلِّغ هـذا للناس، فكيف يقول مالا يفعل؟! وإذا كان قد أخطـأ خطئاً يسيراً - ونقول خطئاً - فـهذا وارد على الجميع، لكن أن يتعمد المعصية فهذا ليس بسلوك نبى، ففرق شاسع بين الخطأ وبين العمد، وشمشـون - بنص الكتاب المقدس - رأى المرأة الزانية، وزنى مـعها فهنا لا شـبهة خطأ ولا إكراه ولا نسـيان، ولكن - وبإعـتراف القمص - قـد ارتكب الزنا بتلك الزانية. ونقول للقمص: لو قلتم أنه ليس بنبى، فقد أنكرتم نصوص الكتاب المقدس التى تؤكد أنه نبى وأنه يحركه روح الله، ولو قلتم أنه زنى بالمرأة - وقد قلتم وأكدتم - فكيف يكون نبى؟ فأختر ما شئت أيها القمص.

- شريعة الزوجة الواحدة:

يقول القمص زكريا بطرس: «لكن المصيبة أن محمد بعد شريعة المسيح الزوجة الواحدة تزوج واحد وسـتين وخلافه غيـر تشريع يبيح له أن يأخذ أى واحـدة بغير رضاها»(1).

الرد:

نتعـجب من عدم استقـرار القمص على رأى، فهل تزوج ﷺ إحـدى وستين امرأة أم أكـثر؟ ومـا هو النص الذى أباح لخـاتم المرسلين أن يأخذ أى امـرأة بغيـر رضاها؟

(1) الكلام بلفظ القمص فى الحلقة 87.

أما عن شـريعة الزوجة الواحـدة التى أتى بها المسـيح عيسى بن مـريم - عليه السلام - على حد زعم القمص، فنقول:

إن المسيح - عليه السلام - لم يأت بشريعـة جديدة لينسخ بها شريعة موسى - عليه السلام -، تلك الشريعة التى كـانت تبيح تعدد الزوجات، وأول ما يدل على صدق هذا القـول أن الإنجيل لفظ يدل على البشرى المفـرحة أو الخبر السـار، فهو مجـرد بشارة وليس بشـريعة، وقـد بُعث المسيح - عليـه السلام - لبنى إسـرائيل ليأمرهم بالعمل بشريعة موسى، وقد جاء على لسان المسيح: **«لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء»**[1] والنص دلالته قاطعة فى أن المسيح - عليه السلام - لم ينسخ الشريعة الموسوية، وهنـاك نصوص أخرى تؤكد هذا المعنى، ومن ذلك أن المسيح - عليـه السلام - بعد ما شـفى مريضاً من البـرص - بإذن الله - قال له: **«اذهب أر نفسك للكاهن وقدم القربان الذى أمر به موسى»**[2].

وكـذلك قـوله - عليـه السـلام -: **«على كـرسى مـوسى، جلس الكتبـة والفريـسيون، فكل مـا قالوا لكم أن تحـفظوه فاحـفظوه وافعلوه. ولكـن حسب أعمالهم لا تعملوا»**[3].

وعلى هذا، فـشريعـة موسى لم ينـسخـها المسـيح - عليه السـلام -، وذلك بنصوص الإنجيل.

وإذا افترضنا جـدلاً أن المسيح - عليه السلام - قد أتى بشريعـة جديدة نسخت الشريعـة الموسوية، فعلينا أن نُسلّم أن مـحمداً ﷺ قـد أُنزل عليه شريعـة نسخت الشريعة المسيحية، فطالما قبلنا النسخ الأول علينا أن نقبل النسخ الثانى.

---

(1) متى 5: 17.

(2) متى 8: 4.

(3) متى 23: 2 - 3. فى إثبات أن المسـيحية لم تنـسخ التوراة، انظر التحليل القيـم الذى قام به الدكتور أحـمد حجازى السقا فى تعليقه على كتاب إظهار الحق، لرحمت الله الهندى - جـ1 - ص 377 هامش 6.

أما عن قول القمص زكريا بطرس أن رسول الله ﷺ كان له تشريع يبيح له أن يأخذ أى امرأة بغير رضاها؛ فنحن نتحدى القمص إذا كان يوجد نص فى القرآن الكريم أو السنة المطهرة يحمل فى طياته هذا الأفتراء على أشرف خلق الله محمد ﷺ، ويحضرنى فى هذا المقام هذا الخبر الذى جاءت به كتب السيرة:

عن ابن عباس قال: فخطب رسول الله ﷺ صفية بنت بشامة بن نضلة العنبرى، وكان أصابها سبى، فخيَّرها رسول الله ﷺ فقال: **«إن شئت أنا وإن شئت زوجك»** فقالت: بل زوجى. فأرسلها، فلعنتها بنو تميم[1].

فهذه المرأة كانت سبى، وزوجها غير مسلم، وكان يحق لرسول الله ﷺ أن يطأها بملك اليمين، ومع ذلك لم يفعل، بل عرض عليها الزواج، وبل جعل لها حق الاختيار بين نفسه الكريمة، وبين زوجها، فاختارت زوجها، فأرسلها رسول ﷺ من حيث أتت ولم يجبرها على شيء، فأين إذن هذا التشريع الذى يبيح للنبى ﷺ أن يتزوج النساء بغير رضائهن؟! وأين ما ذكره القمص من هذه الواقعة؟!

وفى الحقيقة لا نعلم لماذا يتعجب القمص زكريا بطرس - ومعه مقدم البرنامج من زواج محمد ﷺ بأكثر من امرأة مع أن هذا لا يقدح فى نبوته ﷺ، وهذا معترف به فى نصوص الكتاب المقدس، وإليك بعض الأمثلة:

1 - إبراهيم - عليه السلام - تزوج سارة ثم بهاجر فى حياة سارة، وهو كان خليل الله، وكان الله يوحى إليه ويرشده إلى أمور الخير، فلو لم يكن

---

(1) السيرة النبوية لابن كثير - جـ4 ص 476، وتاريخ الطبرى جـ2 ص 497، والسيرة الشامية جـ12 ص 158، والإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى جـ7، ص 737.

والغريب أن القمص زكريا بطرس على علم كامل بالخبر الذى أوردناه بالمتن، ولكنه عرضه بشىء من التعتيم، وذلك فى الحلقة رقم 27 حيث قال: كذلك فيه ناس عرض عليهم (الجواز) ورفضوه: صفية بنت بشاعة تقدم لها ورفضته واحتفظت بزوجها الأول، ولم يذكر القمص أنها كانت سبى، وأنه خيرها. فتأمل.

النكاح الثانى جائزاً لما أبقاه عليه، بل لأمره بفسـخه وحرمته. والمسيحيون لا ينكرون نبوة إبراهيم ﷺ رغم هذا الزواج الثانى.

2 - كان لسليمـان - عليه السلام - ألف امرأة، وهذا بنـص الكتاب المقدس: **«وكانت له (أى سليمـان) سبع مائة من النساء السـيدات وثلاث مائة من السرارى»** ورغم هذا فسليمان نبى بأعتراف أهل الكتاب.

3 - وتزوج داود - بعد زواجه بميكال بنت شاول - بست نساء أخرى:

1 - أخينوعم البزرعيلية.

2 - أبيجابل.

3 - معكة بنت تلماى.

4 - حجيت.

5 - أبيطال.

6 - عجلة.

وهذا مصرح به فى الأصحاح الثالث من سفر صموئيل التانى عدد 2 - 5.

وكل هؤلاء الأنبيـاء لم ينكر أحد نبوتهم، ولم يطعن فـيها وذلك اعتـقاداً منهم (القمـص ومن على شاكلتـه) بأن المسيح - عليـه السلام - جـاء بشريعة نـسخت شريعـة اليهود، وقـد سبق وأثبـتنا فساد هذا المعـتقد - وأنه جـاء بشريعـة الزوجة الواحدة، وكأن المسيح قد بُعث نبياً من أجل شريعة الزوجة الواحدة!!

وفى واقع الأمر يبدو أن المسيحيين يقيسون هذا الأمر أعنى - تزوج الرسول ﷺ بأكثر من امرأة - على مـا هو جارى وما اعتقدوه فى شريعـتهم؛ فالمسيح عندهم إله، والإله لا يتزوج النساء، لذا فهم يرفضـون وينكرون مجرد زواج محمد ﷺ، لكن لو سلموا أن مـحمد ﷺ كـان بشراً رسـولاً، وأن من حقه أن يتـزوج النساء لكان هذا الأمر مقبولاً عندهم، لأن تعدد الزوجات - بنصوص الكتاب المقدس -

لا يقدح فى نبوة نبى من الأنبياء، ونعود ونكرر أنه إذا كان المسيحيون يعتقدون بأن المسيح قد نسخ شريعة اليهود وأنه قد جاء بشريعة الزوجة الواحدة، فعليهم أن يسلموا بأن محمداً ﷺ قد بُعث برسالة تنسخ رسالة عيسى - عليه السلام -، وعليهم أن يقيسوا مدى شرعية الحكم من خلال أحكام الشريعة الإسلامية لا من خلال أحكامهم.

* * * *

الفصل الخامس
زواج المتعة

- عرض الشبهات:

فى إطار الحديث عن سفر نشيد الإنشاء[1] يقول مقدم البرنامج: إنهم (يقصد المسلمون) يعترضون على سفر نشيد الإنشاء وأن به غزل فاضح وبه ألفاظ غير لائقة.

يجيب القمص: أليس الله هو الذى خلق الجنس، وطالما الجنس فى الوضع الشرعى فهل هناك خطية؟ فهى علاقة زوجية مقدسة، علاقة الله بشعبه، **وهذا السفر شعر**، والشعر ملئ بالكلام البلاغى والصور البلاغية والمجاز والكناية، وهذا السفر بين عريس وعروس. فهل هناك خطية فى التعبيرات الروحية.

ويضيف القمص: وفى سورة النساء آية 24 ﴿**فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُن**﴾ فهذا زواج المتعة، فلماذا لا يوجد اعتراض على هذا؟ وكان هذا الزواج مشروع أيام محمد وأبى بكر وعمر بن الخطاب ألغاه، ويقولون: مارسه النبى ومارسناه معه. ثم يقتبس القمص بعض أشعار رابعة العدوية ويقول أنها تتحدث عن العشق الإلهى كما هو الوضع فى سفر نشيد الإنشاد[2].

وفى موضع آخر[3] يسأله مقدم البرنامج: ديدات فى صفحة 16 (من كتاب عتاد الجهاد) يقول: راعوث تضاجع بوعز لينكحها ليلاً بتوصية من حماتها. فما رأيك بهذا الكلام؟

---

(1) حلقة 22.

(2) سأتحدث بالتفصيل عن سفر نشيد الرنشاد فى موضع لاحق.

(3) حلقة 89.

فيجيب القمص: الكلام فى الكتاب المقدس إن زوج راعوث مات فقالت لها (حماتها): يا ابنتى (روحى دّورى على حد)[1]، وكان القانون فى التوراة إن أقرب الأقرباء منها يتزوجها، فكان أقرب الأقرباء بوعز فأرسلتها إلى بوعز ليس ليتزوجها، لكن الكتاب المقدس يقول: (وهو يخبرك بما تعملين) يعنى يوجهها ويساعدها ليس لأجل ما قاله ديدات.

ويضيف القمص: هل يقول ديدات ذلك ليغطى على مخازى زواج المتعة؟[2] وهذا الزواج أمر به محمد أتباعه فى سورة النساء آية 24، فما الفرق بينه وبين البغاء، يروح يستمتع ويدفع فلوس، وصحيح البخارى الجزء الثالث ص 71: عن عمران بن الحصين أنه قال: نزلت آية المتعة فى كتاب الله ففعلناها مع رسول الله. إذن الرسول استمتع بالنساء هذا غير الزوجات.

والقرآن لم يُحرِّمها ولم ينه عنها الرسول حتى الآن، وكذلك فى صحيح البخارى عن قيس قال: سمعت عبد الله يقول: كنا نغزو مع النبى وليس معنا نساء، فقلنا ألا نستخصى يا رسول الله، فنهانا عن ذلك ورخص لنا أن ننكح المرأة **وندفع أجرة المتعة حتى لو كانت الثوب**[3].

وفى صحيح مسلم عن ميس قال: سمعت عبد الله يقول: كنا نغزو مع رسول الله... فقلنا ألا نستخص.. فرخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل. عشر دقائق، ربع ساعة زى بيوت البغاء.

- الرد على الشبهات:

بداية نسأل القمص زكريا بطرس؛ ما هى العلاقة بين سفر نشيد الإنشاد وحكاية بوعز وبين زواج المتعة؟! ولكن هى عادة القمص بدلاً من دفع الشبهة التى تثار

(1) هكذا قالها القمص باللغة العامية.

(2) لا نعلم ما علاقة زواج المتعة بما قاله ديدات عن راعوث.

(3) أقحم القمص هذه العبارة على الحديث.

على الكتاب المقدس يعمد إلى إثارة أى شبهة على الإسلام حتى يصرف ذهن المشاهد عن الموضوع الأصلى وكأنه بهذه الفعلة قد قام بالرد فعلاً؟ هذا هو إسلوب الضعفاء ذوى الحجج المنحولة.

والآن، لنبدأ بالحديث عن زواج المتعة[1] ثم نعقب ذلك بالتعليق على ما جاء فى سفر نشيد الإنشاد وحكاية راعوث وبوعز.

أولاً - معنى زواج المتعة وأحكامه:

وزواج المتعة يعنى «تزويج المرأة إلى أجل فإذا انقضى وقعت الفرقة»[2].

ويُعرِّف الشيعة الإمامية زواج المتعة بأنه «عقد ازدواج بين طرفين معلومين إلى أجل معين بمهر معين يذكر فى متن العقد» ونكاح المتعة والنكاح المؤقت والنكاح المنقطع بمعنى واحد، وقد انفردت الإمامية من بين سائر فرق المسلمين بالقول بجوازه وبقاء مشروعيته إلى الأبد[3].

وأهل السنة يرون أن هذا النوع من الزواج شرع فى صدر الإسلام لظروف معينة - سنعرض لها - ثم نسخ بعد ذلك، أما الشيعة الإمامية فيرون أنه جائز ولم يلحقه النسخ.

وأحكام زواج المتعة عند الشيعة الإمامية[4] تتمثل فى الآتى:

1 - زواج المتعة كالدائم فى أنه يحتاج إلى عقد مشتمل على إيجاب وقبول، وأنه لا يكفى الرضا القلبى به من الطرفين.

---

(1) حول هذا الموضوع انظر كتابنا «زواج المتعة بين الإباحة والتحريم - عند الشيعة وأهل السنة».

(2) فتح البارى - جـ9 - ص 167.

(3) انظر - كتابنا زواج المتعة بين الإباحة والتحريم ص 23، وانظر أصل الشيعة وأصولها - آل كاشف الغطاء - ص 253، 254.

(4) حول هذه الأحكام انظر د. علاء الدين القزوينى - زواج المتعة فى كتب أهل السنة - ص 67 - 68.

2 - لا يجوز تمتع المسلمة بكافر بجميع أصنافه، وكذا لا يجوز تمتع المسلم بغير الكتابية (المسيحية أو اليهودية).

3 - يشترط فى زواج المتعة ذكر المهر، فلو أخل به بطل.

4 - يشترط فى الزواج المؤقت ذكر الأجل المتفق عليه.

5 - لا يجوز الجمع بين الأختين فى نكاح المتعة كالدائم بلا فرق.

6 - الأطفال الذين يولدون من الزواج المؤقت لا يختلفون فى شىء من الحقوق عن الأطفال المتولدين من الزواج الدائم.

7 - لا يثبت بهذا العقد توارث بين الزوجين، ولو شرطا التوارث أو توريث أحدهما فالظاهر التوريث على حسب شروطهما.

8 - تجب العدة فى زواج المتعة بعد انقضاء المدة المتفق عليها كالدائم.

ومن جماع هذه الشروط نجد أن زواج المتعة أو الزواج المؤقت لا يختلف عن الزواج الدائم فى شىء إلا من حيث أنه مؤقت بمدة محددة سلفاً.

وقد رخص رسول الله ﷺ فى زواج المتعة فى صدر الإسلام فعن عبد الله بن مسعود قال: كنا نغزو مع رسول الله ﷺ ليس لنا نساء، فقلنا: ألا نستخصى؟ فنهانا عن ذلك، ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل.

وننوه بداية إلى أن القمص أضاف هذه العبارة - من عنده - إلى متن الحديث: **«وندفع أجرة المتعة حتى لو كانت الثوب»** وقد تعمد القمص أن يقحم هذه العبارة على متن الحديث ليوهم المشاهد - المسيحى - أن من يتمتع بالمرأة يدفع لها الأجر، ثم يأتى من بعده رجل آخر وهكذا، ليماثل بين زواج المتعة - وقت أن شرع - وبين بيوت البغاء، وقد سبق وأن عرضنا أحكام زواج المتعة عند الشيعة - وهى ذات أحكامه وقت أن شرع - ورأينا أنها لا تخالف الزواج الدائم إلا فى عنصر التأقيت.

وباستقراء الحديث السابق نجد أن الإذن فى المتعة فى صدر الإسلام كان لازم له ثلاثة شروط[1] يجب اجتماعها:

1 - الغزو مع ما يصاحبه من مشقة وبعد المكان وطول المدة.

2 - عدم مصاحبتهم لنساءهم وإلا فلا معنى لإباحة المتعة. (حيث إن الإسلام يبيح تعدد الزوجات).

3 - أن تصل بهم الرغبة الجنسية إلى درجة يتعذر مقاومتها، وهذا واضح من سؤالهم رسول الله ﷺ «ألا نستخصى؟»

ثانياً: والسؤال الآن: هل شُرع زواج المتعة بنص قرآنى؟

ذكر القمص زكريا بطرس أن زواج المتعة شرع بنص القرآن فى قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾[2].

وباختصار شديد نقول: أن هذه الاية ليست فى زواج المتعة، بل فى الزواج الدائم، بدليل ما قبلها، وما بعدها من الآيات، فسياق الآيات كان فى شأن الزواج الدائم، والتعبير فى الآية بالاستمتاع يراد به الاستمتاع بالزوجة، كما أن الأجور فى هذه الآية هى المهور، وقد عبر القرآن عن المهر بالأجر على سبيل المجاز فى آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[3]، وقوله جل شأنه: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾[4].

(1) انظر للمؤلف: زواج المتعة بين الإباحة والتحريم - ص 64.

(2) النساء: 24.

(3) النساء: 25.

(4) المائدة: 5.

ومدلول الآية 24 من سورة النساء هو وجوب المهر كاملاً فى حالة الاستمتاع بالزوجة، وهو نفس المدلول فى قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾[1] أى وكيف تأخذون الصداق (المهر) من المرأة وقد أفضيت إليها وأفضت إليك. قال ابن عباس والسدى وغير واحد: يعنى بذلك الجماع[2].

ثالثاً: هل تمتع رسول الله ﷺ بالنساء:

زعم القمص زكريا بطرس أن الرسول ﷺ استمتع بالنساء غير الزوجات، واستند فى ذلك إلى حديث عمران بن الحصين أنه قال: «نزلت آية المتعة فى كتاب الله ففعلناها مع رسول الله». وذكر القمص أن الحديث ورد فى صحيح البخارى، ونرد على ذلك بأن حديث عمران بن الحصين موضوعه متعة الحج لا متعة الزواج، وقد ورد الحديث فى صحيح البخارى فى (كتاب التفسير - سورة البقرة - باب فمن تمتع بالعمرة إلى الحج) وفى صحيح مسلم (كتاب الحج - باب جواز التمتع) ومتعة الحج - وهى المتعة التى يتحدث عنها عمران بن الحصين - مشروعة بنص القرآن، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾[3].

ويقول ابن كثير فى تفسير هذه الآية: أى فإذا تمكنتم من أداء المناسك فمن كان منكم متمتعاً بالعمرة إلى الحج، وهو يشمل من أحرم بهما، أو أحرم بالعمرة أولاً، فلما فرغ منها أحرم بالحج، وهذا هو التمتع الخاص وهو المعروف فى كلام الفقهاء، والتمتع العام يشمل القسمين كما دلت عليه الأحاديث الصحاح، فإن من الرواة من يقول: تمتع رسول الله ﷺ، وآخر يقول: قرن... وفى هذا دليل على

(1) النساء: 21.

(2) انظر تفسير ابن كثير للآية 21 من سورة النساء.

(3) البقرة: 196.

مشروعية التمتع كما جاء فى الصحيحين (البخارى ومسلم) عن عمران بن الحصين قال: نزلت آية المتعة فى كتاب الله وفعلناها مع رسول الله ﷺ ثم لم ينزل قرآن يحرمها ولم ينه عنها حتى مات، قال رجل برأيه ما شاء قال البخارى يقال: إنه عمر وهذا الذى قاله البخارى قد جاء مصرحاً به أن عمر كان ينهى الناس عن التمتع ويقول: إن نأخذ بكتاب الله، فإن الله يأمر بالتمام يعنى قوله: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾[1] ولم يكن عمر - رضى الله عنه - ينهى عن متعة الحج محرماً لها، إنما كان ينهى عنها ليكثر قصد الناس للبيت الحرام (الكعبة) حاجين ومعتمرين كما قد صرح به - رضى الله عنه -[2].

ومن هذا العرض يتضح لنا أن رسول الله ﷺ لم يستمتع بالنساء - كما زعم القمص - وأن الحديث ورد فى متعة الحج لا متعة الزواج، ولا يوجد مصدر واحد يقول أن رسول الله ﷺ تمتع بالنساء، وكل ما فى الأمر أن أعطى لجنوده هذه الرخصة على نحو ما شرحنا.

رابعاً: هل حُرِمَ زواج المتعة أم لا ؟

زعم القمص زكريا بطرس أن زواج المتعة لم يحرمه القرآن، ولم ينه عنه رسول الله ﷺ.

أما قوله بأن زواج المتعة لم يحرمه القرآن، فهذا خطأ منه، فالمتعة محرمة بقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾[3]

(1) البقرة: 196.

(2) تفسير ابن كثير للآية 196 من سورة البقرة.

(3) سورة المؤمنون: آيات: (5، 6، 7) وسورة المعارج: آيات: (29، 30، 31).

فالحلية هنا لوطء الزوجة الدائمة أو ملك اليمين دون المتمتع بها، وبذلك تكون دلالة الآية واضحة فى تحريم زواج المتعة[1].

وأما قوله بأن رسول الله ﷺ لم ينه عن المتعة فقد دلس، لأن الأحاديث كثيرة فى شأن تحريم زواج المتعة، وموجودة فى الصحيحين (البخارى ومسلم) وهما نفس المصدران اللذان استند إليهما القمص فى ثبوت زواج المتعة، ولكن لما كان هدفه الجدال بالباطل فلم يذكر أى حديث من جملة هذه الأحاديث، وإليك بعض منها:

فعن على بن أبى طالب أن رسول الله ﷺ نهى عن متعة النساء يوم خيبر[2].

وعن الربيع بن سبرة الجهنى أن أباه حدثه أنه كان مع رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس إنى قد كنت أذنت لكم فى الاستمتاع بالنساء، وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة، فمن كان عنده منهن شىء فليخل سبيله، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً»[3].

وفى رواية أخرى أنه ﷺ قال: «ألا إنها (يعنى المتعة) حرام من يومكم هذا إلى يوم القيامة، ومن كان أعطى شيئاً فلا يأخذه»[4].

خامساً: هل عمر بن الخطاب هو الذى حرّم المتعة:

نقول بداية أن عمر بن الخطاب - مع قدره - لا يملك أن يُحرم ما أحل الله، ومن يزعم أنه هو الذى حرم المتعة فقد افترى باطلاً، وكل ما فعله عمر هو التأكيد على تحريم رسول الله ﷺ للمتعة.

(1) انظر: كتابنا زواج المتعة بين الإباحة والتحريم - ص 77 إلى ص 88.

(2) صحيح البخارى - كتاب النكاح - باب نهى رسول الله ﷺ عن نكاح المتعة، وصحيح مسلم - كتاب النكاح - باب نكاح المتعة.

(3) صحيح مسلم - كتاب النكاح - باب نكاح المتعة.

(4) السابق. وهناك المزيد من الروايات راجعها فى كتابنا السابق الإشارة إليه ص 66، 67.

فعن عروة بن الزبير أن خولة بنت حكيم دخلت على عمر بن الخطاب، فقالت: إن ربيعة بن أمية استمتع بامرأة، فحملت منه، فخرج عمر بن الخطاب فزعاً، يجر رداءه، فقال: هذه المتعة، ولو كنت تقدمت فيها لرجمت[1].

ومما يؤيد أن نهى عمر عن المتعة لم يكن إلا إعمالاً لنهى الرسول ﷺ ما رواه ابن عمر حيث قال: لما ولى عمر بن الخطاب، خطب الناس فقال: إن رسول الله ﷺ أذن لنا فى المتعة، ثم حرمها، والله إلا أعلم أحد يتمتع وهو محصن إلا رجمته بالحجارة، إلا أن يأتين بأربعة يشهدون أن رسول الله ﷺ أحلها بعد أن حرمها[2].

ومعنى قول عمر: «لو كنت تقدمت فيها لرجمت» أن المتعة محرمة، والناس إذا كانوا يفعلونها على اعتقاد منهم بحليتها يدرأ عنهم الحد بالاستحلال، أما إذا تقدم فيها حتى يعلمهم أنها محرمة ففعلوها رجمهم لعدم وجود شبهة تدرأ الحد[3].

وعلى ذلك فعمر لم ينه عن المتعة اجتهاداً، وإنما نهى عنها مستنداً إلى نهى رسول الله ﷺ، والحديث السابق عن ابن عمر قاطع فى ذلك، فعمر بن الخطاب عندما طلب أربعة يشهدون أن رسول الله ﷺ أحلها بعد تحريمها، عندما طلب ذلك طلب مستحيلا، لأنه على يقين تام بتحريمها.

ولعل جابر ومن نقل عنهم استمرارهم على القول بإباحة المتعة بعده ﷺ قد اعتقدوا أن الناهى عنها عمر وذلك لأنهم لم يبلغهم النهى عنه ﷺ[4].

ونخلص من ذلك: أن المتعة لم يشرعها نص قرآنى، وإنما رخص فيها رسول الله ﷺ فى ظل ظروف معينة شرحناها، وعندما انتفت تلك الظروف عاد رسول

---

(1) موطأ مالك - كتاب النكاح - باب نكاح المتعة.

(2) سنن ابن ماجه - باب النهى عن نكاح المتعة.

(3) انظر - الأم - للإمام الشافعى - جـ7 - ص 235.

(4) فتح البارى - جـ9 - ص 177.

الله إلى الأصل، وهو تأييد علاقة الزوجيـة وتحريم الزواج المؤقت، وأن عمراً ليس هو من حرم المتعة، فقـوله لم يكن منشئاً للتحريم، بل كان كاشـفاً لما سبق وحرمه رسول الله ﷺ.

سادساً: حكاية راعوث وبوعز:

ذكرنا أن القـمص زكريا بطرس قد أثار الكلام عن زواج المتعـة فى الإسلام فى سياق رده عما أثاره أحمد ديدات فى كتابه «عتاد الجهاد» تحت عنوان[1]: «راعوث تضاجع بوعز لينكحها ليلاً بتوصية من حماتها»[2]، وكعادة القمص هرب من الرد الموضـوعى، ولم يذكـر ما جـاء بسـفر راعـوث حـتى لا تتضح الـصورة كـاملة للمشاهد، وقـبل أن نذكر ما قاله القمص رداً على هذه الشـبهة[3] لنقوم بالتعليق عليه، نجد أنه حرى بنا أن نقتبس بعض ما جاء بالسفر:

«وقالت لهـا (يعنى لراعوث) نُعـمْى حمـاتها: يا ابنتى ألا ألتـمس لك راحة ليكون لك خـير؟ فالآن أليس بـوعز ذا قرابة لنا، الـذى كنت مع فتيـاته؟ ها هو يُذَرِّى بيدر الشـعير الليلة. فـاغتسلى وتدهنـى والبسى ثيابك وانزلى إلى البـيدر ولكن لا تُعْـرَفى عند الرجل حـتى يفـرغ من الأكل والشـرب. ومـتى اضطجع فاعلمى المكان الذى يضطجع فيه وادخلى واكشـفى ناحية رجليه واضطجعى وهو يخبرك بما تعملين.

فنزلت إلى البيدر وعَمِلَت حسب كل ما أمرتها به حماتها، فأكل بوعز وشرب وطاب قلبه ودخل ليضطجع فى طرف العَرَمَة فدخلت سـراً وكشفت ناحية رجليه

---

(1) العنوان كما ذكره ديدات بالإنجليزية: Ruth Cohabits With Boaz in barn. وترجمتها: راعوث تضطجع مع بوعز فى الجرن، والعنوان لم يتجن على الكتاب المقدس فـهو مطابق تماماً لما ورد بنصوص الكتاب المقدس على ما سنرى.

(2) عتاد الجهاد: ص 16.

(3) سبق وذكرنا مـا قاله القمص رداً على هذا السفر عـند الحديث عن زواج المتعة، ورأينا أن نعيـده مرة ثانية لنعلق عليه حتى تتضح لنا الصورة.

واضطجعت وكان عند انتصاف الليل أن الرجل اضطرب والتفت وإذا بامرأة مضطجعة عند رجليه، فقال: من أنت؟ فقالت أنا راعوث أمتك»[1].

وقد علق القمص على هذه الواقعة بقوله: الكلام فى الكتاب المقدس إن زوج راعوث مات، فقالت لها حماتها: يا ابنتى «روحى دوّرى على حد»، وكان القانون فى التوراة إن أقرب الأقرباء منها يتزوجها، فكان أقرب الأقرباء بوعز، فأرسلتها إلى بوعز ليس لأجل ما قاله ديدات، فالكتاب المقدس يقول: وهو يخبرك بما تفعلين[2].

والحقيقة، نجد أن قول القمص: «وكان القانون فى التوراة أن أقرب الأقرباء منها يتزوجها» قول تعوزه الدقة، وأنا لا أشك فى أن القمص يعرف الحكم الصحيح لهذه المسألة، وهو - كما جاء فى سفر التثنية:

«إذا سكن إخوة معاً ومات واحد منهم وليس له ابن فلا تصر امرأة الميت إلى خارج لرجل أجنبى. أخو زوجها يدخل عليها ويتخذها لنفسه زوجة ويقوم لها بواجب أخى الزوج. والبكر الذى تلده يقوم باسم أخيه الميت لئلا يمحى اسمه من إسرائيل»[3].

فالنص هنا تكلم عن زواج الأخ بزوجة أخيه الميت إذا لم ينجب أولاد، ولم يقل أقرب الأقرباء، وحتى إذا فرضنا جدلاً أن قول القمص صحيح، فهل هذا يبيح لراعوث أن تتسلل ليلاً - بعد أن اغتسلت وتطيبت - حتى تصل إلى الشونة التى يبيت بها بوعز ثم تكشف ناحية رجليه وتضطجع. فهل هذا كلام معقول؟! وهل من المعقول أن يسطر هذا الكلام فى كتاب سماوى؟! أسئلة تحتاج إلى إجابة.

---

(1) سفر راعوث 3 :1 - 9.

(2) سبق وذكرنا هذا الرد وأعدناه هنا لتمام الفائدة ولعدم تشتيت ذهن القارئ.

(3) تثنية 25 :5 - 6.



الفصل السادس
حور العين وسفر نشيد الإنشاد

- عرض الشبهات:

فى إطار الحديث عن سفر نشيد الإنشاد[1] يوجه مقدم البرنامج كلامه للقمص: إنهم يعترضون على سفر نشيد الإنشاد، وأن به غزل فاضح وألفاظ غير لائقة.

- **القمص:** أليس الله هو الذى خلق الجنس، وطالما الجنس فى الوضع الشرعى فهل هناك خطية؟ فهى علاقة روحية ومقدسة، علاقة الله بشعبه، **وهذا السفر شعر**، والشعر ملئ بالكلام البلاغى والمجاز، والكناية. وهذا السفر بين عريس وعروس.

ويضيف القمص: وفى سورة النساء آية 24 **﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾** فهذا زواج المتعة، فلماذا لا يوجد اعتراض على هذا؟

ولا يعترضون - والكلام للقمص - على سورة الطور آية 19 وهو التمتع بحوريات الجنة **﴿وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾**[2] وسورة الواقعة **﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾**[3] واحد يقول: لا، ده المعنى ليس متعة جنسية (ده) معنى روحى، ويضيف: فيه كتاب اسمه: (خواطر مسلم فى المسألة الجنسية) للأستاذ/ محمد جلال كشك، يقول فيه: إنه ثابت بنص القرآن أن حور العين هن للاستمتاع الجنسى. (طيب) سفر الأناشيد لا يوجد به هذا الكلام.

---

(1) حلقة 22 - وكذلك حلقة 100.

(2) سورة الطور آية 20 وليس كما ذكرها 19.

(3) الواقعة: 36.

والغزالى فى إحياء علوم الدين يقول: والجنة مزينة بالحور العين من الحسان كأنهن الياقوت والمرجان، لم يطمثهن إنسٌ قبلهم ولا جان، إذا اختالت إحداهن حمل أعطافها سبعون ألف من الولدان. فهل سفر نشيد الأناشيد فيه الكلام ده.

وجلال كشك يقول عن اللذة والمتعة فى الجنة: لا مجال لأى خجل أو استهزاء، فليس فى الجسد عيب أو قباحة، ومتعة الجسد بلا حدود فى الآخرة. فهل يتكلم نشيد الإنشاد عن هذا؟ إنه يتكلم عن علاقة راقية، ومغزى روحى سامى.

- ويوجه كلامه لمقدم البرنامج: أما الألفاظ الجنسية التى سألت عنها، وما هى معانيها، **(ليقبلنى بقبلات فمه لأن حبك أطيب من الخمر)**[1] المعنى الحرفى القُبلة العادية، وحتى لو كان بالمعنى الحرفى بين زوج وزوجة ليس فعل فاضح، لكن المعنى الروحى الحب علاقة المحبة. فالعبرة ليست بالكلام لكن العبرة بالقارئ. **(اسمك دهن مهراق. لذلك أحبتك العذارى)**[2] فهل هذا عشق، فهى تريده لها بمفردها، وهذا يفيد أنه **حب إلهى**، لكن الإنسان المعترض لا يفهم شىء فى الروحانية، هذا من ناحية العروس، ومن ناحية العريس **(وارعى جداءك عند مساكن الرعاة)**[3] فهل العاشق يأمرها أن تذهب عند مساكن الرعاة؟ فهذا ليس عشق جسدى، هذا عشق روحى، فاذهبى عند الرعاة ليعرفوك الطريق، فالسفر علاقة حب إلهى.

وهذا العشق موجود فى الإسلام عند الصوفية، يعنى واحدة (زى) رابعة العدوية شهيدة العشق الإلهى، ماذا تقول؟

أحبك حبين حب الهوى ... وحب لأنك أهل لذاك

فأما الذى هو حب الهوى ... فشغلى بذكرك عمن سواك

وأما الذى أنت أهل له ... فكشفك للحجب حتى أراك

(1) نشيد الإنشاد 1 :2.

(1) نشيد الإنشاد 1 :3.

(3) نشيد الإنشاد 1 :8.

فهذا عــشق طاهر، إذن سفر نشــيد الأناشيد من هذا النوع، واكــتشفتــه رابعة العدوية.

- الرد على شبهة الحور العين:

نقول: أنه لا قبح فى كون الجنة مشتــملة على الحور والقصور وسائر النعيم عند العقل، ولا يقــول أهل الإسلام أن لذات الجنة مـقصورة على اللــذات الجسمــانية فقط، بل يعتقدون بنص القرآن أن الجنة تشتمل على اللذات الروحانية والجسمانية، والأولى أفضل من الثانية ويحصل كلا النوعين للمؤمنين[1].

يقول الله سبــحانه وتعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾[2] وقوله تعالى: ﴿**وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ**﴾ أى رضا الله عنهم أكبــر وأعظم مما هم فيه من النعــيم، وعن أبى سعيد الخــدرى أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله عــز وجل يقول لأهل الجنة يا أهل الجــنة فيــقولون لبــيك ربنا وسعديك والخير فى يدك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: ومالنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا مــا لم تعط أحدا من خلقك. فيقــول: الا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقــولون: يا رب وأى شىء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحــل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم أبدا**»[3].

والإنسان مخلوق من جوهرين لطيف علوى روحانى وكـثيف سفلى جسمانى، وانضم إليهما حصول سعادة وشقاوة، فإذا حصلت الخيرات الجسمانية وانضم إليها حصول السعادات الروحانية، كان الروح فــائزاً بالسعادات اللائقة به والجسد واصلاً إلى السعادات اللائقة به، ولا شك أن ذلك الفوز العظيم(4).

(1) رحمت الله الهندى - إظهار الحق - جـ2 - ص 119.

(2) سورة التوبة - آية 72.

(3) انظر تفسير ابن كثير للآية 72 من سورة التوبة.

(4) إظهار الحق - جـ2 - ص 119.

والحشر الجسماني لازم عقلاً، بل وشرعاً، فالله سبحانه وتعالى خلق آدم من تراب، وذلك باعتراف الكتاب المقدس: **(وجبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض. ونفخ فى أنفه نسمة حياة فصار آدم نفساً حية)**[1] وقد غاير الله بين خلقه، فخلقت الملائكة من النور، والجان من النار، والكل يبعث بطبيعته فالملائكة ملائكة، والبشر بشر، والجان جان، وإلا لما غاير الله فى خلقهم من أول الأمر، ولجعل الإنسان كالملاك، والله قادر على أن يخلق الإنسان روح بلا جسد، ولكن لما كان سبحانه وتعالى قد ارتضى له هذه الصورة، فسوف تصاحبه فى الدنيا والآخرة، وإلا إذا أصبح الإنسان كالملائكة - يوم القيامة - فهل ستظل الملائكة كما هى أم إنها ستتحول أيضاً؟!

وكون أهل الجنة كالملائكة فى المسيحية[2] لا ينافى الأكل والشرب على حكم أسفار الكتاب المقدس، ألا يرون أن الملائكة الثلاثة الذين ظهروا لإبراهيم - عليه السلام - أحضر لهم إبراهيم عجلاً حنيذاً وسمناً ولبناً أكلوا هذه الأشياء كما صرح به فى الإصحاح الثامن عشر من سفر التكوين، وأن الملكين اللذين جاءا إلى لوط عليه السلام وصنع لهما وليمة وخبزاً فطيراً كما صرح به فى الإصحاح التاسع عشر من سفر التكوين[3].

والمسيح نفسه صرح بأنه سيشرب يوم القيامة **(وأقول لكم إنى من الآن لا أشرب من نتاج الكَرْمَة هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم فى ملكوت أبى)**[4] ويقول: **(لأنى أقول لكم إنى لا أشرب من نتاج الكرمة حتى يأتى ملكوت أبى)**[5] بل

(1) سفر التكوين 2: 7.

(2) متى 22: 30.

(3) إظهار الحق - جـ2 - ص 119.

(4) متى 26: 29.

(5) لوقا 22: 18.

وسيأكل كذلك: **(أنتم الذين ثبتوا معى فى تجاربى. وأنا أجعل لكم كما جعل لى أبى ملكوتا. لتأكلوا وتشربوا على مائدتى فى ملكوتى)**[1] ومن يستمتع بإحدى المتع الجسدية لا يمتنع عليه عقلاً أن يستمتع بها كلها، والأكل والشرب لا يصح عقلاً إلا إذا كان الحشر جسمانياً وروحانياً.

وعلى كل حال نقول للقمص زكريا بطرس: إذا حدث ودخل الجمل فى سم المخيط فدخلت الجنة، فلا تستمتع بالحور العين ولا تأكل،ولا تشرب فلك مطلق الحرية ولا معقب لأحد عليك فى ذلك.

- تعليق على ما جاء فى سفر نشيد الإنشاد:

بذل القمص زكريا بطرس جهداً لا بأس به فى الدفاع عن سفر نشيد الإنشاد أحد أسفار الكتاب المقدس، فتارة قال: «إنه علاقة مقدسة، علاقة الله بشبعه»، وتارة أخرى «إن السفر بين عريس وعروس»، وثالثة: «إن هذا السفر شعر، والشعر ملئ بالكلام البلاغى»، وقال كذلك: أن السفر علاقة حب إلهى، وعشق إلهى.

بداية نقول: هل من العقل أن يحتوى كتاب سماوى على شعر؟ وبين عريس وعروس؟

إذا قلت أن المراد هو المعنى البلاغى والمجازى وليس المعنى الحرفى، فأطلب منك جناب القمص أن تشرح لنا النصوص التالية وتبين لنا ما هى علاقتها بالحب والعشق الإلهى:

«ها أنتِ جميلة يا حبيبتى ها أنتِ جميلة. عيناك حماماتان من تحت نقابك. شعرك كقطيع معز رابض على جبل جلعاد. . . . عنقك كبرج داود المبنى

---

(1) لوقا 22 :28 - 30.

للأسلحة. ألف مـجن عُلق عليها كلهـا أتراس الجبابرة. ثدياك كـخِشفتى ظبـية توأمين يرعيان بين السوسن»(1).

«شفتاك يا عروس تقطران شهداً. تحت لسانك عسل ولبن»(2).

«ما أجمـل رجليكِ بالنعلين يا بنت الكريم. دوائر فخذيكِ مـثل الحلى صنعة يدى صنَّاع. سُرَّتـكِ كأس مُدوُرة لا يعـوزها شراب ممزوج. بطنك صُـبْرَة حِنْطَة مسيجة بالسوسن. ثدياك كخشفتـين توأمى ظبية. . . ما أجملك وما أحلاك أيتها الحبيبة باللذات. قامتك هذه شبيهة بالنخلة وثدياكِ بالعناقيد. قُلْتُ إنى أصعد إلى النخلة وأمسك بعذوقها»(3).

وبعد عرض هذه النصوص نسـأل القمص. هل عبارة «ثدياك كخشـفتى ظبية» تدل على علاقة الله بشعبه؟!وعـبارة «سُرتك مُدَوَّرة» هل تدل على الحب والعشق الإلهى؟! وعبارة «قامـتك هذه شبيهة بالنخلة وثدياك بالعناقيـد» فهل يتكلم هنا سفر نشيد الإنشاد - كـما ذكرت يا جناب القمص - عن علاقة راقـية ومغزى روحى سامى.

ونعيد التـساؤل مرة أخرى، هل من العقل أن يوحى الله بكتـاب سماوى بكلام يتغزل فى ثدى امرأة وفى سُرَّتها ودوائر فخذيها؟!

نقول للقمص زكريا بطرس: لا تخدع الناس بتأويلك الذى لا يقبله عقل، ذلك التأويل الذى لم يجرؤ على قراءة تلك النصوص التى أوردناها بالحلقة، وإنما اكتفيت بعرض أول السفـر لتهرب من الرد، ثم قمت بجـذب المشاهد لقضيـة زواج المتعة وقضية الحور العين.

(1) سفر نشيد الإنشاد 4 :1 - 5.

(2) نشيد الإنشاد 4 :11.

(3) نشيد الإنشاد 7 :1 - 8 .

ونقول له: نحن نسألك عن سفر نشيد الإنشاد والغزل الفاضح الموجود به وتضمين الكتاب المقدس إياه، فنجدك تقول: قال الأستاذ محمد جلال كشك فى كتابه «خواطر مسلم فى المسألة الجنسية»، وقال الغزالى فى كتابه «إحياء علوم الدين»، وأشعار رابعة العدوية فهل الكتاب المقدس عندك يساوى هذه الكتب؟

إذا كانت الإجابة نعم، فأنت تؤمن بكتاب مساو لكتب من وضع البشر، وإذا أجبت بلا، فلماذا إذن استرشدت بها؟ أسئلة تحتاج إلى إجابة.

* * * *



الفصل السابع

حول بعض ألفاظ القرآن وسفر حزقيال

- عرض الشبهات:

- **مقدم البرنامج:** نعود إلى حديثنا عن كتاب عتاد الجهاد للشيخ أحمد ديدات حيث قبح أشياء كثيرة، ويتكلم عن اسمين ذكروا فى العهد القديم فى حزقيال 23، وكيف إذا كان الكتاب مقدس يتكلم عن عاهرات شابقات عن اختين إحدهما اسمها أهولة والثانية أهوليبة، فهل لك أن تشرح هذا الموضوع؟[1]

- **القمص:** دائماً من يكون ثقافته جنسية يفسر الموضوع حسب فكره، فما يقوله الكتاب المقدس هو تشبيه عن بنى إسرائيل كيف مشوا وراء شهوات الجسد، فيأخذها (ديدات) على إنها عاهرات شابقات حسب ما اعتاد عليه، ففى حزقيال 23 :3 - 20 **«وكان إلى كلام الرب قائلاً: يا ابن آدم كانت امرأتان ابنتا أم واحدة (وسيدا فى التشبيه) وزنتا بمصر. فى صباهما زنتا. هناك دغدغت ثديهما وهناك تزغزغت ترائب عذرتهما؛ واسمهما أهولة الكبيرة وأهوليبة أختها وكانتا لى... واسمهما السامرة أهولة وأورشليم أهوليبة... وعشقت معشوقهم الذين لحمهم كلحم الحمير ومنيهم كمنى الخيل... هكذا قال السيد الرب: هأنذا أهيج عليك عشاقك.. فيأتون عليك بأسلحة مركبات... فيحكمون عليك... أفعل بك هذا لأنك زنيت وراء الأمم لأنك تنجست بأصنامهم».**

---

(1) حلقة رقم 100.

اختار القمص بعض الفقرات من سفر حزقيال إصحاح رقم 23 عدد 3 إلى 30.

ويعلق القمص: أود أن أشير إلى أن الكتاب المقدس ليس كتاباً جنسياً، الكتاب المقدس كلام الله. وما كتبه حزقيال فى هذا الجزء هو نهى عن الشر، وليس تحريض عن عمل الشر.

والكلام فى السفر موَجَّه إلى أمة اليهود، فالأم التى لها بنتان؛ الأم هى اليهودية والبنتان أهولة وأهوليبة، واحدة اليهودية، والثانية السامرة، وهما الدولتين المكونتين لأمة اليهود، فهو يتكلم عن أمة، **وكلمة الزنا كلمة روحية**.

فهى ليست امرأة بالمعنى الحرفى، فهى صورة مجازية تعبر عن الأمة اليهودية، وهذا يسميه الكتاب **بالزنا الروحى**، يعنى ترك الله والألتصاق بآلهة غريبة. وعن الزنا بمعنى ترك الله وعبادة آلهة أخرى ما ورد فى سفر قضاة إصحاح 2 عدد 17 **«ولقضاتهم أيضاً لم يسمعوا بل زنوا وراء آلهة أخرى»** وعن الزنا بمعنى محبة العالم يقول فى رسالة يعقوب إصحاح 4 عدد 4: **«أيها الزناة والزوانى أما تعلمون أن محبة العالم عداوة لله»** إذن الزنا ليس زنا امرأة بالمعنى الحرفى.

ويضيف القمص: ألم يعلم فضيلة الشيخ ديدات إن مثل هذه الألفاظ بنصها وردت فى القرآن وفى الأحاديث الصحيحة، فهل كان يعتبرها أيضاً غير لائقة ومستهجنة؟ أم يقول فى هذه الحالة لاحياء فى الدين؟

فلفظة **ترائب** التى يعترض عليها (ديدات) وكيف تقال كلمة ترائب فى كتب سماوية، فقد وردت فى القرآن فى سورة الطارق حيث يقول: **﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾**[1] لماذا لم يقل أنها عيب هنا.

مقدم البرنامج: الجواب أنها وردت هنا - يعنى فى القرآن - بمعنى روحى.

(1) الطارق: 4 - 7.

- **القمص**: ونفس لفظة المنى التى وردت فى حزقيال قد وردت بذاتها فى القرآن فى سورة القيامة **﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ﴾**[1].

ومن هذه الألفاظ ما ورد فى القرآن فى سورة الأحزاب آية 50: **﴿وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾** ورفض القمص أن يقرأ كلمة **﴿يَسْتَنكِحَهَا﴾** فقرأها مقدم البرنامج، فيعلق القمص: لاحياء فى الدين الإسلامى، لكن الدين المسيحى نحن عندنا حياء.

ويضيف: وفى سورة النور - آية 31: **﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾** ويسخر هو ومقدم البرنامج من لفظة **﴿فُرُوجَهُنَّ﴾**.

ثم يتطرق القمص لما جاء فى القرآن عن الجنة وما بها من حور العين[2].

مقدم البرنامج: هل هناك أى شيء من هذا القبيل فى الأحاديث الشريفة؟

القمص: يعلق بسخرية - سنرى إذا كانت شريفة أم لا، وقد ورد فى الأحاديث مثل هذه الألفاظ أيضاً، واكتفى هنا بإيراد لفظ قاله محمد أربع مرات فى أحاديثه، وأنا أتحدى أى شيخ من شيوخ المسلمين أن ينطق هذا اللفظ الذى سوف أعرضه للكاميرا فقط، والحديث فى صحيح البخارى باب المحاربين حديث رقم 6913 ثم يذكر طرفاً من حديث ماعز الذى أقر بالزنا، ويذكر من سنن أبى داود: عن أبى هريرة قال: جاء الأسلمى إلى نبى الله فشهد على نفسه إنه أصاب امرأةً حراماً أربع مرات، كل ذلك ويعرض عنه النبي، فأقبل فى المرة الخامسة فقال له: . . .

---

(1) القيامة: 35 - 39.

(2) سبق وتطرقنا لهذا الموضوع.

(لم يذكر الكلمـة) قال له: نعم، قـال: حتى غاب ذاك منك في ذاك منهـا، قال: نعم، قال: كمـا يغيب المرود في المكحلة والرشاء في البئـر؟ قال نعم. قال: أتدرى ما الزنا؟ قال: نعم، أتيت منها حراماً مـا يأتى الرجل من امرأته حلالاً، قال: فما تريد بهذ القول؟ قـال: أريد أن تطهرنى. فأمر به فرجم. فـسمع النبي رجلين من أصحابـه، يقول أحدهما لصـاحبه: انظر إلى هذا الرجل الذى ستـر الله عليه فلم تدعه نفسه حـتى رُجم رَجْم الكلب، فسكت عنهما ثم سار ساعة حتـى مر بجيفة حمار، فـقال: أين فلان وفلان، فقالا: زان يا رسـول الله، فقال: انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار. ويعلـق: علشان اعترضوا على النبى (إزاى) يرجم الرجل الذى اعترف بالخطية وربنا ستر عليه، ولم يكمل الحديث.

- الرد على الشبهات:

التزاماً منا بالموضوعية نقول: لا شك في أن ما جاء فى سفر حزقيال 23 :3 - 20 صورة مجازية تعبر عن أمة اليـهود، ولا اعتراض منا على هذا، ولكن الاعتراض على الصورة التى جاء بها هذا المجاز، فقد جاء بطريقة لا يمكن أن تنسب مثلها إلى الله سبـحانه وتعالى، فـهل يعقل أن يقول الله سـبحانه وتعـالى أو أن يوحى بطريق الإلهام هذه التشبيهات؟! أو أن يخوض سبحانه وتعالى ويأتى بهذه التفصيلات التى لا طائل من ورائها إلا إثارة الغـرائز الجنسية؟! وإليك بعضـاً منها: **(هناك دغدغت ثُديِّهـما وهناك تزغـزت ترائب عذرتهـما)**[1] و**(لأنهم ضاجـعوها فى صـباحـها وزغرغوا ترائـب عذرتها)**[2] وكذلك: **(وافتقـدت رذيلة صباك بزغزغـة المصريين ترائبك لأجل ثدى صباك)**[3].

(1) حزقيال 23 :3.

(2) حزقيال 23 :8.

(3) حزقيال 23 :21.

فهل زغزغة الثدى يجوز أن يأتى بها الله فى تشبيهاته؟! وهل يعقل أن يشبه الله تركه وعبادة آلهـة أخرى بالزنا الروحى؟! فما كان أسهل على الله أن يسميه كفراً، علاوة على أنه لم يرد نص فى الكتاب المقدس بمثل هذا التشبيه (الزنا الروحى)!!

أما قول القمص أن لفظة «ترائب» التى يعترض عليها أحمد ديدات وكيف تقال فى كتب سماوية. نقول: إن اعتراض ديدات لم يكن على لفظة ترائب، فاللفظة فى حدد ذاتها لا اعتراض عليها، ولكن فى السياق الذى ظهرت فيه، وما هذا إلا محاولة من القمص للهرب من الموضوع الرئيسى وهو كيف يعقل أن الله سبحانه وتعالى يأتى بمثل هذه الشبيهات؟!

ولفظة ترائب التى يعترض عليها القمص جاءت فى سياق قوله تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٨) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾(1).

ولفظة الترائب هنا لم ترد بالمعنى الروحى كما ادعى مقدم البرنامج، ولكن جاءت بالمعنى الحرفى وهو عظام صدر المرأة، واللفظة جاءت فى سياق تنبيه الله سبحانه وتعالى على ضعف أصل الإنسان الذى خلق منه وإرشاداً له إلى الاعتراف بالمعاد لأن من قدر على البداءة فهو قادر على الإعادة بطريق الأولى(2).

أما قول القمص أن لفظة «المنى» التى وردت فى حزقيال قد وردت بذاتها فى سورة القيامة. نعود ونكرر أن الاعتراض ليس على اللفظة ولكن على السياق الذى جاءت فيه اللفظة، يقول الله جل شأنه: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ

(1) الطارق: 5 :9.

(2) انظر تفسير ابن كثير لهذه الآيات: وانظر مختار الصحاح جـ1 ص 32 حيث جاء فيه: والتريبة واحدة الترائب وهى عظام الصدر.

﴿الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾[1] والآيات بها برهان عقلى على قدرة الله سبحانه وتعالى على إحياء الموتى، والقارئ لهذه الآيات لا يمكن أن يلمس بها بُعداً جنسياً، فليس بها أى إشارة إلى دغدغة الثدى أو ترائب العذرة، وهذا هو الفارق بين كلام الله سبحانه وتعالى وكلام البشر.

أما اعتراض القمص على لفظتى **«يستنكحها»** فى الآية 50 من سورة الأحزاب ولفظة **«فروجهن»** فى الآية 31 من سورة النور. نقول: أن أى دارس للغة العربية يعلم أن كلمة النكاح تأتى بمعنى الوطء والعقد، وأن المرأة الناكحة هى ذات الزوج، فالنكاح بمعنى الزواج، ويسهل على الجميع أن يراجع كل هذا فى معاجم اللغة العربية[2].

أما لفظة (فرْج) فهى تعنى العورة، والله يمتدح من يحفظ عورته ويبتعد عن الزنى، ولا ندرى لماذا الاعتراض؟!

ونقول للقمص هل أصابك الحياء من ذكر لفظتى النكاح والفرج، ولم يصبك عندما ذكرت دغدغة الثدى، والله إن هذا لشىء عجاب!!

أما ما ذكره القمص عن حديث ماعز والكلمة التى تحدى القمص أن يقولها أحد الشيوخ، فنحن لا ننكر أن هذه الكلمة قد وردت بمتن الحديث كما رواه أبو داود، وسنذكر شطر من الحديث حتى نصل إلى هذه الكلمة ونوضح لماذا قالها ﷺ.

جاء فى الحديث أن ماعزاً سأله ﷺ أن يطهره، وقال: إنى قد زنيت، فأرسل إلى قومه: **هل تعلمون بعقله بأساً تنكرون منه شيئاً؟** قالوا: ما نعلمه إلا أوفى العقل من صالحينا فيما نرى، فأقر أربع مرات، فقال له فى الخامسة: **أنكتها؟** قال: نعم....

(1) القيامة: 36 :40.

(2) انظر القاموس المحيط: جـ1 ص 2312.

فـالكلمـة إذن هى: «أنكتـهـا؟» وعلينا أن نـعلم أن هذه اللفظة كـانت دارجـة الاستعمال عند العرب، فنحن عندما ننظر إلـى لفظة معينة، وهل يقبلها المجتمع أم لا علينا أن نحدد المكان والزمـان اللذان ذكرت فيـهما اللفظة لا إلى وقتنا الحـاضر وإلى حال مجتمعنا هذا من ناحية، ومن ناحـية أخرى، نجد أن ماعزاً كان شاباً أقر على نفسه بارتكاب كـبيرة الزنا، وهذه الكبيرة عقوبتـها الرجم حتى الموت، أى أن هذا الشاب سيمـوت حتماً إذا ثبتت عليه الجريمة، فلم يجـد الرسول ﷺ من مفر من أن يحدثه باللغة التى يعرفها (أعنى ماعزاً) ودرج عليها حتى يكون على بينة من أمره، وحتى لا يقيم الحد على برئ، فلعله اقتـرف مقدمات الزنا فقط فهنا لا حد عليه، لكل هذا أعـاد عليه رسول الله ﷺ السـؤال بأكثر من أسـلوب حتى يقطع الشك باليقين. ولنا فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة.

أما ما ادعـاه القمص بأن الرسول ﷺ قد أمر الـرجلان - فى نفس الحديث - بالأكل من جيـفة الحمار لاعـتراضهمـا على رجم الرجل الذى اعترف بخطيـئته. نقول: أن هذا ادعاء بعيد كل البعد عن الصدق، والقمص لم يكمل باقى الحديث عمداً ليضلل المشاهدين، وإليك بقية الحديث:

«فسـمع النبى ﷺ رجلين من أصحابه يقـول أحدهما لصاحـبه: انظر إلى هذا الذى ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رُجم رَجْم الكلب، فسكت عنهما ثم سار ساعة حتى مر بجيفة حمار شائل برجليه، فقال: **أين فلان وفلان؟** فقالا: نحن ذان يا رسول الله، فقال: **انزلا وكلا من جيفة هذا الحمار،** فقالا: يا نبى الله من يأكل هذا؟ قال: **فما نلتما من عرض أخيكما آنفاً أشد أكلاً منه، والذى نفسى بيده إنه الأن لفى أنهار الجنة ينغمس فيها»**.

إذن اعتراض الرجلان لم يكن لأن الرسول ﷺ أمر برجم الرجل، رغم توبته، ولكن لأن الرجل ستر الله عليه ولكنه لم تطب نفسه إلا إقـامة الحد جزاءاً لما اقترفه من ذنب، فاتهما إياه بالحمق ووصفهـا إياه بأنه رُجم رَجْم الكلب، فعاتبهما رسول الله ﷺ على هذه المقولة، وأوضح لهمـا أن الأكل من جيفة حمار أهون علـيهما من النيل من عرض هذا التائب الذى كان مصيره الجنة جزاء توبته. ونقول للقمص أنه لايلجأ إلى الكذب إلا من هو حججه أوهن من خيوط العنكبوت.

* * * *

الفصل الثامن
شرب الخمر

- عرض الشبهات:

كان موضوع هذه الحلقة[1] الرد على ما ذكره أحمد ديدات بخصوص الخمر فى الكتاب المقدس.

مقدم البرنامج: نعود إلى كتاب أحمد ديدات عتاد الجهاد، حيث قال أن الكتاب المقدس ينصح بشرب الخمر، فما هو تعليقك على هذا؟

- **القمص:** أحمد ديدات اقتبس نص من سفر الأمثال إصحاح 31 عدد 5، 6 حيث يقول النص: **«اعطوا مسكراً لهالك»** ويعلق أحمد ديدات هل يصح أن يقول الكتاب المقدس هذه النصيحة الشيطانية.

- **مقدم البرنامج:** اذكر لنا النص نفسه من الكتاب المقدس.

- **القمص:** يقول سفر الأمثال 31 :5 - 6: **«ليس للملوك أن يشربوا خمراً ولا للعظماء المسكر. لئلا يشربوا وينسوا المفروض. ويغيروا حجة كل بنى المذلة»** وسنشرح معنى المراد من: أعطوا مسكراً لهالك وخمراً لمرّى النفس[2].

- **مقدم البرنامج:** أحمد ديدات يقول أن الخمر يعطى للفقير بنص الكتاب المقدس، فماذا تقول أنت؟

- **القمص:** هذا تحريف آخر، أحمد ديدات يقول أما الفقراء فإن الإنجيل يقول بشأنهم أعط مسكراً، فكيف يقول عن الهالك أنه فقير، وما هى المراجع[3]، ومترجم الكتاب[4] قال عن الهالك أنهم الناس الذين يموتون.

---

(1) حلقة 90.

(2)، (3) لم يكمل القمص زكريا بطرس باقى نص الكتاب المقدس، وسنذكر النص بالكامل عند الرد مع التعليق عليه.

(4) يقصد كتاب عتاد الجهاد. والحقيقة أن مترجم الكتاب لم يوضح معنى الهالك، ولكنه قدم ترجمة للنص الإنجليزى - سنذكره فى حينه - وقد اقتبس القمص هذا الجزء منها على اعتبار أنها تفسير لكلمة هالك.

ويضيف القمص: وذلك لأن الخمر قديماً كانت تستعمل كمخدر، وكعلاج، فمن كان يموت ويعانى سكرات الموت كان يعطى الخمر ليستريح.

مقدم البرنامج: وأنا أذكر أن القرآن قال: أنه فى الخمر منافع للناس.

- القمص: برافو، ففى سورة البقرة آية 219: **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾** ولو سألتهم عن هذا الكلام سيقولون أنه منسوخ، فهل الله غيّر كلامه؟!

مقدم البرنامج: أحمد ديدات يقول أيضاً أن بولس الرسول أوصى بتفضيل الخمر على الماء. فما هو ردك؟

القمص: لنرى نص الكتاب المقدس فى رسالة بولس الرسول إلى تلميذه تيموثاوس. إصحاح 5 عدد 23: **«لا تكن فى ما بعد شرّاب ماء بل استعمل خمراً قليلاً من أجل معدتك وأسقامك الكثيرة»** وفى الواقع، تيموثاوس كان عنده مرض الاستسقاء، فكان يشرب ولا يرتوى، فهى حالة مرضية.

ويضيف القمص: والغريب أن هذا الكلام حدث لمحمد نفسه، ففى صحيح مسلم كتاب الأشربة - باب فى شرب النبيذ[1]: عن جابر بن عبد الله قال: كنا مع رسول الله فاستقى - (يعلق القمص على الكلمة فيقول: يعنى مرض الاستسقاء، يشرب ماء فلا يرتوى) - فقال رجل: يا رسول الله ألا نسقيك نبيذا؟ فقال: بلى. فشرب رسول الله.

ويضيف: وديدات لا يعرف هذا الكلام، فمحمد أباح شرب الخمر فى مرض، وكان الخمر الذى قاله بولس الرسول فى المرض.

---

(1) لم يذكر الاسم الحقيقى للباب كما جاء فى صحيح مسلم وذلك ليوهم المشاهد أن الرسول ﷺ قد أمر بشرب الخمر، وسنوضح هذا فى حينه إن شاء الله.

مقدم البرنامج: هل لديك نصوص من الكتاب المقدس لا تشجع على شرب الخمر.

القمص: الكتاب المقدس يحرم كل درجات الخمر والمسكر، فالكتاب المقدس يحرم الإدمان، ففى سفر الأمثال إصحاح 93 عدد 29 - 30: **«لمن الويل لمن الشقاوة.. للذين يدمنون الخمر»** وفى رسالة بولس إلى أفسس إصحاح 5 عدد 18: **«لا تسكروا بالخمر الذى فيه الخلاعة»** ثم يستطرد القمص فى عرض نصوص أخرى من الكتاب المقدس تحرم شرب الخمر.

ويضيف القمص: فى سورة المائدة آية 90: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾** فهل كان محمد قبل أن يُحرم الخمر كان تحت تأثير عمل الشيطان عندما كان يتعاطى الخمر؟ فالخمر حرمت سنة 3 من الهجرة أى سنة 15 من البعثة، فهل كان محمد طيلة 15 سنة تحت تأثير عمل الشيطان؟

مقدم البرنامج : أنت تقول أن محمداً كان يتعاطى الخمر، فما هى الأدلة على هذا الموضوع؟

- **القمص:** فى صحيح مسلم كتاب الأشربة باب شرب النبيذ، ثم يذكر القمص حديث جابر الذى سبق وذكره، ويقول: فى صحيح مسلم أن الرسول كان يُنبذ له فى تور من حجارة. وفى صحيح البخارى كتاب الأشربة: نهى النبى أن يجمع بين التمر والزبيب ولينبذ كل واحد منهما على حدة (كان عنده مزاج)[1] وفى صحيح مسلم كتاب الأشربة عن ابن عباس قال: كان رسول الله ينبذ له

(1) تعليق القمص كما ذكره.

الزبيب فى السقاء، فيشربه يومه والغد وبعد الغد فإذا كان مساء الثالثة شربه وسقاه، فإن فضل شيء أهراقه.

وفى صحيح مسلم: حدثنا ابن حزن القشيرى قال: لقيت عائشة، فسألتها عن النبيذ، فدعت عائشة جارية حبشية، فقالت: سل هذه، فإنها كانت تنبذ لرسول الله (جايب له واحدة سقاية تنبذ له)[1] فقالت الحبشية: كنت أنبذ له فى سقاء من الليل، وأوكيه، واعلقه، فإذا أصبح شرب منه.

مقدم البرنامج: يا للعجب العجاب.

القمص: وفى صحيح البخارى باب إباحة النبيذ عن الحسن عن أمه عن عائشة قالت: كنا ننبذ لرسول الله فى سقاء. ننبذه غدوه فيشربه عشاء، وننبذه عشاء فيشربه غدوه.

وعن ابن عباس قال: كان رسول الله ينتبذ له فى سقاء. قال شعبة: من ليلة الأثنين، فيشربه يوم الإثنين والثلاثاء إلى العصر، فإن فضل منه شيء سقاه الخادم، أو صبَّه.

مقدم البرنامج: لكن يقال أن الله حرم الخمر على مراحل.

القمص: هذا ما يسمونه بالناسخ والمنسوخ، وكأن الله لم يكن يعرف الصواب وبعد وقت عرفه. وإذا كان الله يريد أن يحرم شرب الخمر على مراحل، فلماذا أمر بشرب الخمر فى سورة النحل 67 **﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ والأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾** فلماذا أمر الله بشرب الخمر؟ وفى تفسير الطبرى عن الضحاك يقول: «أى ما أسكر من العنب والتمر».

(1) تعليق القمص كما ذكره.

ويتساءل القمص: إذا كانت الخمر محرَّمة، فلماذا توجد فى الجنة أنهار من الخمر، وفى محمد: ﴿**وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ**﴾[1] ويقولون أنها خمر لا تسكر فلماذا لا يسمونها شربات خمرة. فهناك حالة من (اللخبطة والحيرة) فى الكتب الإسلامية، نبى يسكر 15 سنة ثم يحرم شرب الخمر، ويقول أنها من عمل الشيطان، فهل ظل طوال هذه المدة تحت عمل الشيطان.

وفى موضع آخر[2] يسأله مقدم البرنامج: كثيرون يعتقدون أن المسيحية تحلل شرب الخمر، بدليل أن المسيح حول الماء إلى خمر، فما رأيك؟

- **القمص**: بالتأكيد المسيحية لم تحلل الخمر، وتحويل المسيح الماء إلى خمر، وهذا موجود فى إنجيل يوحنا إصحاح 2: **«دعا رئيس المتكأ العريس، وقال له: كل إنسان إنما يضع الخمر الجيدة أولاً ومتى سكروا فحينئذ الدون. أما أنت فقد أبقيت الخمر الجيدة إلى الآن».**

ويعلق القمص: لأن الذى يشرب الخمر، يشرب الخمر الجيدة فى الأول حتى يستطعمها، وعندما يسكر تتخدر مناطق التذوق فى الفم، فلا يشعر إذا كانت جيدة أم لا، لذا رئيس المتكأ قال: لماذا أبقيت الخمر الجيد إلى الآن. فما الذى جعله يشعر إلا إذا كانت أنعشت الوعى والإحساس ومناطق التذوق. فمن هنا نقول: أنها ليست خمر عادية ستُشرب ولا يشعر بها أحد، ولكن الرجلُ أفيق ودعا العريس وقال له: كل إنسان إنما يضع الخمر الجيدة أولاً، **إذن الخمر هنا لها رمزية أخرى، إذن المسيح يأتى إلى العرس ويحول خمر العالم التى تسكر إلى الامتلاء بالروح القدس الذى ينعش**. لكن الإنسان الطبيعى، الإنسان الجسدانى يأخذ الكلام على حرفيته، لكن المسيحية ليست مجرد ألفاظ عادية، لكن لها معان روحية.

(1) آية: 15.

(2) حلقة: 23.

- الرد على الشبهات:

يستوجب الرد فى هذا المقام إثارة عدة نقاط: الأولى: الخمر فى الكتاب المقدس، والثانية: الخمر فى القرآن، والثالثة: الخمر فى السنة النبوية، وسنتحدث عن هذه النقاط تباعاً.

أولاً: الخمر فى الكتاب المقدس:

اعترض القمص زكريا بطرس على قول الشيخ أحمد ديدات بأن الخمر يعطى للفقير بنص الكتاب المقدس، فقال: إن هذا تحريف من ديدات، وكيف يقول مترجم الكتاب (عتاد الجهاد) عن الهالك أنهم الناس الذين يموتون.

وفى حقيقة الأمر، نجد أن القمص يعلم علم اليقين أن أحمد ديدات لم يُحرف نصوص الكتاب المقدس، ومترجم الكتاب لم يفعل شيء إلا الترجمة، ولكى تتضح الصورة أكثر للقارىء يكون لزاماً علينا أن نعرض للنص الإنجليزى لسفر الأمثال إصحاح 31 عدد 6 - 7، يقول النص:

"Alcohol is for People who are Dying for those who are in Misery. Let them drink and forget their poverty and unhppiness".

وترجمة النص كالآتى:

«الخمر للناس الذين يموتون ولأولئك الذين يعيشون حياة بائسة. دعهم ليشربوا لينسوا فقرهم وبؤسهم».

أما النسخة العربية للكتاب المقدس فالنص فيها كالتالى:

«أعطوا مسكراً لهالك وخمراً لمرِّى النفس. يشرب وينسى فقره ولا يذكر تعبه بعد».

إذن فنص الكتاب المقدس صريح فى أن الخمر يُعطى للفقير والبائس لينسى فقره، وهذا واضح لامراء فيه سواء فى النسخة الإنجليزية للكتاب المقدس أو فى النسخة العربية، ولكن القمص تعمد فى حلقته أن يحجب عن المشاهد نص الكتاب المقدس، فعرضه بصورة مبتسرة ليوهمه بأن ديدات قد افترى على الكتاب المقدس.

وعلى ذلك نجد أن الكتاب المقدس - من خلال النص السابق - بدلاً من أن يدعو الفقير والبائس إلى مواجهة المشكلة والتغلب عليها ليكون ذلك سبباً فى نهوض المجتمع، نجده يدعوهم إلى الهروب من المشكلة ونسيانها بتعاطى الخمور، وإذا سأل القمص عن المرجع مرة ثانية، نقول للتذكرة: سفر الأمثال إصحاح 31 عدد 6 - 7.

أما عن تحويل السيد المسيح - عليه السلام - الماء إلى خمر يكون حرى بنا أن نعرض النص كاملاً كما ورد فى إنجيل يوحنا، ثم نعقبه بالتعليق على كلام القمص، يقول النص:

«وفى اليوم الثالث كان عُرس فى قانا الجليل وكانت أم يسوع هناك. ودُعى أيضاً يسوع وتلاميذه إلى العُرس. ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له: ليس هناك خمر. قال لها يسوع: مالى ولك يا امرأة. لم تأت ساعتى بعد. قالت أمه للخدام: مهما قال لكم فافعلوه. وكانت ستة أجران من حجارة موضوعة هناك حسب تطهير اليهود يسع كل واحد مطرين أو ثلاثة. قال لهم يسوع: املأوا الأجران ماء. فملأوها إلى فوق. ثم قال لهم: استقوا الآن وقدّموا إلى رئيس المتكإ. فلما ذاق رئيس المتكإ الماء المُتَحوِّل خمراً ولم يكن يعلم من اين هى. لكن الخدام الذين كانوا قد استقوا الماء علموا. دعا رئيس المتكإ العريس، وقال له: كل إنسان إنما يضع الخمر الجيدة أولاً ومتى سكروا فحينئذٍ الدون. أما أنت فقد أبقيت

الخمر الجيدة إلى الآن. هذه بداية الآيات فعلها يسوع فى قانا الجليل وأظهر مجده فآمن به تلاميذه»[1].

وقد رأينا كيف أن القمص زكريا بطرس قد قام بتأويل النص تأويلاً لا يحتمله، وذلك بقوله: **أن المسيح حول خمر العالم التى تُسكر إلى الامتلاء بالروح القدس الذى يُنعش**. وهذا التأويل مردود عليه من عدة نواح: فمن ناحية لا يمكن العدول عن الحقيقة إلى المجاز بغير قرينة، والنص ليس به من القرائن ما يدعوا إلى هذا المجاز.

ومن ناحية أخرى، فالمسيح - عليه السلام - لم يحول الخمر إلى الامتلاء بالروح القدس، ولكنه - وطبقاً للنص - حول الماء إلى خمر.

ومن ناحية ثالثة: إذا كان المسيح قد حول خمر العالم إلى الامتلاء بالروح القدس، فلماذا يوجد حتى الآن الخمر التى تسكر.

ومن ناحية رابعة: إذا سلمنا أن المسيح - عليه السلام - قد حول خمر العالم التى تسكر إلى الامتلاء بالروح القدس يكون لزاماً علينا أن نقرر أن من يشرب الخمر الآن إنما يمتلئ بالروح القدس، وهذا غير مقبول.

لذلك نقول لجناب القمص: ابتعد عن هذه التأويلات البعيدة التى لا يحتملها النص، ولا تتلاعب بالنصوص، فكل ما قاله رئيس المتكإ: إن الخمر جيدة، ولم يتعرض النص لكل أو لبعض ما ذكره القمص، فلم يذكر أن الرجل قد أُفيق بعدما شرب الخمر المتحول، فمن أين عرف القمص أن الرجل سكر حتى الثمالة ثم أُفيق؟!!

(1) إنجيل يوحنا 2 :1 - 11.

عجيبة تشبيهات القمص، وعجيبة صوره المجازية فى كل ما يحتار فى الرد عليه، فتارة يقول عن الزنا أنه زنا روحى[1]، والأن يشبه الخمر بالامتلاء بالروح القدس، ولا ندرى فى الحقيقة علاقة الماء المتحول إلى خمر بالروح القدس، فهل من مجيب؟!

ثانياً: الخمر فى القرآن:

لا شك فى أن الله سبحانه وتعالى قد حرم الخمر فى كتابه العزيز بصورة قاطعة، إلا أن القمص زكريا بطرس حاول - بسفسطة يحسد عليها - أن يشكك فى هذا التحريم، أو على الأقل أن يظهر القرآن بمظهر الكلام المتناقض، وحاشا لله أن يكون فى كلامه أى تناقض. وفى هذا الموضع سنعرض للآيات التى استند إليها القمص لتدعيم موقفه مع الرد على ما أثاره حولها من شبهات.

- يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾[2].

ويعلق القمص على هذه الآية فيقول: ولو سألتهم عن هذا الكلام سيقولون أنه منسوخ.

نقول: بالرغم من أن تحريم الخمر لم يكن مرة واحدة، ولكن جاء على مراحل، إلا أن الأيات المتعاقبة - وكلها لم تمدح الخمر - لم يكن بينها أى تناقض، ولم تنسخ الآية اللاحقة ما سبقها من آيات، فجميع الآيات التى نزلت فى شأن الخمر يجب العمل بها جميعاً، وقبل أن نعرض لباقى الآيات التى وردت فى شأن تحريم الخمر يكون حرى بنا أن نعرض لأقوال المفسرين فى الآية السابقة.

---

(1) انظر موضوع سفر حزقيال.

(2) البقرة: 219.

يقول ابن كثير[1]: أما إثمهما (يعنى الخمر والميسر) فهو فى الدين وأما المنافع فدنيوية من حيث إن فيها نفع للبدن وتهضيم للطعام وإخراج الفضلات وتشحيذ بعض الأذهان، ولذة الشدة المطربة، وكذا بيعها والانتفاع بثمنها، ولكن هذه المصالح لا توازى مضرتها ومفسدتها لتعلقها بالعقل والدين، ولهذا قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾.

ويقول القرطبى[2]: إثم الخمر ما يصدر عن الشارب من المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش والزور، وزوال العقل الذى يعرف به ما يجب لخالقه، وتعطيل الصلوات.

أما منافعها، فربح التجارة، فإنهم كانوا يجلبونها من الشام برخص فيبيعونها فى الحجاز بربح، وقيل: إنها تهضم الطعام، وتقوى الضعف، وتصفى اللون، إلى غير ذلك من اللذة بها.

أما قوله تعالى: ﴿ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ أعلم الله عز وجل أن الأثم أكبر من النفع وأعود بالضرر فى الآخرة.

أما الآية الثانية فى شأن تحريم الخمر فقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾[3].

والآية الثالثة، قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[4].

---

(1) تفسير القرآن العظيم: تفسير الآية 219 من سرة البقرة.

(2) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبى): تفسير الآية 219 من سورة البقرة.

(3) النساء: 43.

(4) المائدة: 91.

- أما الآية الرابعة (أو المرحلة الرابعة) وهى الأخيرة، فقوله جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1].

باستقراء الآيات السابقة نجد أنها لا تناقض بعضها البعض، وليس بينها ما يدعوا إلى القول بوجود ناسخ ومنسوخ - كما ادعى القمص - فحتى اليوم نجد أن الخمر مازال بها منافع دنيوية أكبرها تحقيق الربح لمن يتاجرون فيها، علاوة على اللذة الكاذبة التى تصيب شاربيها، أما إثمها فهو ظاهر للعيان وأكبرها إذهاب العقل وبُعد شاربها عن ذكر الله والامتثال لأوامره والابتعاد عن نواهيه. وذكر الله عز وجل أن الخمر به منافع لا يدل عقلاً على إباحة شربها، فنحن مثلاً ولله المثل الأعلى - عندما نقول: إن الهيروين به منافع تتمثل فى الربح الضخم الذى يحققه من يتاجرون به، فهل معنى ذلك أننا نقول بإباحة تعاطى الهيروين مع ما به من مضار ضخمة يعجز أى مجتمع على تداركها. هذا بالطبع غير منطقى. ولكن يبدو أن جناب القمص لا يرى إلا ما يريد أن يراه. هذا بالنسبة للآية الأولى.

أما الآية الثانية، فحتى يومنا هذا لا يجوز لمن أوقعه الشيطان فى مذلة وشرب الخمر أن يُقبل على الصلاة وهو فى حالة سكر، وذلك حتى يعلم ما يقول، فلا تناقض بينها وبين آية التحريم، ولا دليل بها على إباحة شرب الخمر.

وعن الآية الثالثة: فالخمر توقع العداوة البغضاء بين شاربيها أو بينهم وبين غيرهم ممن لا يقربونها، فكم من حوادث قتل وضرب وجرح ارتكبت ومرتكبيها تحت تأثير الخمر، علاوة على ما بها - وهذا لا ينكره أحد - من صدٍ عن ذكر الله. إذن لا تناقض بين الآية وبين تحريم الخمر.

---

(1) المائدة: 90.

أما عن الآية الرابعة؛ فهى قاطعة فى تحريم شرب الخمر، وقد جاء التحريم فيها بلفظ الاجتناب ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ وهو أقوى صور لتحريم وأوكدها.

وإذا كانت الآية الأخيرة جازمة فى تحريم الخمر، فإن المتدبر لآى الله يجد أن الخمر إنما حرمت من الآية الأولى فى قوله تعالى: ﴿وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ فالإثم الآخروى لا يساويه أى نفع دنيوى، فما بالك لو كان الإثم أكبر من النفع، أليس هذا دليل كافٍ على التحريم، والعقل دائماً يختار أخف الضررين، فإذا كان الإثم أكبر من النفع، فهل نجتنب الإثم أم نُقبل على النفع، العقل يقول نجتنب الإثم، وفى هذا أكبر دليل على تحريم الخمر من أول آية نزلت فى شأنها، والله تعالى أعلى وأعلم.

أما عن قول القمص: إذا كان الله يريد أن يحرم شرب الخمر على مراحل، فلماذا أمر بشرب الخمر فى الآية 67 من سورة النحل: ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

ويضيف القمص أنه جاء فى تفسير الطبرى: «أى ما أسكر من العنب والتمر».

وبداية نقول: إن الآية الكريمة ليس بها ما يدل عن بعيد أو قريب أن الله سبحانه وتعالى قد أمر بشرب الخمر، ويبدو أن القمص لا يعلم ما يقول، فمعنى قوله - أعنى القمص - أن الله أمر بشرب الخمر، فهذا يعنى أنه يجب على الجميع أن يشربوا الخمر، ولكنه فى سبيل حملته التضليلية ضحى بكل شيء، وأهدر أحكام العقل والمنطق.

وقد جاء فى تفسير القرطبى: أن السكر الخل أو العصير الحلو، وإذا كان السكر بمعنى الخمر فيكون تفسير الآية: أنعم الله عليكم بثمرات النخيل والأعناب تتخذون

منه ما حـرم الله عليكم اعتـداء منكم، وما أحل لكم اتفـاقاً أو قـصداً إلى منفـعة أنفسكم[1].

ألا ترى أن الله سبحـانه وتعالى قد أنعم علينا بكثير من النعم التى يكون لنـا فيها الخيار بين استخدامها لمنفعة البشرية أو جلب النكبات عليها، ولعل أوضح مثال لهذه النعم العلوم الذرية التى استفاد الإنسان من تطبيقاتها فى توليد الطاقة وفى الأغراض السلمية، وهى ذاتها استخدمها فى انتاج أسلحة الدمار الشامل، فهو مخيّر بين هذا وذاك مع أن العلم واحد، لذلك يقول الله سبـحانه وتعالى فى نهاية الآية: **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾** اللهم اجعلنا منهم وسائر المسلمين.

أما قـول القمص: إذا كانت الخـمر محـرمة، فلماذا توجـد فى الجنة أنهار من الخمر؟ وفى سورة مـحمد آية 15: **﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾** ويقولون أنها خمر لا تسكر، فلماذا لا يسمونها شربات خمر؟

نقول: جاء فى تفـسير الجلالين فى تفسـير الآية: أى بخلاف خمر الدنيـا فإنها كريهة عند الشرب.

وجاء فى تفـسير ابن كثـير: أى ليست كريهـة الطعم والرائحة كخمـر الدنيا بل حسنة الطعم والمنظر والرائحة والفعل[2].

أما سؤال القـمص لماذا حُرمت الخمر فى الدنيا وهى حلال فى الآخـرة؟ فهذا لأن التحريم فى الدنيـا كان لعلة ارادها الله تعالى، وعلة تحريم الخـمر لأنها تسكر وتُذهب العقل مما يضر بالدين، أما فى الجنة فهذه العلة ليست مطلوبة، علاوة على

(1) الجامع لأحكام القرآن: تفـسير الآية 67 من سورة النحل.

(2) تفـسير القرآن العظيم: تفـسير الآية 15 من سورة محمد.

أن خمر الجنة لا تسكر، ولن توقع البغضاء بين أهل الجنة، إذ أن الكراهية تُنزع فى الجنة من القلوب نزعاً.

أما قوله: لماذا يسمونها خمراً وهى لا تُسكر؟ فهذا الاحتجاج لا يصح أن يحتج به القمص، لأنه قال فى شأن تحويل المسيح - عليه السلام - الماء إلى خمر، قال: أن هذه الخمر لم تُسكر رئيس المتكأ، بل أنعشت عنده الوعى والإحساس ومناطق التذوق، والأن نسأل القمص، لماذا سماها الإنجيل خمراً طالما أنها لم تُسكر؟ ولماذا لم يسمها شربات خمر؟ وتقول لجناب القمص: لماذا هذا التخبط والحيرة؟! فهل من إجابة؟

3 - الخمر فى الأحاديث الشريفة:

حاول القمص بشتى الطرق أن يوحى للمشاهد أن رسول الله ﷺ كان يشرب الخمر، وحاشا لله أن يفعل رسول الله ﷺ هذه الفعلة، وقبل أن نرد عما أثاره القمص زكريا بطرس فى هذا الشأن أود أن أشير إلى حقيقة لا مراء فيها وهى أن محمداً ﷺ لم يشرب الخمر لا قبل البعثة ولا بعدها.

وسنعرض للأحاديث التى استند إليها القمص فى تدعيم باطله، ثم نعقب ذلك بالتعليق عليها.

1 - عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يُنبذ له فى السِّقاء فيشربه يومه والغد وبعد الغد، فإذا كان مساء الثالثة شربه وسقاه، فإن فضل شىء أهراقه.

2 - وعن ابن حزن القشيرى قال: لقيت عائشة، فسألتها عن النبيذ، فدعت عائشة جارية حبشية، فقالت: سل هذه، فإنها كانت تنبذ لرسول الله ﷺ، فقالت الحبشية: كنت أنبذ له فى سقاء من الليل، وأوكيه، وأعلقه، فإذا أصبح شرب منه.

3 - عن عائشة قالت: كنا ننبذ لرسول الله ﷺ فى سقاء يوكى أعلاه، وله عزلاء، ننبذه غدوة، فيشربه عشاء، وننبذه عشاء فيشربه غدوة.

4 - وعن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ ينبذ له فى سقاء. قال شعبة: من ليلة الأثنين، فيشربه يوم الإثنين والثلاثاء إلى العصر، فإن فضل منه شيء سقاه الخادم، أو صبه.

5 - عن جابر بن عبد الله قال: كنا مع رسول الله ﷺ فاستسقى، فقال رجل: يا رسول الله ألا نسقيك نبيذا؟ فقال: «بلى» قال: فخرج الرجل يسعى، فجاء بقدح فيه نبيذ، فقال رسول الله ﷺ: «ألا خمرته، ولو تعرض عليه عودا» قال: فشرب.

6 - عن جابر بن عبد الله الأنصارى عن رسول الله ﷺ أنه نهى أن ينبذ التمر والزبيب جميعاً، ونهى أن ينبذ الرطب والبسر جميعاً.

وقد ذكر القمص أن الأحاديث وردت فى صحيح مسلم كتاب الأشربة باب شرب النبيذ، فتعمد إخفاء اسم الباب وأتى به مبتسراً ليوحى للمشاهد أن الرسول ﷺ يبيح شرب الخمر، وذلك لأن اسم الباب كما ورد فى صحيح مسلم لن يدعم افتراءات القمص.

والحقيقة أن الأحاديث الخمس وردت فى كتاب الأشربة، والأربعة الأول وردت فى باب «**إباحة شرب النبيذ الذى لم يشتد ولم يصر مسكراً**» إذن فالنبيذ المباح هنا هو الذى لم يشتد ولم يصر مسكر، وسنوضح هذا فى السطور القادمة إن شاء الله. أما الحديث الخامس فقد ورد فى باب «**استحباب تخمير الإناء - وهو تغطيته - وإيكاء السقاء وإغلاق الأبواب وذكر اسم الله تعالى عليها**» والحديث السادس فى باب «**كراهة انتباذ التمر والزبيب مخلوطين**».

وقبل أن نعرض لمفهوم الأحاديث يكون حرى بنا أن نوضح المعنى اللغوى لكلمة نبيذ:

جاء فـي القاموس المحـيط[1]: النبذ: طرحك الشيء أمـامك أو وراءك أو عام والفعل: كضرب. والنبيذ: الملقى وما نبذ من عصير ونحوه.

والنبذ بهذا المعنى مرادف للنقع والنَّقوع، وهو ما ينقع فى الماء من الليل لدواء أو نبيذ وأنقع الدواء وغيره فى الماء فهو منقع[2].

وقد جاء فى الحديث عن سـهل بن سعد قال: دعا أبو أسيـد الساعدى رسول الله ﷺ فى عرسـه، فكانت امرأته يومئـذ خادمهم، وهى العروس. قـال سهل: تدرون مـا سقت رسول الله ﷺ؟ أنـقعت له تمرات من الليل فى تور، فلمـا أكل سقته أياه[3].

وللمزيد من الإيضـاح نذكر جانبـاً من شرح النووى[4] لأحاديث هذا الباب، حيث يقول:

«فيه (يعنى باب اباحة النبيذ الـذى لم يشتد) ابن عباس - رضى الله عنه - قال: كان رسـول الله ﷺ يتبذ له أول الليل فـيشربه إذا أصبح يـومه ذلك، والليلة التى تجئ، والغد والليلة الأخرى، والغد إلى العصر، فإن بقى شىء سقاه الخادم، وأمر به فصب، والأحاديث الباقيـة بمعناه. فى هذه الأحاديث دلالة على جواز الأنتباذ، وجواز شرب النبيـذ ما دام حلواً لم يتغير، ولم يغل، وهذا جـائز بإجماع الأمة، وكان النبى ﷺ يتنزه عنه بعد ثلاث، وإن كان قد ظهر فيه شىء من مبادئ الإسكار والتغير أراقه، لأنه إذا أسكر صار حراماً ونجساً فيراق، ولا يسقيه الخادم لأن المسكر لا يجوز سقيه الخادم كمـا لا يجوز شربه، وأما شربه ﷺ قبل ثلاث فكان حيث لا يتغير، ولا شك أصلاً.

(1) القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروز: جـ1 ص 3193.

(2) مختار الصحاح لمحمد بن أبى بكر عبد القادر الرازى - جـ1 ص 282.

(3) صحيح مسلم - كتاب الأشربة - باب إباحة النبيذ الذى لم يشتد ولم يصر مسكراً.

(4) باختصار من صحيح مسلم بشرح النووى - جـ13 ص 138 وما بعدها.

وأما قوله فى حديث عائشة (الحديث الثالث): ينبذ غدوة فيشربه عشاء، وينبذ عشاء فيشربه غدوة (صباحاً) فليس مخالفاً لحديث ابن عباس فى الشرب إلى ثلاث، لأن الشرب فى يوم لا يمنع الزيادة.

وقال بعضهم: لعل حديث عائشة كان زمن الحر وحيث يخشى فساده (النبيذ) فى الزيادة على يوم، وحديث ابن عباس فى زمن يؤمن فيه التغير قبل الثلاث، وقيل: حديث عائشة محمول على نبيذ قليل يفرغ فى يومه، وحديث ابن عباس فى كثير لا يفرغ فيه. انتهى كلام النووى.

من كل ما سبق يستبين لنا أن النبيذ فى الأحاديث الشريفة ليس مرادفاً للخمر، وذلك لأن الوضع اللغوى لكلمة نبيذ - كما أسلفنا - لم يكن يراد بها هذا المعنى، ولكن وضعت لمعنى الطرح أو الإلقاء، وبالنسبة لموضوع البحث يراد بها إلقاء الشئ فى الماء أى نقعه، وذلك كمن يقوم بنقع بعض التمر أو الكركديه فى الماء تمهيداً لشربه بعد أن يتحول إلى عصير، فهذا لغةً هو النبيذ، وهذا حلال ويشربه الجميع، أما إذا تغير طعمه بمرور الوقت - فصار مسكراً فحرام شربه ويجب إهراقه، لذا كان الرسول يهرقه بعد ثلاثة أيام، أو يشربه يوماً بيوم فى أيام الحر. فالله سبحانه وتعالى يخلق الطيب والإنسان بفعله هو الذى يحوله إلى خبيث إن شاء، وهذا هو تفسير قوله تعالى: **﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾**[1] فمن شاء يتخذ من تلك الثمرات الرزق الحسن، ومن شاء اتخذ منها المسكر، ومن ذات الثمرة، وهذه أية من آيات الله.

وما ذكره القمص فى تعليقه على الحديث الخامس بخصوص كلمة «فاستسقى» حيث قال: يعنى مرض الاستسقاء، يشرب ماء فلا يرتوى.

---

(1) النحل: 67.

فالقمص بهذا القول يريد أن يوحى للمشاهد - على غير الحقيقة - أن الرسول ﷺ أصابه مرض الاستسقاء، وأن علاجه كان شرب النبيذ، لكن يُرد على هذا بداءة أن النبيذ الذى كان يشربه الرسول - كما قدمنا - ليس هو النبيذ المسكر، ولكنه - بلغة اليوم - عصير الثمار التى تم نقعها أى نبذها، لذا سميت نبيذا، أما عن كلمة **استسقى** فقد جاء فى القاموس المحيط[1]: واستسقى منه: طلب سقيا.

وفى مختار الصحاح[2]: والاستسقاء أيضاً طلب السقى.

وطبقاً للمعانى اللغوية السابقة، فكل ما فعله الرسول ﷺ هو طلب السقى، أى طلب أن يشرب، فأخبروه أنه يوجد معهم نبيذاً (عصير) فشرب منه رسول الله ﷺ. إذن لا وجود لقصة مرض الاستسقاء التى ثارت فى ذهن القمص التى أراد بها أن يسوى بين ما قاله بولس وما فعله رسول الله ﷺ.

وعن الحديث السادس وفيه كراهة انتباذ التمر والزبيب مخلوطين، يقول النووى[3]: سبب الكراهة فيه أن الإسكار يسرع إليه بسبب الخلط قبل أن يتغير طعمه، فيظن الشارب أنه ليس مسكراً، ويكون مسكراً.

إذن فالعلة من هذه الكراهة واضحة، وهى خشية أن يشرب المسلم ما يسكره وهو لا يعلم، لأن الإسكار فى هذا الخليط يحدث بسرعة حتى ولو لم يتغير طعمه.

وتأكيداً لكل ما سبق نعرض لحديث رسول ﷺ والذى جاء فى صحيح مسلم بسند صحيح عن وائل الحضرمى أن طارق بن سويد الجعفى سأل النبى ﷺ عن الخمر فنهاه، أو كره أن يصنعها، فقال: إنما أصنعها للدواء، فقال: **«إنه ليس بدواء ولكنه داء»**.

---

(1) جـ1 ص 1633.

(2) جـ1 ص 128.

(3) صحيح مسلم بشرح النووى - جـ13 ص 124.

والحديث كما ذكرنا - ورد فى صحيح مسلم - كتاب الأشربة - باب تحريم التداوى بالخمر وبيان أنها ليست بدواء.

وصحيح مسلم هو نفس الكتاب الذى استقى منه القمص أحاديثه التى يضلل بها المشاهدين - بعد أن يقوم بلوى أعناق نصوصها - ولم يشأ القمص أن يعرض لأحاديث تحريم شرب الخمر لأن هذا لا يخدم منهجه التضليلى، ونقول: إذا كان الرسول ﷺ يُحرم التداوى بالخمر، فهذا لأكبر دليل على كذب ما ادعاه القمص بأن الرسول ﷺ أصيب بمرض الاستسقاء فشرب الخمر[1].

وإذا كان الرسول ﷺ يحرم شرب الخمر للتداوى، فتحريم شربها حال الصحة أولى.

والأحاديث التى وردت فى تحريم شرب الخمر - سواء فى صحيح البخارى أو صحيح مسلم - كثيرة، وحسبنا هنا قول رسول الله ﷺ: **«كل شراب أسكر فهو حرام»**[2].

وجاء فى سنن ابن ماجة عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«لعنت الخمر على عشرة أوجه: بعينها، وعاصرها، ومعتصرها، وبائعها، ومبتاعها، وحاملها، والمحمولة إليه، وآكل ثمنها، وشاربها، وساقيها»**[3].

وفى مسند أحمد عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«أتانى جبريل فقال: يا محمد إن الله عز وجل لعن الخمر، وعاصرها، ومعتصرها، وشاربها، وحاملها، والمحمولة إليه، وبائعها، ومبتاعها، وساقيها، ومستقيها»**[4].

---

(1) وقد سبق وبينا كذب هذا الادعاء.

(2) صحيح مسلم - كتاب الأشربة - باب بيان أن كل سكر خمر وأن كل خمر حرام.

(3) سنن ابن ماجة - باب لُعنت الخمر على عشرة أوجه - جـ 3 - ص 29 وكذلك سنن الترمذى: باب النهى أن يتخذ الخمر خلاً - جـ 3 - ص 2.

(4) مسند الإمام أحمد - جـ 1 - ص 330.

ونخلص من كل هذا أن النظرية القرآنيــة فى شأن تحريم الخمر جاءت صــحيحة سليمة لم يصبها أى اضطراب، وأن أقــوال الرسول ﷺ جاءت متناسقة تمام التناسق مع ما جاءت به النظرية القرآنية، أما الإضطراب فلا يثور إلا فى أذهان أهل الأهواء الذى يحاولون تشويه كل ما هو جميل، ولكن هيهات، فالقرآن الكريم الذى حفظه الله والسنة النبوية المطهرة كفيلان بالدفاع عن أنفسهما رغم أنف الجميع.

* * * *

الفصل التاسع
شبهات حول الحرب فى الإسلام

- عرض الشبهات:

كان موضوع هذه الحلقة[1] هو الحرب فى الإسلام والغرض منها.

يسأله مقدم البرنامج: ما هو وضع الحرب فى الإسلام؟

- **القمص**: الموضوع خطير، فالإنسان بطبيعته عنده غريزة المقاتلة، والمسيح قال: «ضع سيفك فى غمده» ولذلك كانت رسالة المسيح رسالة سلام منذ البداية، ولذا قال: «وعلى الأرض السلام». وعندما نأتى للديانة اليهودية فيها حروب، لكن حروب اليهودية كانت قبل عصر السلام الذى أتى به المسيح، وحروب العهد القديم لم تكن حروب لنشر الدين اليهودى، لأن اليهودية لم تكن دين انتشار، لأنه دين قاصر على قبيلة أبناء يعقوب، وعندما تقرأ الكتب الإسلامية تجد أن الحروب موجودة، ففى صحيح البخارى - باب الإيمان حديث رقم 25 عن ابن عمر أن رسول الله قال: أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله.

- **مقدم البرنامج:** أنا أتساءل وقد نشأت فى بيت مسلم[2] فهل يعقل أن الله يطلب منا أن نقتل كيما نجبر الإنسان على أن يعتنق الدين؟

القمص: المبدأ فى حد ذاته مبدأ صعب، فهو يقتل حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله.

---

(1) حلقة: 38.

(2) مقدم البرنامج يُدعى محمد سعيد، وهو يدعى أنه كان مسلماً ثم اعتنق المسيحية.

مقدم البرنامج: لكنى أعلم عندما كنت أعتنق الإسلام أن القتال كان للدفاع عن الإسلام لا لنشر الدين.

القمص: هم يقولون ذلك ويبررون به المواقف، لكن ما رأيك فى هذه الآية: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله»[1].

ويضيف: والرسول فى المدينة «قعد» عشر سنين بعد الهجرة، فهل تعرف كم غزوة وسرية وحرب وفتح فى العشر سنين، أربعة وثمانون طلعة، وهو لم يشترك فى الأربعة وثمانين.

مقدم البرنامج: أنا أعلم كمسلم أن الإسلام بدأ بدعوة سلمية، فمتى بدأت الحروب الإسلامية؟

- **القمص**: الإسلام فى مكة بدأ مسالماً **﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾**[2] وفى المدينة اختلفت الأوضاع، لأن فى المدينة قويت الشوكة، لأن فيه إسلام المستضعفين، والإسلام القوى، ففى مكة كان الإسلام ضعيفاً لأنه لم يسلم إلا 72، لكن لما تقوَّى بالغنائم من قوافل قريش بدأ يجيش الجيوش، وبدأ يغزو، وتعتبر غزوة بدر نقطة تحول فى الإسلام، لأنه فى أحد هُزم وفى بدر انتصر ونال قوة كبرى [3]، والقضية أخطر من ذلك لأنه يوجد آيات قرآنية تحض على الحرب **﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾**[4] يعنى قاتلوا المشركين و**﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾**[5].

---

(1) هذا طرف من الحديث الذى ذكره القمص سلفاً، وهو يريد أن يوحى للمشاهد المسيحى أن هذا الكلام نص قرآنى.

(2) الكافرون: 6.

(3) يبدو أن القمص لا يعرف أن غزوة أُحد كانت بعد غزوة بدر أو أنه - وكعادته - يقلب الحقائق حتى يُدعم باطله.

(4) البقرة: 191، والقمص لم يذكر السياق الذى ذُكرت فيه الآية، وهذا السياق يثبت أن الحرب هنا دفاعية، وهذا لن يخدم غرض القمص التضليلى، وسنناقشه فى حينه إن شاء الله.

(5) التوبة: 29.

ولأول مرة ينقلب الوضع - والكـلام للقمص - بالنسبـة لأهل الكتاب، وهذه حقائـق موجودة فى القرآن، وهذا تحـول خطير فى الإسلام بالنسبـة لأهل الكتاب المسيحيين واليهود.

- **مقدم البرنامج:** إذا أردنا أن نقارن رسالة الإسلام برسالة المسيحية، فهل تجد أشياء متشابهة من الطرفين بالنسبة لموضوع الحرب؟

- **القمص:** لا اعتقد أن هناك تشابه، لكن يوجـد تناقض لأن السيد المسيح بدأ رسالته بالسلام، وأنـهاها بالسلام، فيوم رُفع حياً بعـد الصلب قال: سلامى أترك لكم سلامى أنا أعطيكم، فـالمسيح كان ينادى بالسلام، لكن الإسـلام بآياته القرآنية والأحاديث والسيرة النبـوية كلها تشهد بعكس هذا، **فقرآن مكة كـان كله مسالمة، وفى المدينة قويت الشوكة فنزلت آية 5 من سورة التوبة ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ وهذه الآية نسخت مائة وأربعة وعشرين آية من السلم.**

مقـدم البرنامج: طالما أن هذه الأمور مـوجودة فى الكتب، فلمـاذا لا يعلم بها الناس؟ وأنا تعودت ألا أسال، لأن السؤال فى مثل هذه الأمـور أمر شائك، وكثير من الأشياء حرام نسأل عنها[1].

- **القمص:** للأسف الشديد، هذه هى التربية، فالمشكلة والقـضية هى التعتيم، وهناك ناس تقرأ وتقول: هزمنا الفـرس والروم والبلدان وانظر قوة الإسلام.. لكن أين هى الفكرة الروحية، والعلاقة مع ربنا فى الدين، فهل الدين حروب؟

ويضيف القمص: وأسألك سؤال، هل تعلم كم من القبائل اليهودية أُبيدت فى شبة الجـزيرة العربية؟ ثلاث قـبائل: بنى قريظة، وبنى النضـير، ويهود خيـبر. كان المسلمون يقتلون الرجال ويأخذون النساء والأطفال يبيعوهم ليشتروا بثمنهم أسلحة.

---

(1) مقـدم البرنامج يريد أن يؤكد أنه كـان مسلماً، هذا من ناحيـة، ومن ناحية اخـرى يريد أن يوحى للأخوة المسيحيين أن السؤال فى مثل هذه الأمـور حرام، لكن الواقع يُكذِّب هذا الادعاء، فالمسلمين يسألون عن كل ما لا يعرفونه عن دينهم، وبرامج الفضائيات الدينية خير شاهد على ذلك.

وفى موضع آخر يقول القمص[1]: لا يمكننى أن أقف صامتاً أمام كتاب (يعنى القرآن الكريم) يتهمنى بأنى كافر، ويحض على قتلى إن لم أقبل الإسلام دينا، ولا يقول بفداء المسيح وتجلى الله فيه، فكما قلت عليهم (يعنى المسلمين) أن يحذفوا من كتابهم كل هذه الافتراءات ويبدأوا معنا حوار.

- الرد على الشبهات:

تقوم النظرية القرآنية - التى وضعها القمص - فى الحرب على أساس أن الحرب فى الإسلام إنما شُرعت لنشره لا للدفاع عنه، وهو يؤسس ذلك - بزعم منه - بأن الآيات التى تدعو إلى السلم والعفو إنما هى آيات مكية حيث كان الإسلام ضعيفاً، وأن آيات القتال مدنية حيث قويت شوكة الإسلام، وأن هذه المرحلة - دولة المدينة - لم ينزل بها آيات تدعو إلى السلم.

وللرد على هذه الادعاءات يكون حرى بنا أن نعرض أولاً للمبادئ التى تقوم عليها الدعوة فى القرآن، ثم نعرض للنظرية القرآنية فى الحرب ثانياً، ونعقب ذلك بتفسير حديث الرسول ﷺ «أمرت أن أقاتل الناس» وموقفه من يهود المدينة ونختم ببيان الحرب فى الكتاب المقدس.

أولاً: المبادئ التى تقوم عليها الدعوة فى القرآن:

ترتكز الدعوة إلى الإسلام منذ بعثة محمد ﷺ إلى يومنا هذا على مبدأين أساسين، الأول: حرية العقيدة، فكل فرد حر فى أن يعتنق الدين الذى يعتقد أنه الحق، والقرآن الكريم لم يقل بإجبار البشر على اعتناق هذا الدين، فالإسلام ليس فى حاجة إلى من يجبرون على اعتناقه، فهؤلاء ضررهم أكبر من نفعهم.

أما المبدأ الثانى: فهو المجادلة بالتى هى أحسن، فإنك لا يمكن أن تقنع أى شخص - ولو بمسلمة من المسلمات - عن طريق الغلظة فى القول، فمثل هذا لن يأتى إلا بأثر عكسى، مما يكون سبباً فى مقت الدين والنفرة منه بدلاً من الإقبال عليه واعتناقه، وإليك التفصيل بعد الإجمال[2].

---

(1) حلقة: 103.

(2) انظر هذا الموضوع بالتفصيل فى كتابنا «الرسول والسيف دراسة للنظرية القرآنية فى الجهاد والحرب وتطبيقاتها فى الدعوة المحمدية» من ص 13 حتى ص 29.

المبدأ الأول: حرية العقيدة:

أكد القرآن الكريم هذا المبدأ فى أكثر من موضع، ويظهر جلياً واضحاً فى قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

يقول السيوطى فى أسباب نزول هذه الآية[2]:

كانت المرأة من الأنصار تكون مقلاة (أى لا يعيش لها ولد) فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده، فلما أُجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار، فقالوا: لا ندع أبناءنا فأنزل الله ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾.

ويقول ابن كثير: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ أى لا تكرهوا أحداً على الدخول فى دين الإسلام، فإنه واضح جلى دلائله وبراهينه لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيده الدخول فى الدين مكرهاً مقسوراً، وقد ذكروا أن سبب نزول هذه الآية فى قوم من الأنصار وإن كان حكمها عاماً[3].

والآية السالف بيانها والتى تدعو بصورة لا تقبل الشك إلى مبدأ حرية العقيدة هى آية مدنية، أى أنها نزلت بعد أن هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة وقويت شوكة الإسلام، فبماذا يفسر جناب القمص زكريا بطرس وجود هذه الآية التى دعت إلى حرية العقيدة ولم تدع إلى الإجبار على اعتناق الإسلام رغم أن الإسلام صار قوياً؟

---

(1) البقرة: 256.

(2) لباب النقول فى أسباب النزول: أسباب نزول الآية 256 من سورة البقرة.

(3) تفسير القرآن العظيم – تفسير الآية 256 من سورة البقرة.

- المبدأ الثانى: المجادلة بالتى هى أحسن:

أما المبدأ الثانى الذى تقوم عليه الدعوة الإسلامية يتمثل فى المجادلة بالتى هى أحسن، والدعوة إلى الطريق القويمة بالموعظة الحسنة، يقول الله سبحانه وتعالى: **﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾**(1) ويقول جل شأنه: **﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾**(2).

ويقول القرطبى عن الآية الأولى: نزلت بمكة فى وقت الأمر بمهادنة قريش، وفيها يأمر الله تعالى رسول الله ﷺ أن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلطف ولين دون مخاشنة وتعنيف، وهكذا ينبغى أن يوعظ المسلمون به إلى يوم القيامة(3).

ويقول المفسرون: أن الحكمة تعنى ما أنزله الله تعالى على رسوله محمد ﷺ من الكتاب والسنة. والموعظة الحسنة أى بما فيه من الزواجر والوقائع يذكرهم بها ليحذروا بأس الله تعالى. ومن يحتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب(4).

والرسول ﷺ له تطبيقات عدة فى هذا الشأن(5) وحسبنا هنا ما جاء فى صحيح مسلم عن معاذ بن جبل قال: بعثنى رسول الله ﷺ قال: **«إنك تأتى قوماً أهل كتاب (اليمن) فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فاعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة. فإن هم أطاعوا لذلك فاعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم**

---

(1) النحل: 125.

(2) العنكبوت: 46.

(3) تفسير القرطبى - تفسير الآية 125 من سورة النحل.

(4) تفسير ابن كثير: تفسير الآية 125 من سورة النحل.

(5) حول هذه التطبيقات انظر كتابنا الرسول والسيف من ص 21 إلى ص 26.

فترد فى فقرائهم. فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم. واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب».

وهذا مثال بين لدعوة أهل الكتاب بالحكمة والموعظة الحسنة، وكان ذلك بالمدينة بعدما قويت شوكة المسلمين، ونرى فى الحديث الشريف كيف أن رسول الله يدعو معاذاً أن يتجنب الظلم، حتى ولو كان لأحد من أهل الكتاب، وذلك لأن الظلم أسلوب قهرى ينأى عن الطريق القويمة للدعوة السمحة.

ثانياً: النظرية القرآنية فى الحرب[1]:

الحرب فى الإسلام وضع استثنائى لا يلجأ إليه إلا عند الضرورة، والضرورة تقدر بقدرها، لذا يجد الباحث عند استقراء النصوص القرآنية فى هذا الشأن أن الحرب إنما شرعت للدفاع ولرد الاعتداء، وبالقدر الكافى لحفظ أمن الدولة الإسلامية، فإذا امتنع العدو وجنح إلى السلم كان لزاماً على القائد أن يستجيب ويأمر بوقف القتال، حيث أن الحرب فى الإسلام دفاعية، وهذا المبدأ يقودنا إلى مبدأ آخر لا يقل أهمية عن سابقه، بل قد يتداخل معه، وهو مبدأ المعاملة بالمثل.

1 - الحرب دفاعية فى الإسلام:

وقد ورد فى القرآن الكريم الكثير من الآيات التى تؤكد على هذا المبدأ، منها قوله تعالى: **﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠) وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (١٩١) فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾**[2].

والغريب أن القمص زكريا بطرس اقتلع قوله تعالى: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ من سياق الآيات ليوهم المشاهد أن قتل غير المسلم يكون بغير سبب،

---

(1) حول هذه النظرية انظر كتابنا «الرسول والسيف» من ص 32 إلى ص 48.

(2) البقرة: 190 - 192.

وأن الله يأمر بقتلهم حيث وجدوا، ولم يشأ ذكر النص كاملاً لأنه لن يخدم منهجه التضليلى الذى يلجأ إليه فى تشويه صورة الإسلام السمحة. وكما هو واضح من النص القرآنى أن من يُقتل من المشركين هو من يُقاتل أما المسالم فهو محرمٌ قتله.

والآيات الكريمات بمثابة أمر للرسول ﷺ، والمسلمين من بعده بأن يقاتلوا من قاتلهم، ويكفون عمن يكف عنهم. وقوله تعالى: ﴿وَلا تَعْتَدُوا﴾ أى قاتلوا فى سبيل الله ولا تعتدوا فى ذلك. ويدخل فى ذلك النهى عن ارتكاب التمثيل بالجثة، وقتل النساء، والأطفال والشيوخ، والرهبان وأصحاب الصوامع، وتحريق الأشجار وقتل الحيوان لغير مصلحة، فكل هذا وما على شاكلته منهى عنه فى الإسلام[1].

ويقول الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[2].

ويقول المفسرون فى معنى الآية: وقاتلوا الذين يقاتلوكم حتى لا تنتشر الفتنة، وليكون دين الله هو الظاهر العالى على سائر الأديان، فإن انتهوا عما هم فيه من قتال المؤمنين فكفوا عنهم، فإن من قاتلهم بعد ذلك فهو ظالم[3].

ويقول جل شأنه: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[4].

ومعنى الآية الكريمة: أن العدو إذا طلب الصلح والمهادنة فأجبه إلى طلبه، فالحرب إنما هى وسيلة للدفاع عن دولة الإسلام لا لنشر الإسلام، أما وقد بدت بوادر الصلح والميل إلى السلم والسلام، فهنا لا جدوى من الحرب[5].

---

(1) بتصرف من تفسير ابن كثير وتفسير القرطبى.

(2) البقرة: 193.

(3) انظر تفسير ابن كثير - تفسير الآية 193 من سورة البقرة.

(4) الأنفال: 61.

(5) انظر تفسير ابن كثير للآية 61 من سورة الأنفال.

وجدير بالذكـر أن الآيات السابقة كلهـا مدنية، أى نزلت بعد هجـرة الرسول ﷺ إلى المدينة، وبعد أن قـويت شوكة الإسلام، ومع ذلك فهـى تدعو إلى عدم الاعـتداء، وأن الحـرب إنما شـرعت للدفـاع فقط، ووجـوب اللجـؤ إلى السلم والسـلام طالما أظهر العـدو ذلك، وبهذا ينهـدم الأساس الواهى لنظرية القـمص زكـريا بطرس الذى ادعى أن أيات الـسلم إنما كـانت بمكة حـيث كـان الإسـلام ضعيـفاً، وكل ذلك مع علمه التام بكـذب ما يدعيه، ولننتقـل الآن لمبدأ آخر من مبادئ النظرية القرآنية فى الحرب.

2 - مبدأ المعاملة بالمثل:

يتجلـى هذا المبدأ فى كثـير من الآيات القـرآنية، يقـول تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ الاعتداء هو التجـاوز، فمن ظلمك فخذ حقك منه بقدر مظلمتك وقوله جل شأنه: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ أمر بالعدل حتى فى غير المسلمين[2].

ويتجلى مبدأ المعاملة بالمثل فى العلاقـات الدولية بوضوح لا يشوبه مراء فى قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[3].

---

(1) البقرة: 194.

(2) انظر تفسيرى القرطبى وابن كثير للآية 194 من سورة البقرة.

(3) الممتحنة: 8، 9.

ومعنى الآيتين أن الله سبحانه وتعالى لا ينهاكم عن الإحسان إلى الكفرة أو المشركين وأهل الكتاب الذين لا يقاتلوكم فى الدين، إنما ينهاكم عن موالاة الذين ناصبوكم وأخرجوكم وعاونوا على إخراجكم، ينهاكم الله عن موالاتهم ويأمركم بمعادتهم[1].

والآيتان صريحتان فى الإذن بإقامة علاقات دبلوماسية وتجارية ومع دول غير إسلامية، طالما هى لا تعادى المسلمين، ولا تضطهدهم، وطالما لا تشارك أية دولة معتدية، وإلا فالواجب هو قطع العلاقات مع هذه الدول بكافة صورها وذلك إعمالاً لقول الله عز وجل ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

ونعود ونكرر أن الآيات السالف عرضها والتى شرعت مبدأ المعاملة بالمثل فى العلاقات الدولية، هى أيات مدنية نزلت بعد تأسيس دولة الإسلام بالمدينة، لتكون نوراً يهتدى به المسلمون فى عهد الرسول ﷺ ومن بعده إلى أن تقوم الساعة.

ومن العرض السابق يتضح لنا أن النظرية القرآنية فى الحرب قد أوضحت بجلاء أن الحرب فى الإسلام تقوم على مبدأين، أولهما أن الحرب دفاعية، وثانيهما: مبدأ المعاملة بالمثل فى العلاقات الدولية، فالإسلام لا يعادى من اتخذ غير الإسلام دينا، فلا إكراه فى الدين، وإنما يعادى من عاداه، ويتعاون ويتعامل مع من يسالمه، فالإسلام لم يأت برسالة تجعلنا حملة سيوف حتى قيام الساعة، ولكنه فى نفس الوقت لم يأمرنا بالتهاون والتخاذل فى وجه أعدائنا، وذلك لأن أعداء الإسلام هم دائماً البادئين، ومن بدأ بالظلم فعليه عاقبة ما ظلم.

---

(1) تفسير ابن كثير والقرطبى للآيتين 8، 9 من سورة الممتحنة.

ثالثاً: شرح حديث رسول الله ﷺ: «أُمرت أن أقاتل الناس»:

اعترض القمص زكريا بطرس على حديث رسول الله ﷺ: «أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله...».

وقد علق القمص على هذا الحديث بقوله: المبدأ فى حد ذاته صعب، فهو يقتل حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله.

وهو بتعليقه هذا يحاول أن يقنع المشاهد أن الحديث الشريف يبيح قتل كل من لم يعتنق دين الإسلام، ولو كان القمص يبتغى إظهار الحقيقة لقرأ شرح الحديث فى كتاب فتح البارى، ذلك الكتاب الذى اقتطع منه القمص - فى أكثر من موضع - بعض الأجزاء ليخرجها عن السياق ويستغلها فى منهجه التضليلى.

ونقول فى شرح هذا الحديث كما جاء فى كتاب فتح البارى: نلاحظ أولاً أن الرسول ﷺ قال: «.. **أقاتل**..» ولم يقل: «**أقتل**»، والقتال غير القتل، فلا يلزم من إباحة المقاتلة إباحة القتل، لأن المقاتلة مفاعلة تسلتزم وقع القتال من الجانبين، ولا كذلك القتل. وحكى البيهقى عن الشافعى أنه قال: ليس القتال من القتل بسبيل، فقد يحل قتال الرجل ولا يحل قتله[1].

أما عن «الناس» المقصودون بالحديث، فيقول ابن حجر: «إن قيل مقتضى الحديث قتال كل من امتنع عن التوحيد، فكيف ترك قتال من دفع الجزية، أو من أبرم معه عهداً، على الرغم بعدم قبولهم لرسالة التوحيد، فهذا من باب العام الذى أريد به الخاص، فيكون المراد بالناس أي المشركين من غير أهل الكتاب، ويدل عليه رواية النسائى فى سننه بلفظ: «أُمرت أن أقاتل المشركين»[2].

---

(1) انظر - فتح البارى لابن حجر العسقلانى - جـ1 ص 76.

(2) المرجع السابق - ص 77.

ويستفـاد من كلام ابن حجر فى كـتابه فتح البارى حقـيقتان نلق عليـهما بعض الوضوح:

الحقيقة الأولى: أن القتال غير القـتل، فالرسول ﷺ قال **«أمرت أن أقاتل»** ولم يقل **«أن أقتل»** والفارق واضح بين، فأنت عندما تقول: سأقـاتل لنشر مبادئى، غير قولك: سأقتل لنشر مبادئى. فمـعنى القول الأول: إنك لن تدخر جهداً فى سبيل نشر مبادئك، ومفاد القول الثانى: إنك ستقتل من لم يعتنقها. وشتان بين المعينين.

والحقيقة الثانية: أن المقصود «بالناس» فى الحديث الشريف هم مشركى العرب عبدة الأوثان، وذلك حتى لا يسجد لصنم فى دولة الإسلام القائمة على عبادة الله الواحد الذى لا إله إلا هو.

فمن استـعمالات اللغة العـربية أن تكون أداة التعريف «أل» للـعهد؛ أى لما هو معهود للقارئ أو السامع فلا يعنى إذن استغراق الجنس الإنسانى، وهذا الاستعمال واضح كل الوضـوح فى قـول الله تعـالى: **﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾**[1] فالناس الذين قيل لهم، غير الناس الذين قيل عنهم أنهم جمعوا، وهؤلاء جميعاً غير سائر الناس[2].

وفى هذا ما يكفى لدحض حجة القمص زكريا بطرس فى هذا الشأن.

رابعاً - غزوات الرسول و موقفه من يهود المدينة:

1 - مفهوم الغزوات والسرايا:

يطلق المؤرخون مصطلح غزوات على لحروب والمعارك التى شارك فيها الرسول ﷺ بنفسه الكريمة، أما السرايا فيقصـدون بها المعارك والحروب التى نشبت فى حياة الرسول ﷺ ولم يشارك فيها.

(1) آل عمران: 173.

(2) انظر - د. محمد بدر - الديمقراطية الآتينية - ص 424. وانظر كتابنا - الرسول والسيف - ص 110 بالهامش.

والمتتبع لسيرة رسول الله ﷺ - خاصة فيما يخص الغزوات والسرايا - يرى أن هذين المصطلحين يعوزهما الكثير من الدقة، فنجد أن المؤرخين القدامى قصدوا بالغزوة كل خروج لرسول الله ﷺ، سواء كان هذا الخروج لقيادة حرب للدفاع عن أمة الإسلام أم كان هذا الخروج لأى سبب آخر، وعلى هذا فمصطلح الغزوة كان نطاقه أوسع من المعارك التى خاضها الرسول ﷺ.

فمثلاً عد المؤرخون معاهدتى الأبواء والعشيرة من قبيل الغزوات فى حين أن الرسول ﷺ خرج لعقد المعاهدات بينه وبين بنى ضمرة فى الأولى، وبينه وبين بنى مدلج وحلفاءهم من بنى ضمرة فى الثانية[1].

كذلك نجد أن المؤرخين قد عدوا من قبيل الغزوات خروجه ﷺ للعمرة فى السنة السادسة، وعمرة القضاء فى السنة السابعة من قبيل الغزوات.

هذا بالنسبة للغزوات، أما بالنسبة للسرايا فكان الهدف منها - كقاعدة - الاستطلاع لتأمين حدود الدولة، أو القيام بنشر الدعوة السلمية - طبقاً للمبادئ السابق عرضها فى شأن الدعوة إلى الإسلام - وتفقيه الناس فى الدين، أما القول بأن جميع السرايا والغزوات كان هدفها هو الحرب، فهذا قول يتنافى والعقل، فكيف يرسل رسول الله ﷺ كل هذا للسرايا بهدف الحرب خاصة فى أول ستتين من قدومه المدينة ولم يكن جيشه يتعدى الثلاثمائة إلا بقليل؟! فهل يسمح هذا العدد بالمهاجمة هنا والمحاربة هناك؟!

2 - الرسول ﷺ وقوافل قريش:

ادعى القمص زكريا بطرس أن جيوش المسلمين تقوّت بالغنائم التى سلبوها من قوافل قريش.

---

(1) انظر - سيرة ابن هشام جـ2 ص 198، صفوة السيرة النبوية لابن كثير جـ2 ص 175، وتاريخ الطبرى أحداث السنة الأولى والثانية، سبل الهدى والرشاد (السيرة الشامية) جـ4 - ص 25، ص 29.

وفى حقيقة الأمر نجد أن المؤرخين لم يتعرضوا لموضوع قوافل قريش ومهاجمة المسلمون إياها بصورة صريحة إلا فى صدر الحديث عن غزوة بدر. حيث ذكرت المراجع أن المسلمين كانوا على وشك الاستيلاء على قافلة أبى سفيان أثناء مرورها على حدود المدينة فى طريقها من الشام إلى مكة.

وتذكر مصادر التاريخ أن أبا سفيان قد علم بخبر استعداد المسلمين للهجوم على القافلة من بعض الركبان، فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفارى، فبعثه إلى مكة وأمره أن يأتى قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم ويخبرهم أن محمداً قد عرض للقافلة فى أصحابه، فخرج ضمضم بن عمرو سريعاً إلى مكة، فتجهز قريش الجيوش وتنطلق صوب القافلة[1].

وترجع القافلة - بعد أن أسبغت عليها الجيوش المكية حمايتها سالمة إلى مكة.

وهذه الروايات يرد عليها من المطاعن[2]:

1 - فقد رأينا أن أبا سفيان قد أرسل ضمضماً إلى مكة ليستغيث بقريش، ويستنفرها لتحمى قافلتها، فهل يصل ضمضم إلى مكة، وتُجهز قريش جيوشها - ومعها عدة قبائل - وتصل إلى أبى سفيان، كل هذا ولم تصل قوات المسلمين، وهم الأقرب إلى القافلة، وهذا إن دل إنما يدل على أن المسلمين لم يبتغوا هذه القافلة ولا غيرها، فلو أرادوها وفقاً للسير الطبيعى للأحداث لغنموها.

2 - وقد ذكرت كتب التاريخ أن أبا سفيان علم بخبر الهجوم من بعد الركبان، فى حين أن هذا الأمر - اعنى الهجوم على القافلة - لو صدق لكان غاية

(1) انظر - سيرة ابن هشام - جـ2 - ص 211 وما بعدها، والسيرة النبوية لابن حبان ص 87، وصفوة السيرة النبوية لابن كثير - جـ2 ص 188، وتاريخ الطبرى -أحداث السنة الثانية من الهجرة - جـ1 ص 366. وسبل الهدى والرشاد - جـ 4 ص 31.

(2) حول هذه المطاعن - انظر كتابنا الرسول والسيف ص 70 - 73.

فى السرية، فكيف بعلم به بعض الركبان؟! والتحليل الأصوب لهذا الأمر أن هناك من كان يهمه الوقيعة بين المسلمين ومكة حتى تنشب الحرب، ولا يخرج هذا من غير يهود المدينة.

3 - رسول الله ﷺ لم يفكر ابداً فى هدم الاقتصاد المكى، وما كان الرسول ﷺ يطيق لحظة أن تعيش قريش فى بؤس وشقاء، فهو على علم من أن الأمور ستنصلح وأن الإسلام سيعم شبه جزيرة العرب، وحسبنا هنا ما ذكره الحافظ محمد بن حبان فى سيرته النبوية فى سياق عرضه لأحداث السنة الخامسة من الهجرة، يقول ابن حبان: «وبلغ رسول الله ﷺ أن قريشاً أصابتهم شدة حتى أكلوا الرمة، فبعث رسول الله ﷺ بشىء من الذهب إليهم مع عمرو بن أمية وسلمة بن أسلم بن حريش»[1] وهذه الرواية تدحض الزعم بمهاجمة الرسول ﷺ قوافل قريش.

4 - ورواية أخرى رواها لنا ابن اسحق وهو بصدد الحديث عن هجرة على ابن أبى طالب - رضى الله عنه - حيث يقول: «أما علىّ فإن رسول الله ﷺ أمره أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدى عن رسول الله ﷺ الودائع التى كانت عنده للناس، وكان رسول الله ﷺ ليس بمكة أحد عنده شىء يخشى عليه إلا وضعه عنده، لما يعلم من صدقه وأمانته، وأقام علىّ بمكة ثلاث ليال وأيامها، حتى أدى عن رسول الله ﷺ الودائع التى كانت عند الناس»[2]. فالرسول ﷺ النبى الأمين وهو يعظم الأمانات بهذا الشكل لا يمكن أن يسلب قافلة هى أمانة فى عنق أبى سفيان، فهذا يتنافى مع خلقه الكريم.

---

(1) السيرة النبوية وأخبار الخلفاء - أحدث السنة الخامسة.

(2) سيرة ابن هشام - جـ1 ص 258، 263.

5 - كان المسلمون المهاجرون يعيشـون بالمدينة عيشة رغدة، فعن أنس بن مالك قال: «لما قـدم المهاجرون من مكة إلى المدينة قـدموا وليس بأيديهم شيء، وكان الأنصار أهل الأرض والعـقار، فقسمـهم الأنصار على أن أعطوهم أنصاف ثمار أموالهم كل عام، ويكفونهم العمل والمؤنة»[1].

من العرض السابق يتضح لنا أن أن رسول الله ﷺ والمسلمين لم يهاجموا قافلة واحدة من قوافل قريش، وأن غـزوة بدر - بل وكل غزوات الرسول ﷺ - كانت لغرض الدفاع عن دولة الإسلام وليس لغرض آخر[2].

3 - الرسول صلى الله عليه وسلم ويهود المدينة:

ادعى القـمص زكريا بطرس أن الرسـول ﷺ أباد ثلاث قـبائل يهـودية: بنى قريظة، وبنى الـنضير، ويهـود خيبـر، وادعى أن المسلمين كانوا يقـتلون الرجال ويأخذون النساء والأطفال لبيعهم لتوفير أموال شراء السلاح.

وفى حقيقة الأمر يجد المتتبع أن رسول الله ﷺ اتبع مع يهود المدينة - كقاعدة - سياسة الإجـلاء من شبه جزيرة العرب، وذلك مقابل مـا قاموا به من غدر ونقض لعهدهم الذى عاهدوا، وتلك السياسة اتبـعها الرسول ﷺ مع يهود بنى قينُقاع[3]، وبنى النضير، وخيبر، وبنى قريظة.

فبـعد أن وصل رسول الله ﷺ إلـى المدينة كان عليه أن يضع الـنظام الأساسى الذى ستسير عليه الدولة، أو بلغة العصر الـوثيقة الدستورية التى ستتضمن الأحكام العليا التى ستحكم دولة الإسلام.

---

(1) صحيح البخارى - كتاب الهبة - باب فضل المنيحة، وصحيح مسلم -كتاب الجهاد - باب رد المهاجرين إلى الأنصار منائحهم.

(2) حول التحليل التاريخى لغزوات الرسول ﷺ ولسراياه والـهدف منها - انظر كتابنا الرسول والسيف من ص 49 إلى ص 115.

(3) لم يذكرهم القمص.

دولة جديدة، تتعدد فيها الطوائف، لا شك أنها معادلة صعبة، فهناك أوس، وهناك خزرج، هناك مسلمين أنصار وهناك مهاجرين، وهناك وثنيين، وهناك يهود. كيف تذاب كل هذه الطوائف لتخرج لنا فى النهاية دولة واحدة؟ يظهر هنا ذكاء محمد ﷺ السياسى والاجتماعى، فيرى أنه لابد من اتخاذ خطوتين أوليتين، وهو فى سبيله إلى إرساء قواعد الدولة الجديدة، أولتهما: المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وثانيتهما: وضع دستور لهذه الدولة يساوى بين مختلف الطوائف والأعراق، وبين حقوق وواجبات كل مواطن فى الدولة[1].

وبعد أن آخى الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار، كتب كتاباً بينهم، وادع فيه اليهود وعاهدهم، وأقرهم على دينهم، وأموالهم، وألحق كل قوم بحلفائهم وجعل بينه وبينهم أماناً، وشرط عليهم شروطاً، منها: ألا يظاهروا عليه عدواً[2].

أ - ولكن يبدو أن اليهود لم يحتملوا الالتزام بهذا العهد لفترة طويلة، فلما كانت غزوة بدر كان **بنو قينقاع** أول يهود نقضوا العهد، وأظهروا البغى والحسد، وقطعوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد، فلما رجع رسول الله ﷺ من بدر قالوا له: «يا محمد إنك ترى أنّا مثل قومك. لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب. فأصبت منهم فرصة، إنا والله لئن حاربتنا لتعلمن أنا نحن الناس[3].

---

(1) الرسول والسيف - ص 128، 129.

(2) انظر النص الكامل لهذا الكتاب، والذى يمثل أول وثيقة دستورية فى دولة الإسلام - سير ابن هشام - جـ2 - ص 120 وما بعدها، وفى تحليل بنود هذه الوثيقة - انظر كتابنا - الرسول والسيف ص 133 وما بعدها. وانظر كذلك: د. حسين مؤنس فى كتابه القيم - دستور أمة الإسلام (دراسة فى أصول الحكم وطبيعته وغايته عند المسلمين).

(3) انظر - سيرة بن هشام - جـ2 - ص 229، صفوة السيرة - جـ3 - ص 7 والسيرة النبوية لابن حبان - ص 115، وسبل الهدى والرشاد - ص 266.

وبينما يهود بنى قينقاع على ماهم عليه من إظهار العداوة ونبذ العهد قدمت امرأة من العرب بجلب[1] لها فباعت بسوق قينقاع (وكانوا صاغة)، وجلست إلى صائغ بها لِحَلْى، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فلم تفعل، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها من ورائها فحلَّه بشوكة وهى لا تشعر، فلما قامت بدت عورتها فضحكوا منها، فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهودياً، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه، ونبذوا العهد إلى النبى ﷺ، واستصرخ[2] أهل المسلم المسلمين على اليهود، وغضب المسلمون فوقع الشر بينهم وبين بنى قينقاع[3].

بعد أن أظهر يهود بنى قينقاع العدواة، وأصبحوا يشكلون خطراً على مجتمع المدينة لاحتمال مبادرتهم المسلمين بهجوم مفاجئ، لم يكن أمام رسول الله ﷺ إلا أن يكسر شوكتهم حتى يحفظ الأمن الداخلى، فحاصرهم خمس عشرة ليلة حتى نزلوا على حكمه، ثم أمر بإجلائهم بعدما سأله عبد الله بن أبى العفو عنهم[4].

ب - أما **يهود بنى النضير** فكان من أمرها أن عمرو بن أمية (وهو مسلم) لقيه فى الطريق رجلان من بنى عامر، وقد كان معهم عهد من رسول الله ﷺ وجوار، وعمرو لا يعلم ذلك فقتلهما ثأراً للسرية التى قتلت يوم بئر معونة[5]، وهنا يظهر الخُلق القرآنى لمحمد ﷺ، فعندما أخبره عمرو بن أمية بما فعل قال له

---

(1) جلب: كل ما يجلب للأسواق ليباع فيها من إبل وغنم وغيرها.

(2) استصرخ: استغاث.

(3) انظر المصادر السابقة.

(4) انظر المصادر السابقة، وانظر كذلك تاريخ الطبرى - جـ1 ص 383.

(5) سرية بئر معونة عبارة عن سرية من أربعين رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ، وكان رسول الله قد أرسلهم ليبلغوا الدعوة فى نجد، إلا أن القبائل خرجوا عليهم وقتلوهم عن آخرهم إلا كعب بن زيد، وكان ذلك فى شهر صفر سنة أربع من الهجرة. انظر - سيرة ابن هشام - جـ3 ص 119، تاريخ الطبرى أحداث السنة الرابعة من الهجرة.

ﷺ: **«بئس ما فعلت قد كـان لهما منى جوار»** ووفاءً منه ﷺ بعهـده أخذ يجمع دية القـتيلين ليـرسلها إلى بنى عـامر، فـخرج إلى بنى النضـير يسـتعـينهم فى دية القتيلين، وقد كان بين بنى النضير وبـنى عامر عهد وحلف، فلما آتاهم رسول الله ﷺ قالوا: نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت.

وهنا يظهر غـدر اليهود وخيـانتهم، فقد خـلا بعضهم ببعض فـقالوا: إنكم لن تجدوا هذا الرجل على مثل حاله هذه ورسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد، فقالوا: من رجل يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صـخرة فيقتله بها فيريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كـعب أحدهم، فقال: أنا لذلك، فصعد ليلقى عليه الصخـرة كما قال؛ ورسول الله ﷺ فى نفر من أصـحابه، فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام ﷺ كأنه يريد حاجة، وانتظر أصحابه من المسلمين، وجعلت اليهـود تقول: ما حبس أبا القاسم؟! فلمـا تأخر رسول الله ﷺ على المسلمين انصرفوا - وكان قد دخل المدينة - فـانتهوا إليه وهو جالس فى المسجـد فقالوا: يا رسـول الله انتظرناك فمـضيت وتركتنا، فـقال: **«همت اليهود بقتلى، ادعوا لى مـحمد بن سلمة»** فأتى محـمد، فقال ﷺ: **«اذهب إلى اليهود فقل لهم: اخرجوا من المدينة، لا تساكنونى وهممتم ماهممتم من الغدر»**.

وبالفعل يُبلِّغ مـحمد بن سلمـة الرسالة، فأرسل إليهم عـبد الله بن أُبى (رأس المنافقين) فقـال لهم: لا تخرجوا فإن معى ألفى رجل مـن العرب يدخلون معكم، وقريظة تدخل معكم.

ويرد بنو النضير على رسول الله ﷺ: إن لا نفارق ديارنا فاصنع ما بدا لك.

يحاصر رسول الله ﷺ بنى النضير خمـسة عشر يوماً، وفى رواية ليال، وانتظر اليهود نصرة عبد الله بن أُبى، لكنه كـان قد تخلى عنهم، فصالحوا رسول الله ﷺ على أن يحـقن لهم دمـاءهم وله الأموال، ويتـجلون من ديارهم على أن لهم مـا حملت الإبل من أموالهم.

فاحتملوا مـا استقلت به الإبل، حتى أن كان الرجل منهم يهدم بيـته فيضع بابه على ظهر بعيره فينطلق به، وكان جلائهم إلى الشام[1].

جـ - **أما يهود بنى قريظة** فقد نقضوا عهـدهم مع رسول الله ﷺ قبيل غزوة الأحزاب، تلك الغـزوة التى لعب فيهـا اليهود دوراً لا ينكر فى تحـزيب الأحزاب وعقد الانفاقات العسكرية أملاً منهم فى وأد دولة الإسلام.

فيـعقـد حيى بن أخطب النضـرى (من بنى النضيـر) إتفاق مع كـعب بن أسد القرظى صاحب عـقد بنى قريظة، وعهدهم، وكـان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه وعاقده على ذلك، فانعـقد الاتفاق بين حيى بن أخطب وكعب بن أسد على أن ينقض الأخيـر عهده مع رسـول الله ﷺ، وأن يحاربه مع الأحـزاب، وبالفعل ينضم يهود بينى قريظة إلى الأحزاب فى حربهم ضد المسلمين[2].

يرسل الرسول ﷺ سـعد بن معاذ وهو يومئـذ سيد الأوس، وسعـد بن عبادة وهو يومئذ سـيد الخزرج إلى بنى قريظة ليـستطلع أمرهم وليحـتاط لهم، فنالوا من رسول الله ﷺ، وعابوه، وقالوا: من رسول الله؟! لا عهد بيننا وبين محمد.

ويهود بنى قـريظة بنقضـهم معاهدة السـلام مع رسول الله ﷺ ومحـاربته مع الأحزاب أصبحوا يشكلون خطراً داهمـاً على دولة الإسلام، فأصبح وجودهم لا يجتمع مع أمن هذه الأمة، ومن ثم كان جهادهم وكسر شوكتهم أمر ضرورى.

---

(1) انظر فى خبر غزوة بنى النضـير: سيرة ابن هشام جـ4 ص 123، وصفوة السيـرة لابن كثير جـ3 ص 62، وسيرة ابن حبان ص 130، وتاريخ الطبرى - أحداث السنة الرابعة جـ2 ص 406، وسبل الهدى والرشاد (السيرة الشامية) جـ4 ص 451.

(2) حول هذه الاتفاقات لحرب المسلمين فى غزوة الأحزاب (الخندق) انظر: سيرة ابن هشام جـ3 ص 140 وما بعدها، وصفوة السيرة جـ3 ص 75 وما بعدها، والسيـرة النبوية لابن حبان ص 143 وما بعدها، وتاريخ الطبرى أحداث السنة الخامسة جـ2 ص 410 وما بعدها، والاكتفا فى مـغازى الرسول والثلاثة الخلفا جـ1 ص 438 وما بعدها.

حاصرهم رسول الله ﷺ بعد رجوعه من غزوة الأحزاب (الخندق)، واستمر هذا الحصار خمس وعشرين ليلة، فلما أرهقهم الحصار استسلموا ونزلوا على حكم رسول الله ﷺ بمعنى موافقتهم مقدماً على حكم رسول الله ﷺ فيهم أياً كان هذا الحكم.

بطلب الأوس من رسول الله ﷺ العفو عن بنى قريظة، فقد كانوا حلفاءهم، وذلك رغبة منهم فى معاملة بنى قريظة بمثل ما عومل به يهود بنى قينقاع على نحو ما أسلفنا.

فقال لهم رسول الله ﷺ: **«يا معشر الأوس ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم»** قالوا: بلى. قال: **«فذاك إلى سعد بن معاذ»** قال سعد: فإنى أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة وأن تسبى النساء والذرية وأن تقسم أموالهم(1).

ومع تسليمنا بعدالة الحكم الذى أنزله سعد بن معاذ بيهود بنى قريظة، إلا أننا نجد أن هذا الحكم - والطريقة التى نُفذ بها - يتنافى والخلق المحمدى، فمحمدٌ ﷺ كان خلقه القرآن، مما يجعلنا ننكر هذه الرواية برمتها، وذلك استناداً إلى دليلان، أحدهما عقلى مستمد من الوقائع التاريخية، والتانى نقلى مستمد من أحكام القرآن الكريم(2).

فالتاريخ يقول لنا: أن رسول الله ﷺ قد عفا عن يهود بنى قينقاع - بأكملهم - واكتفى بإجلائهم من المدينة، وبناء على وساطة من؟ عبد الله بن أبى رأس المنافقين، وكذلك عفا ﷺ عن يهود بنى النضير، وكذلك عفا عن يهود خيبر - على ما سترى - فلما هذه المغايرة فى الحكم.

---

(1) فى أحداث هذه الغزوة انظر المصادر السابقة، ومن كتب الحديث: صحيح البخارى - كتاب الجهاد - باب إذا نزل العدو على حكم رجل، وكذلك كتاب المغازى - باب مرجع النبى ﷺ من الأحزاب، وصحيح مسلم - كتاب الجهاد - باب جواز قتال من نقض العهد.

(2) حول تحليل أحداث هذه الغزوة ونقد الوقائع التاريخية التى اثبتتها كتب التاريخ والسيرة - انظر كتابنا - الرسول والسيف - من ص 81 إلى ص 84.

والأدهى من ذلك، أن الذى توسط ليهود بنى قينقاع عبد الله بن أبى رأس المنافقين، فيقبل رسول الله ﷺ وساطته، فهل عندما يطلب منه ﷺ الأوس الذين نصروه العفو عن بنى قريظة يرفض؟!

وقد رأينا أن يهود بنى قريظة قد نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فكيف يُحكم فيهم سعد بن معاذ بعد ذلك؟

وتذكر المصادر التاريخية أن يهود بنى قريظة نزلوا من حصونهم وحبسوا فى دار بنت الحارث، وكان عددهم ما بين أربعمائة إلى تسعمائة رجل، فهل تسع دار بنت الحارث لكل هذا العدد؟!

أما عن الدليل القرانى فرسول الله ﷺ كان خلقه القرآن، ولن نعيد هنا ما سبق أن ذكرناه عن النظرية القرآنية فى الحرب، ولكن حسبنا هنا قوله تعالى **﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾**[1].

وبنو قريظة جنحوا للسلم، كما جنح قبلهم بنو قينقاع، وبعدهم يهود خيبر، فالمؤكد أن رسول الله ﷺ سالمهم.

وقوله جل شأنه: **﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم﴾**[2] وإجلاء اليهود هنا هو العقاب الكافى.

وقوله جل وعلا: **﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾**[3].

فالآية صريحة فى الحث على العفو، وجزاء بنى قريظة - كما سطرته كتب المؤرخين والمحدثين - فيه كثير من الظلم، والرسول ﷺ وأصحابه لا يصدر عنهم مثل هذا.

---

(1) الأنفال: 61.

(2) النحل: 126.

(3) الشورى: 40.

ونتنهى بعد عرض هذه الأدلة، أن جزاء بنى قريظة لنقضهم عهدهم مع المسلمين ومحاربتهم مع الأحزاب لن يخرج عن نفس الجزاء الذى لحق بباقى اليهود وهو العفو أو الإجلاء، لا القتل والسبى.

د - **أما يهود خيبر** فلم يصرح كُتّاب التاريخ والسيرة النبوية عن بالسبب المباشر لغزو رسول الله ﷺ لهم، ولكن باستقراء رواية ابن اسحق - فى هذا الصدد - يمكن لنا استجلاء هذا السبب بسهولة.

يقول ابن اسحق: وكان رسول الله ﷺ حين خرج من المدينة إلى خيبر - وكان ذلك فى محرم سنة سبع من الهجرة - سلك على عصر وبنى فيها مسجداً ثم على الصهباء، ثم أقبل بجيشه حتى نزل به بواد يقال له الرجيع، فنزل بينهم وبين غطفان، ليحول بينهم وبين أن يمدّوا أهل خيبر، **وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله ﷺ**، فبلغنى أن غطفان لما سمعوا بذلك **جمعوا ثم خرجوا ليظاهروا اليهود عليه**[1].

واضح من رواية ابن اسحق أن هناك حلفاً عسكرياً قد تم بين يهود خيبر وبين غطفان ضد المسلمين، وأن هجومهم على المدينة قد بات وشيكا، ولما كان من عادته ﷺ نقل الحرب خارج حدود الدولة؛ لذا خرج ليهود خيبر حتى يكسر شوكتهم ليقضى على هذا الحلف المعادى قبل أن يظهر آثاره، فنقض المعاهدات من جانب يهود بنى قينقاع وبنى قريظة لم يكن ببعيد[2].

قال ابن اسحق: وحاصر رسول الله ﷺ أهل خيبر فى حصنيهم الوطيح والسُّلالم، حتى إذا أيقنوا بالهلكة **سألوه أن يسيرهم وأن يحقن دماءهم، ففعل،**

---

(1) انظر - سيرة ابن هشام جـ2 ص 234، وصفوة السيرة جـ3 ص 144، وتاريخ الطبرى - أحداث السنة السابعة - جـ2 - ص 444، والاكتفا فى مغازى الرسول - جـ1 ص 488، وسبل الهدى والرشاد جـ5ص180 .

(1) انظر كتابنا - الرسول والسيف ص 86.

فلمـا سمع بهم أهل فـدك قد صنعـوا ما صنعـوا بعثـوا إلى رسول الله ﷺ، **أن يسيرهم ويحقن دمائهم ويخلوا له الأموال ففعل**[1].

فلما نزل أهل خيبر على ذلـك سألوا رسول الله ﷺ أن يعاملهم فى الأموال على النصف، وقالوا: نحـن أعلم بها منكم وأعمـر لها، فصالحـهم رسول الله ﷺ على النصف على أنا شئنا أن نخرجكم أخـرجناكم، وعامل أهل فدك بمثل ذلك[2].

حدث ذلك في وقت لم يكن المهزوم يحصل على قلامة ظفر من ماله، بل كان يعتـبر فى عداد الأمـوات وتقسم كل تركتـه على المنتصرين، ولكن الإسـلام جاء بقواعد دولية جديدة، عانت الكثير حتى استقر بعضها فى الضمير الإنسانى.

هذا هو موقف الإسلام من يهود المدينة، فـأين ما ادعاه القمص زكريا بطرس من قتل الأسرى الرجال وبيع النساء والأطفال لشراء الأسلحة، وقد رأينا كيف أن سياسة الرسـول ﷺ مع أسرى اليهود - والأسرى بصفة عامـة - كان هو العفو، أو الإجلاء دون قـتل أو سـبى، وموقف الرسـول ﷺ ما هو إلا تطبـيق للمبـدأ الجـديد على المجتـمع الدولى فى شـأن معـاملة الأسرى، هذا المبـدأ هو المن أو الفداء، وقد تقرر هذا المبـدأ فى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾[3] والمن: هو تحرير الأسـير بدون مقـابل، والفداء: هو مبـادلة الأسرى بالأسرى من الطرف الآخر أو التعويض المالى أو بوضع شـروط كشرط عدم العودة إلى الحرب مرة أخرى. **وجدير بالذكر أن الآية السابقة - وهى من سورة محمد - مدنية أى نزلت بعدما قويت شركة الإسلام.**

---

(1) انظر المصادر المدونة فى الهامش قبل السابق.

(2) المصادر السابقة.

(3) محمد: 4.

ليس هذا فقط، لكن القرآن أمرنا أن نعامل الأسير معاملة حسنة، وجعل من أوصاف الأبرار إطعام الأسير، وجعله أحد أعمال البر، يقول الله تعالى فى سورة الإنسان (وهى مدنية): **﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾**(1) ليس هذا فقط بل أن الإسلام قد وضع ستة أسباب لتحرير الأسرى الأرقاء، فى وقت لم يكن الرقيق فيه فى أى نظام قانونى يحصل على حريته أمد الحياة(2).

وبعد، فهل فطن القمص زكريا بطرس لكل هذا أم لم يفطن؟! ولمصلحة من هذا التضليل باجناب القمص؟!

- خامساً: الحرب فى الكتاب المقدس:

رأينا كيف أن القمص زكريا بطرس اعترض على آيات القتال والجهاد فى القرآن، وكيف ادعى أن الإسلام انتشر بحد السيف - وقد قمنا بالرد على كل هذا - إلا أن القمص لم يذكر أى نص من نصوص الكتاب المقدس فى شأن القتال، واكتفى بالقول: **بأن الحروب اليهودية لم تكن حروباً لنشر الدين اليهودى، وأن لمسيح - عليه السلام - كان ينادى بالسلام.**

ومن جانبنا، وحتى تكتمل الدراسة، وإزهاقاً للباطل الذى ادعاه القمص؛ كان لزاماً علينا أن نعرض لبعض نصوص القتال التى وردت فى الكتاب المقدس، حتى تتضح الصورة كاملة للقارئ ليتعرف على الفارق الشاسع بين ما جاء فى النظرية القرآنية فى شأن الجهاد والحرب، وبين ما جاء فى الكتاب المقدس(3).

1 - جاء فى الأصحاح الثالث والعشرين من سفر الخروج (عدد 23 :24): **«فإن ملاكى يسير أمامك ويجىء بك إلى الأموريين والحِثّيّين والفرزيين**

---

(1) الإنسان: 8.

(2) حول هذه الأسباب انظر كتابنا الرسول والسيف - ص 43 إلى ص 48.

(3) حول نصوص الكتاب المقدس فى شأن الحرب والقتال انظر - إظهار الحق - حـ2 - ص 328 وما بعدها.

والكنعانيين والحويين واليبوسيين. فأبيدهم. لا تسجد لآلهتهم ولا تعبدها ولا تعمل كأعمالهم. بل تُبيدهم وتكسر أنصابهم».

2 - فى الأصحاح الرابع والثلاثين من سفر الخروج (عدد 12 :13) فى حق الأمم الست السابق ذكرهم فى النص السابق: **«احترز أن تقطع عهداً مع سكان الأرض التى أنت آت إليها لئلا يصيروا فخاً فى وسطك. بل تهدمون مذابحهم وتكسرون أنصابهم وتقطعون سواريهم».**

والنصان السابقان قاطعان فى أن الحرب من جانب اليهود كان غرضها نشر الديانة اليهودية، وذلك بكسر الأصنام وإبادة من يسجد لها، ولاحظ استعمال لفظة «إبادة» وهى أشد أنواع القتل.

3 - فى الأصحاح العشرين من سفر التثنية (عدد 10 :18): **«حين تقرب مدينة لكى تحاربها استدعها إلى الصلح. فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود بها يكون لك للتسخير ويستعبد لك. فإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها. وإذا رفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف. وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب إلهك. هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً التى ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا. وأما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب إلهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما. بل تحرمها تحريماً الحثيين والأموريين والكنعانين والفرزين والحويين واليبوسيين كما أمرك الرب إلهك. لكى لا يعلموكم أن تعملوا حسب جميع أرجاسهم التى عملوا لآلهتهم فتخطئوا إلى الرب إلهكم».**

4 - فى الأصحاح الحادى والثلاثين من سفر العدد (17 :18): **«فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال. وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة ذكر فاقتلوها».**

5 - فى الأصحاح الخامس عشر من سفر الملوك الثانى عدد 16: **«حينئذ ضرب مخيم تفصح وكل ما بها وتخومها من ترصة لأنهم لم يفتحوا له ضربها وشق جميع حواملها».**

6 - فى الأصحاح السادس من سفر يشوع (عدد 21): **«وحرموا كل ما فى المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف».**

7 - فى الأصحاح السابع والعشرين من سفر صموئيل الأول (عدد 8 :10): **«وصعد داود ورجاله وغزوا الجشوريين والجرزيين والعمالة لأن هؤلاء من قديم سكان الأرض ولم يستبق منها رجلاً ولا امرأة وأخذ غنماً وبقراً وحميراً وجمالاً وثياباً ورجع وجاء إلى أخيش».**

8 - ووحشية القتل تظهر فى الأصحاح الثانى عشر من سفر صموئيل الثانى (عدد 29 :31): **«فجمع داود كل الشعب وذهب إلى رِبَّة وحاربها وأخذها. وأخذ تاج ملكهم على رأسه ووزنه وزنة من الذهب مع حجر كريم وكان على رأس داود وأخرج غنيمة المدينة كثيرة جداً. وأخرج الشعب الذى فيها ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفؤوس حديد وأمرَّهم فى آتون الآجر وهكذا صنع بجميع مدن بنى عمّون. ثم رجع داود وجميع الشعب إلى أورشليم».**

9 - وجاء فى العهد الجديد فى الإصحاح الحادى عشر من رسالة بولس إلى العبرانيين (عدد 32 :34): **«وماذا أقول أيضاً؟ لأنه يعوزنى الوقت إن أخبرت عن جدعون، وباراق، وشمشون ويفتاح، وداود، وصموئيل**

والأنبياء. الذين بالإيمان قـهروا ممالك، صنعوا براً، نالوا مواعـيد، سدوا أفواه أسود، أطفـأوا قوة النار، نجوا من حد السـيف، تقووا من ضعف، صاروا أشداء فى الحرب، هزموا جيوش غرباء».

فظهر من كلام بولس، أن قهر هؤلاء الأنبياء ممالك، وإطفاءهم النار ونجاتهم من حد السيف، وهزمـهم جيوش الكفار، كـان من جنس البر، لا من جنس الإثم، وكان منشؤها قوة الإيمان، ونيل مواعـيد الرحمن، لا قساوة القلب والظلم، وإن كانت أفعال بعضـهم فى صورة أشد أنواع الظلم، خاصة فى قتل الصغار الذين ما كانوا متدنسين بدنس الذنوب[1].

10 - والأصحـاح الثانى والعشـرين من إنجيل لوقـا (عدد 36) جاء على لسان المسيح - عليه السلام -: **«من له كيس فليأخذه ومزود كذلك. ومن ليس له فليبع ثوبه ويشتر سيفاً».**

11 - وكذلك جاء على لسان المسيح - عليه السلام - فى الأصحاح العاشر من إنجيل متى (عدد 34): **«لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاماً على الأرض. ما جئت لألقى سلاماً بل سيفاً».**

ونكتـفى بهـذا القـدر من نصوص الكـتاب المقـدس التى تبـيح القـتل والإبادة الجماعية، وقتل النساء الحوامل، والأطفال، واستعباد جميع المستسلمين، فأين هذا مما ذكرناه عن النظرية القـرآنية فى الجهاد والحـرب وما قررته من مبـادئ تتركز فى كون الحرب دفاعية وأن تكون بالقدر الكافى لرد الاعتداء فقط، ويحضرنى هنا قول الله تعالى: **﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾**[2] وجاء فى صحيح مسلم عن ابن عمر قال: وجدت امرأة مقتولة فى بعض تلك المغازى فنهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان[3].

(1) إظهار الحق - جـ2 - ص 334.

(2) البقرة: 190.

(3) صحيح مسلم - كتاب الجهاد والسير - باب تحريم قتل النساء والصبيان فى الحرب.

ونصوص الكتاب المقدس - السابق ذكرها - تدعو إلى القتل لا إلى القتال، وفارق كبير بين المعنيين وقد سبق وأن تعرضنا له عند شرح حديث رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس»، والمتتبع لآيات القرآن الكريم فى شأن الجهاد والحرب يجد أنها تدعو إلى قتال من يقاتلنا ومن يعادينا لا إلى قتلهم.

سادساً: حروب يسوع:

قد يتعجب البعض من هذا العنوان؛ تأسيساً على أن أسفار العهد الجديد لم تشر من بعيد أو من قريب إلى أن يسوع قد خاض الحروب بنفسه، ولكن - وبشيء من الروية - سنجد أن يسوع قد خاض حروب طاحنة أباد فيها كثيرين، والوصول إلي هذه النتيجة المنطقية ليس من وحى خيال، ولكن من خلال مقدمات وضعها القمص زكريا بطرس، ومقدمات أخرى جاءت بها أسفار العهدين القديم والجديد.

يقول القمص زكريا بطرس فى معرض الحديث عن طبيعة السيد المسيح[1]: **«المفروض أن نعرف أن المسيح طبيعته من طبيعتين، طبيعة جسدية، وطبيعة أخرى لاهوتية، الله ظهر فى هذا الجسد. . ونسميه - يعنى يسوع - الله لأن الطبيعة الإلهية اللى فيه يبقى ده إله»**.

وجاء فى إنجيل يوحنا: **«فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله»** [2].

ومن المقدمتين السابقتين، وطبقاً لما يقول به الفكر المسيحى - فإن الله هو يسوع، ويسوع هو الله.

وجاء فى إنجيل متى: **«بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة»** [3].

---

(1) حلقة 33: وسوف نعرض بالتفصيل لطبيعة السيد المسيح فى موضع لاحق بهذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

(2) يوحنا 1: 1 .

(3) متى 10 :6.

وطبقاً للنص الأخير، ستكون حروب الله - أو حروب يسوع طبقاً للفكر المسيحى الذى لا يغاير بين الله وليسوع - بالحرى لصالح بنى إسرائيل، وعلى هذا سنجد أن الحروب التى تجلت فيها قدرة الله (يسوع) كانت معظمها لصالح بنى إسرائيل، والآن إليك عرض لبعض نصوص الكتاب المقدس لتلك الحروب التى شارك فيها يسوع:

1 - حرب يسوع مع نوح:

جاء فى الأصحاح السابع من سفر التكوين عدد 17 - 24 : **«وكان الطوفان أربعين يوماً على الأرض. وتكاثرت المياه ورفعت الفلك فارتفع عن الأرض. وتعاظمت المياه وتكاثرت جداً على الأرض. فكان الفلك يسير على وجه المياه. وتعاظمت المياه كثيراً جداً على الأرض. فتغطت جميع الجبال الشامخة التى تحت كل السماء. خمس عشرة ذراعاً فى الارتفاع تعاظمت المياه. فتغطت الجبال. فمات كل ذى جسد كان يدب على الأرض من الطيور والبهائم والوحوش وكل الزحافات التي كانت تزحف على الأرض وجميع الناس. كل ما فى أنفه نسمة روح حياة من كل ما فى اليابسة مات. فمحا الله (يسوع) كل قائم كان على وجه الأرض. الناس والبهائم والدبابات وطيور السماء وانمحت من الأرض. وتبقى نوح والذى معه فى الفلك فقط. وتعاظمت المياه على الأرض مئة وخمسين يوماً».**

وعلى هذا نجد أن الله (يسوع) قد قام بمحو كل المخلوقات من على وجه الأرض، حتى لم يبق إلا نوحاً والذين معه فقط.

2 - حرب يسوع مع لوط:

جاء فى الأصحاح التاسع عشر من سفر التكوين عدد 23 - 29: **«وإذا أشرقت الشمس على الأرض دخل لوط إلى صوغر، فأمطر الرب (يسوع) على سدوم**

وعمـورة كبريتـاً وناراً من عند الرب من السمـاء. وقلب تلك المدن وكل الدائرة وجـميع سكان المدن ونبـات الأرض، ونظرت امـرأته من ورائه فصـارت عمـود ملح. وبكَّر إبراهيم فى الغـد إلى المكان الذى وقف فيه أمـام الرب، وتطلع نحو سدوم وعـمورة ونحو كل أرض الدائرة ونظر وإذا دخـان الأرض يصعد كـدخان الأتون، وحـدث لما أخرب الله (يسـوع) مدن الدائرة أن الله ذكـر إبراهيم وأرسل لوطاً من وسط الانقلاب حين قلب المدن التى سكن فيها لوط».

3- حروب يسوع مع بنى إسرائيل:

ذكرنا أن معظم حروب يسوع كانت لصالح بنى إسرائيل، وليس أدل علي ذلك من الضربات التي وجهها إلي فرعون موسى من تحويل الماء إلى دم، وفيضان النهر بالضفادع، والبعوض. . . إلخ»[1].

وقد قاتل الرب وخلـص بنى إسرائيل من فرعون وجنوده، جـاء فى الأصحاح الرابع عشر من سفر الخروج عدد 13 :31: **«فقال موسى للشعب (بنى إسرائيل) لا تخافـوا قفوا وانظروا خـلاص الرب (يسوع) الذى يصنعـه لكم اليوم. فإنه كـما رأيتم المصـريين اليوم لا تعـودون ترونهم أيضـاً إلي الأبد. الرب (يسوع) يقـاتل عنكم وأنتم تصمـتون. فقـال الرب (يسوع) لموسى مالـك تصرخ إلى. قل لبنى إسرائيل أن يرحلوا. وارفع أنت عصاك ومد يدك على البـحر وشقه. فيدخل بنو إسرائيل فى وسط البحر على اليابسة.**

«فقـال الرب (يسوع) لموسى: مد يدك على الـبحر ليرجـع الماء على المصريين على مركبـاتهم وفرسانهم، فمد مـوسى يده على البحر فرجع البحـر عند إقبال الصـبح إلى حاله الدائمـة، والمصريون هاربون إلى لقـائه، فرفع الرب (يـسوع) المصريين فى وسط البـحر. فرجع الماء، وغطى مـركبات وفـرسان جمـيع جيش

---

(1) انظر سفر الخروج أصحاحات 7 ، 8 ، 9 ,10 ,11 .

فرعون الذى دخل وراءهم فى البحـر، لم يبق منهم ولا واحد. وأما بنو إسرائيل فمشوا على اليابسة فى وسط البحر والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم.

فخلص الرب (يسوع) فى ذلك اليوم إسرائيل من يد المصريين، ونظر إسرائيل المصريين أمواتاً على شاطئ البحر. ورأى إسرائيل الفعل العظيم الذي صنعه الرب (يسوع) بالمصريين. فخاف الشعب الرب وآمنوا بالرب وبعبده موسى».

وها هو الرب (يسوع) يدفع سيـحون ملك الأموريين إلي بنى إسرائيل ليـقضوا عليهم فلا يبقون علي نسمة، جاء عـلى لسان موسى فى الأصحاح الثانى من سفر التثنيـة. عدد 30 - 36: **«.. لم يشأ سـيحـون ملك حشبـون أن يدعنا نمر به لأن الرب (يسوع) إلهـك قسى روحه وقـوى قلبه لكى يدفـعه إلي يدك كـما فى هذا اليوم. وقـال الرب (يسوع) لى: انظر قـد ابتدأت أدفع أمامـك سيحـون وأرضه ابتدىء تملك حتى تمتلك أرضه. فخرج سيحـون للقائنا هو وجميع قومه للحرب إلي ياهص. فدفعه الرب (يسوع) إلهنا أمامنا فضـربناه وبنيه وجميع قومه وأخذنا كل مدنه فى ذلك الوقت وحرّمنا من كل مدينة الرجال والنساء والأطفال. لم نبق شارداً... الجميع دفعه الرب (يسوع) إلهنا».**

وبالجملة أكل بنو إسرائيل كل الشعوب بمباركـة ومساعدة الرب يسوع، جاء فى سفـر التثنيـة عدد 14 - 19 : **«مبـاركاً تكون فـوق جمـيع الشعـوب.. وتأكل كل الشعوب الذين الرب (يسوع) إلهك يدفع إليك لا تشـفق عيناك عليهم، ولا تعبد آلهتـهم لأن ذلك شرك لك. إن قلت فى قلبك هؤلاء الشـعوب أكثـر منى كيف أقدر أن أطردهم، فـلا تخف منهم. اذكر ما فـعله الرب (يسوع) إلهك بفـرعون وجميع المصريين... هكذا يفعل الرب (يسـوع) إلهك بجميع الشعوب التى أنت خائف من وجهها».**

والله فى العهد القديم هو رجل حرب **«الرب رجل الحرب»**[1]

(1) خروج3:15 .

والسؤال الآن للقمص زكريا بطرس: إذا كان يسوع هو الله، فهل هو صاحب رسالة سلام أم هو رجل حرب؟! أم أن إلهك غير إله العهد القديم؟! إذا كانت الأجابة بالنفى فيسوع أبداً لم يكن صاحب رسالة سلام - طبقاً لمعتقدك - خاصة مع بنى إسرائيل الذى خاض كل هذه الحروب لصالحهم.

وإذا كانت الأجابة نعم فأنت تقول بتعدد الآلهة، وكذلك لا يحق لك أن تدافع عن العهد القديم لأن إلهك مغاير لإله بني إسرائيل. فأى الإجابتين تختار؟!

وبعد فأى الكتابين يحض على الإبادة الجماعية وقتل كل نسمة، القرآن أم الكتاب المقدس؟!

وأى من الكتابين يدعو إلى المجادلة بالتى هى أحسن، القرآن أم الكتاب المقدس؟

وأى من الكتابين يدعو إلى العفو والسلم، القرآن أم الكتاب المقدس؟

وأى من الكتابين يدعو إلى نشر الدعوة بالقتل - بالمناشير والفؤوس - القرآن أم الكتاب المقدس؟

وأى من الكتابين نصوصه تفوح منها رائحة الدم، والإرهاب، والحرق، والتدمير، تلك النصوص التى يجب حذفها - على حد تعبير القمص زكريا بطرس - أى من الكتابين: القرآن الكريم أم الكتاب المقدس؟

أسئلة تحتاج إلى إجابة القمص.

* * * *



الفصل العاشر
أحكام الردة

- عرض الشبهات:

فى إطار الرد عما أثاره الشيخ أحمد ديدات فى كتابه عتاد الجهاد عن حكم المرتد فى الكتاب المقدس، **يقول مقدم البرنامج**[1]: قال الشيخ أحمد ديدات أن الكتاب المقدس يأمر بقتل المرتد، ولو كان من أقرب ذوى القربى[2].

- **القمص**: اعتقد أن الشيخ ديدات يتهم الكتاب المقدس بأنه يحض على قتل المرتد، واقتبس ذلك من سفر التثنية وبدأ يضخم فيه ففى سفر التثنية إصحاح 13 (عدد 6 :11): «**إذا أغواك سراً أخوك ابن أمك أو ابنك أو ابنتك أو امرأة حضنك أو صاحبك الذى مثل نفسك قائلاً: نذهب ونعبد آلهة أخرى لم تعرفها أنت ولا آباؤك من آلهة الشعوب الذين حولك القريبين منك أو البعيدين عنك من أقصى الأرض إلى أقصاها فلا ترض منه ولا تسمع له ولا تشفق عينك عليه ولا ترق له ولا تستره بل قتلا تقتله يدك تكون عليه أولاً لقتله ثم أيدى جميع الشعب آخيراً. ترجمه بالحجارة حتى يموت لأنه التمس أن يطوحك عن الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية**».

ويضيف القمص: ويقول أحمد ديدات، وهكذا دون استتابة أو تحر تأمر التوراة بقتل المرتد ويعيبون على الإسلام قتل المرتد، فى حين أن القرآن قد أورد ذكر المرتد فى موضعين لم يأمر الله بقتله فى أى منهما بل اختص الله نفسه بعقاب

(1) حلقة: 91.

(2) عتاد الجهاد ص 16.

المرتد، وإذا كان ثمة أحاديث نبوية توصى وتأمر بقتل المرتد حفاظاً على معنويات ومقومات الجماعة المسلمة[1]. وهذا ما قاله بالنص.

- **ويضيف القمص:** أولاً نلاحظ أن انتقادات أحمد ديدات كلها من العهد القديم وليست من العهد الجديد، والعهد القديم أُنزل على اليهود ثم أكملها المسيح بشريعةر الكمال، وفى العهد القديم كانت اسرائيل دين ودولة كالإسلام فهو دين ودولة. والاستثناء الذى قاله أحمد ديدات إن الحديث أباح قتل المرتد حفاظاً على معنويات ومقومات الجماعة المسلمة هو نفس الشيء فى سفر التثنية، والمسيحية ليست دولة **وليس عندنا هذا الحكم على الإطلاق.**

يضيف: سأذكر تصحيحاً لخطأ وقع فيه أحمد ديدات عندما قال إنه ورد فى القرآن فى موضعين فقط كلام عن المرتد ليس بهما إباحة للدم[2]، أقول: يا شيخ ديدات: القرآن ذكر تسع مواضع عن المرتد (وأخذ يذكر هذه المواضع).

- **مقدم البرنامج:** إذا كان الله يقول أن المرتد لن يضر الله، فلماذا يُحكم على المرتدين بالقتل؟

- **القمص:** مشكلة المسلم إنه يقرأ أية ويحفظها، ولا يقوم بالربط بين الأمور. ويضع القمص مقدمات ليخرج بنتيجة مؤداها أن القرآن قال بقتل المرتد فيقول: بما أن المرتد هو كافر، وهذا ما ذكره القرآن فى سورة البقرة آية 217، وبما أن الكفرة لابد من قتلهم طبقاً لما جاء فى سورة التوبة: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ**﴾[3] وفى تفسير الطبرى عن ابن عباس: جاهد الكفار أى بالقتال.

---

(1)، (2) هذا التعليق الذى ذكره القمص وادعى أنه جاء على لسان الشيخ أحمد ديدات فى حقيقته تعليق لمترجم الكتاب، ولا يمت بصلة إلى الشيخ، والقمص يعلم هذا جيداً، ولكنه يهدف دائماً إلى قلب الحقائق.

(3) التوبة: 73.

إذن المرتد يُقتل بنص القرآن، لكن العملية حساب ومنطق. فكيف يقول الشيخ ديدات أن القرآن لم يأمر بقتل المرتد؟!

- **مقدم البرنامج:** يقول ديدات أيضاً أنه هكذا دون استتابة تأمر التوراة بقتل المرتد.

- **القمص:** وكعادة الشيخ ديدات لا يدخل فى سياق الحديث، ولو كان أميناً وغير مخادع لأورد الكلام المذكور فى سفر التثنية والمكمل لهذا الكلام فى سفر التثنية إصحاح 17: «**إذا وجد فى وسطك.. رجل.. يذهب ويعبد آلهة أخرى.. وأخبرت وسمعت وفحصت جيداً وإذا الأمر صحيح أكيد.. فأخرج ذلك الرجل أو تلك المرأة إلى أبوابك وارجمه بالحجارة حتى يموت على فم شاهدين أو ثلاثة يقتل.. لا يقتل على فم شاهد واحد. أيدى الشهود تكون عليه أولاً لقتله ثم أيدى جميع الشعب أخيراً**».

ويعلق القمص على النص: إذن هناك محاكمة علنية تستنتج من النص السابق فى سفر التثنية، وهناك عدة أدلة من النص:

1 - الفحص الجيد (لقوله وفحصت جيداً).

2 - التأكد من الأمر.

3 - إخراج المدان إلى خارج الأبواب.

4 - الشهود.

5 - الحكم الجماعى (أيدى جميع الشعب).

إذن لماذا يقول ديدات أنه عمل فردى؟! أما الاستتابة فموجودة فى سفر حزقيال إصحاح 33 عدد 14: «**فإن رجع عن خطيته فإنه حياة يحيا ولا يموت**».

- **مقدم البرنامج:** الشيخ ديدات يقول أن الله لم يأمر بقتل المرتد فى القرآن، لكن الأحاديث فى ظروف معينة تأمر بقتل المرتد[1].

- **القمص:** هل الأحاديث أقوى من القرآن وتنسخه؟! فأى المصدرين أقوى؟

وقد جاء فى موطأ مالك عن زيد بن أسلم أن رسول الله قال: من غيّر دينه فاضربوا عنقه. وروى البخارى ومسلم عن ابن مسعود قال: قال رسول الله: لا يحل دم أمرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث الثيب الزانى، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة.

ويعلق القمص: ويقولون لا يوجد حكم ردة، إذا كان ذلك صحيح لكانت راحة للمتنصرين.

- **مقدم البرنامج**: هناك أيضاً مسيحيون يعتنقون الإسلام.

- **القمص**: لأنه لا يوجد عندنا حكم ردة.

- **مقدم البرنامج:** هل هناك أى أمثلة؟

- **القمص:** حروب الردة، ففى سيرة ابن هشام كان أهل الردة إحدى عشر فرقة، وقُتل الآلاف فى حروب الردة، وخالد بن الوليد قتل من فرقة واحدة هى فرقة بنى حنيفة قتل عشرين ألف رجل، وذلك لأنهم ارتدوا عن الإسلام.

- الرد على الشبهات:

كعادته يقلب القمص زكريا بطرس الحقائق، وأول ما فعل القمص - فى الموضوع الذى نحن بصدده - أنه نسب تعليق مترجم كتاب عتاد الجهاد على النص الذى ذكره الشيخ أحمد ديدات من سفر التثنية، نسبه إلى الشيخ أحمد ديدات، وذلك على غير الحقيقة، فى محاولة منه للنيل من علم الشيخ.

(1) هذه تعليقات مترجم الكتاب ولا علاقة للشيخ ديدات بها.

وللرد على الشبهات التى ذكرها القمص فى هذا المقام يكون حرى بنا أن نعرض أولاً لموقف القرآن من المرتد، وثانياً: لحكم المرتد فى السنة النبوية المطهرة، وثالثاً: نعرض لإشكالية حروب الردة، ورابعاً: نعرض لحكم المرتد فى الكتاب المقدس.

- أولاً: موقف القرآن من المرتد:

تعرض القرآن الكريم لمن ارتد عن الإسلام - وارتضى غيره دينا - فى مواضع عدة، يقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[1]، وقوله جل شأنه: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[2] والآية الأولى تصف حال المرتد بأنه ضل الطريق القويم، والثانية تقرر له عقاب أخروى، وهو بطلان الأعمال وفسادها، ومن ثم يكون خلوده فى النار. ويقول عز وجل: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٨٦) أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (٨٧) خَالِدِينَ فِيهَا لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ (٨٨) إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٨٩) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾[3] والجزاء هنا اللعنة والخلود فى النار، إلا من تاب وأصلح. أما الذين ازدادوا كفراً؛ فمثل هؤلاء لن تقبل توبتهم، ويتأكد هذا المعنى فى موضع آخر فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً﴾[4] ويقول سبحانه وتعالى فى سورة المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ

(1) البقرة: 108.

(2) البقرة: 217.

(3) آل عمران: 86 - 90.

(4) النساء: 137.

منكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1] وهنا يخاطب الله الذين آمنوا ويحذرهم من تبديل دينهم بأنه - سبحانه وتعالى - سيأتى بمن هو خير منهم، ويفضلهم عليهم.

ويقول عز وجل فى سورة النحل: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٦) ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (١٠٧) أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٠٨) لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[2] وفى الآية عقاب لمن كفر بعد إيمانه بعدم الهداية والخسارة فى الآخرة، واستثنى من أُكره على النطق بكلمة الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان.

وفى سورة المنافقون يقول جل وعلا: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ (٣) وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٤) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ (٥) سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٦) هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ

(1) المائدة: 54.

(2) النحل: 106 - 109.

وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾[1].

وهذه الآيات جديرة بأن نقف معها قليلاً، ففيها كثير من النفائس التى تبين لنا موقف رسول الله ﷺ من هؤلاء المنافقين الذين آمنوا ثم كفروا، وحسبنا هنا ما ذكره ابن كثير فى تفسيره لهذه الآيات فى رواية سندها عروة بن الزبير وعمر بن ثابت الأنصارى، جاء فى الرواية: أن رسول الله ﷺ غزا غزوة المريسيغ وهى التى هدم رسول الله ﷺ فيها مناة الطاغية.. فاقتتل رجلان فى غزوة رسول الله ﷺ تلك أحدهما من المهاجرين والآخر من بهز وهم حلفاء الأنصار، فنصره رجل من الأنصار، وقال المهاجرى: يا معشر المهاجرين فنصره رجال من المهاجرين، حتى كان بين أولئك الرجال من المهاجرين والرجال من الأنصار شىء من القتال، ثم حجز بينهم فانكفأ كل منافق أو رجل فى قلبه مرض إلى عبد الله بن أُبى بن سلول فقال: قد كنت ترجى وتدفع فأصبحت لا تضر ولا تنفع، قد تناصرت علينا الجلابيب، وكانوا يدعون كل حديث الهجرة بالجلابيب، فقال عبد الله بن أبى عدو الله: والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها (عبد الله بن أبى) الأذل (يعنى رسول الله ﷺ) فقال مالك بن الدخشن - وكان من المنافقين -: ألم أقل لكم لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا؟ فسمع بذلك عمر بن الخطاب، فأقبل حتى أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ائذن لى فى هذا الرجل الذى قد أفتن الناس أضرب عنقه، فقال رسول الله ﷺ: **«أو قاتله أنت إذا أمرتك بقتله؟»** قال: نعم، والله لئن أمرتنى بقتله لأضربن عنقه. فقال رسول الله ﷺ: **«إجلس»** فأقبل أسيد بن حضير وهو أحد الأنصار ثم أحدى بنى الأشهل حتى أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ائذن لى فى هذا الرجل الذى أفتن الناس أضرب

---

(1) المنافقون: 1 - 8.

عنقه، فقال رسول الله ﷺ: **«أو قاتله أنت إن أمرتك بقتله؟»** قال: نعم، والله لئن أمرتنى بقتله لأضرب بالسيف تحت قرط أذنيه. فقال رسول الله ﷺ: **«أجلس»** ثم قال رسول الله ﷺ: **«آذنوا بالرحيل»**، . . . فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أرسل إلى عمر فدعاه، فقال له رسول الله ﷺ: **«أى عمر أكنت قاتله لو أمرتك بقتله؟»** فقال عمر: نعم، فقال رسول الله ﷺ: **«والله لو قتلته يومئذ لأرغمت أنوف رجال لو أمرتهم اليوم بقتله لقتلوه، فيتحدث الناس أنى قد وقعت على أصحابى فأقتلهم صبراً»** وفى رواية: **«دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه»**[1].

وفى تفسير نفس السورة بذكر ابن كثير أن عبد الله بن عبد الله بن أُبى لما بلغه ما كان من أمر أبيه أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنك تريد قتل أبى فيما بلغك عنه فإن كنت فاعلاً فمرنى به فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده منى، إنى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله فلا تدعنى نفسى أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبى يمشى بين الناس، فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار. فقالل رسول الله ﷺ: **«بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقى معنا»**[2].

وباستقراد النصوص القرآنية والروايات السابقة يتضح لنا بجلاء أن القرآن الكريم لم يأت بعقوبة دنيوية على الكفر المجرد بعد الإسلام، ولكن كل ما قرره فى هذا الشأن عقوبات أخروية، ووعيد بعذاب النار مع بقاء باب التوبة مفتوحاً على مصراعيه، وجدير بالذكر أن كل الآيات التى أوردناها - باستثناء سورة النحل - نزلت بالمدينة، أى أن حكمها تقرر ليطبق فى المجتمع الإسلامى، وفى الحقيقة فإن هذا الحكم لم يختلف كثيراً عن الحكم الذى قررته آيات سورة النحل المكية التى

---

(1) تفسير ابن كثير لسورة المنافقون.

(2) المصدر السابق.

نزلت فى ظل حكم وثنى، إذن فالقاعدة القرآنية فى هذا الشأن ثابتة، لا قتل لمرتد، ولا عقوبة على الكفر المجرد غير المصحوب بأى أفعال أو أعمال عدائية، وأكد هذه القاعدة فعل رسول الله ﷺ من نهيه عمر بن الخطاب عن قتل عبد الله بن أبى - رغم ثقة رسول الله ﷺ من نفاقه - وكذلك من نهيه لابنه (عبد الله بن عبد الله بن أبى) عن قتل أبيه، فيتضح لنا، وبكل جلاء أن القرآن الكريم لم يقرر حداً للردة، بل إن آياته اقتصرت على عذاب جهنم وهى حسب الكافرين على ما تقدم بيانه، وتطبيقات النبى ﷺ الفعلية وهو المسئول الأول، والأخلص، والأجدر ببيان الشريعة، وتكرار قوله ﷺ: **والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطع محمد يدها،** كل ذلك ينفى يقيناً أن يثبت - وبخاصة على سند من القرآن - حد فى هذا الشأن[1].

وقد حاول القمص زكريا بطرس أن يدلل على أن القرآن قال بقتل المرتد، وذلك بأن وضع مقدمتين الأولى: أن المرتد كافر، لقوله تعالى: **﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾**[2] والمقدمة الثانية أن الكفرة لابد من قتلهم لقوله جل شأنه: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾**[3] وذكر القمص أن الطبرى قال فى تفسيره: جاهد الكفار أى بالقتال.

يرد على ذلك بأن القياس الذى لجأ إليه القمص قياس فاسد؛ لكذب المقدمة الثانية، فالله سبحانه وتعالى قال فى شأن الكفار: **﴿جَاهِدِ﴾** ولم يقل: «أقتل» وفرق شاسع بين الجهاد والقتل؛ لأن الجهاد لا يؤدى إلى القتل حتماً، فأنت حينما تقول لأحد: جاهد نفسك وتغلب على شهواتها، فهل معنى هذا أنك تقول له: اقتل نفسك؟!

(1) انظر كتابنا - الرسول والسيف - ص 103.

(2) البقرة: 217.

(3) التوبة: 73.

أما مـا جاء فى تفسـير الطبرى بأن جـهاد الكفار يـكون بالقتال، نكرر مـا سبق وذكرناه من أن القتال غير القتل، فمن يقاتل لنشر مبدأ غير الذى يقتل لإجبار الناس على اعتناقه.

من هذا العرض نـنتهى إلى نتيـجة مـؤداها أن القرآن الكريم لم يقـرر حداً ولا عقوبة دنيوية على من ارتد عن الإسلام واعـتنق ديناً آخر، سماوياً كان هذا الدين أم غير سمـاوى، ولم يقرر القرآن هذا لا بصورة صريحة ولا بطريقـة ضمنية، إنما كل مـا قرره فى هذا الشـأن هو الجـزاء الآخروى، وذلك لأن قـتل المرتد يجـعله مكرهاً على الاسـتـمرار فى اعـتناق دين لا يؤمن به، وهذا يتنـافى مع قوله عـز وجل: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[1].

- ثانياً: حكم المرتد فى السنة النبوية:

استند القمص زكريا بطرس فى ادعـائه بأن السنة النبوية تحض على قتل المرتد، استند إلى بعـض الأحاديث دون أن يمحصـها أو يعلق عليـها؛ منها قـول الرسول ﷺ: **«من بدل دينه فـاقتلوه»**[2] والرواية فى موطأ الإمـام مالك: **«من غير دينه فاضربوا عنقه»**[3].

بداية نقول: أن جمـهور العلماء يرى أن الحدود لا تثبت بحديث الأحاد، وأن الكفر ليس مبيـحاً للدم، وإنما المبيح للدم هو **محاربة المسلمين، والعدوان عليهم، ومحاولة فتنتهم عن دينهم**[4].

---

(1) البقرة: 256.

(2) صحيح البخارى - كتاب الجهاد - باب لا يعذب بعـذاب الله، وكتاب استتابة المرتدين والعائدين وقتالهم - باب حكم المرتد والمرتدة.

(3) موطأ مالك - كتاب الأقضية - باب القضاء فيمن ارتد عن الإسلام.

(4) الشيخ المرحـوم محمـود شلتوت - شيخ الأزهر - الإسـلام عقيـدة وشريعة - دار الشـروق - القاهرة - 1972.

ويعزز هذا الرأى الرواية الكاملة للحديث كما ورد فى صحيح البخارى، عن عكرمة قال: «أتى على - رضى الله عنه - بزنادقة فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس، فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم، لنهى رسول الله ﷺ عن التعذيب بعذاب الله، ولقتلتهم لقول رسول الله ﷺ: **«من يدل دينه فاقتلوه»**[1].

ومعلوم أن الزنادقة هم الذين يسرون الكفر ويظهرون الإيمان، فهم يظهرون عكس ما يبطنون؛ بغية إثارة الفتن وزعزعة الأمن الداخلى فى البلد، فهؤلاء لم يحرقهم على بن أبى طالب - رضى الله عنه - لمجرد كفرهم، ولكن لعظم خطرهم الذى يحيق بالمسلمين، وذلك الخطر يكمن فى تبديل الذين، وهو يعنى - أى التبديل - جعل الدين على غير ما هو عليه فى حقيقته، كأن يمنعوا الصلاة أو الزكاة، مما يؤدى إلى انقسام الجماعة، فهؤلاء لكفرهم وتبديلهم - معاً - هم الذين يقاتلون[2].

أما الذين يظهرون عكس ما يبطنون، ولم يقرنوا تبديل دينهم بنشر الفتنة وزعزعة أركان الدولة، فالقاعدة أنهم لا يقاتلون ولا يقتلون، وذلك لأن النية محلها القلب، ولا يمكن استشفاف النوايا إلا عن طريق الأفعال الخارجية، والأحاديث النبوية الشريفة التى أرست تلك القاعدة كثيرة؛ فعن عبيد الله بن عدى بن الخيار عن المقداد بن الأسود أنه أخبره أنه قال: يا رسول الله أرأيت إن لقيت رجلاً من الكفار فقاتلنى فضرب إحدى يدى بالسيف فقطعها ثم لاذ منى بشجرة فقال: أسلمت لله أفأقتله يا رسول الله بعد أن قالها؟ قال رسول الله ﷺ: **«لا تقتله»** فقال: فقلت يا رسول الله إنه قد قطع يدى ثم قال ذلك بعد أن قطعها أفأقتله؟ قال رسول الله

---

(1) صحيح البخارى - كتاب استتابة المرتدين - باب حكم المرتد والمرتدة.

(2) انظر كتابنا - الرسول والسيف ص 104، 105، ود. محمد بدر - الديمقراطية الأثينية، وسيادة القانون فى التوراة والإنجيل والقرآن - ص 413.

ﷺ: **«لا تقتله فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التى قال»**[1].

وإذا كانت الحالة هكذا فى حالة الحرب، فما بالنا فى حال السلم، فالأولى ألا يكون فيها بحث فى النوايا، ولا قتل لمن نافق وبدل دينه طالما لا يضر ذلك كيان دولة الإسلام.

وعن أسامة بن زيد قال: بعثنا رسول الله ﷺ فى سرية.. فأدركت رجلاً فقال: لا إله إلا الله، فطعنته فوقع فى نفسى من ذلك، فذكرته للنبى ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: **«أقال لا إله إلا الله وقتلته»** قات: يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح، قال: **«أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟»**. وفى رواية قال ﷺ لأسامة: **«فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة»؟!** قال: يا رسول الله استغفر لى، قال: **«وكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة»؟!** قال: فجعل لا يزيده على أن يقول كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة[2].

والحديث الأخير كسابقه يدعو إلى عدم قتال المنافق أو المرتد، طالما لم يظهر منه ما يعكر صفو الدولة الإسلامية، أى طالما لم يعاديها، وسواء كان هذا فى حال الحرب أم فى حال السلم.

ويستقيم هذا الفهم إذا جُمع بين الأحاديث السابقة، وحديث عبد الله بن مسعود - والذى استند إليه القمص زكريا بطرس - حيث قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزانى، والمارق من الدين المفارق للجماعة»**[3].

---

(1) صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله.

(2) السابق.

(3) صحيح مسلم - كتاب القسامة - باب ما يباح به دم المسلم.

والحـديث يتطلب توافـر شـرطين حتـى يحل دم من يدل دينه أو غـيّـر فيـه، والشرطان يجب اجـتماعهمـا معاً، **أولهمـا: المروق من الدين بتبديله وتغيـيره، وثانيهما: مفارقة الجماعة، بأن يعادى الدولة ويدبر لوقوع الفتن والانقسامات.**

أما إذا بدل دينه بأن اعـتقد اعـتقاداً مـعيناً، وظل مسـالماً للجماعـة، فيكون له مالهم، وعليه ما عليهم، بمعنى أن يكون خاضعـاً خضوعاً تاماً لقوانين الدولة، مثله فى ذلك مثل باقى المواطنين، فهنا لا يجوز قتله[1].

وقتل المرتد فى حالة توافر الشرطين اللذين ذكرناهما، لا يتعارض مع النصوص القـرآنية التى جـاءت فى شأن المرتد بـأن عقـوبته إنما هى عـقوبة أخـروية، فهـذه النصوص خاصة بالمرتد المسالم، أما المرتد المفارق للجماعة فهو مفسد فى الأرض، وقد أمر القـرآن الكريم بقتاله، بل وبقتله، يقول الله سبـحانه وتعالى: **﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣) إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾**[2].

ويقول ابن كـثيـر فى تفسـير الآية الكريمة: المحـاربة هى المعاداة والمخـالفة وهى صادقـة على الكفر وعـلى قطع الطريق، وعن ابن عبـاس أن هذه الآية نزلت فى المشركين، فمن تاب منهم من قبل أن تقدروا عليه لم يكن عليه سبيل[3].

وبعد هذا العـرض يتضح لنا وبجلاء التـوافق التام بين السنة - عمليـة كانت أم قولية - والنصوص القرآنية فيمـا قررته من الاقتصار على العقوبة الأخروية لمن يدلّ دينه تبديلاً مـجرداً ينأى عن أى مسـاس بأمن الدولة الإسلاميـة، فلكل امرئ أن

---

(1) انظر كتابنا - الرسول والسيف - ص 105.

(2) المائدة: 33 - 34.

(3) تفسير ابن كثير للآيتين السابقتين.

يعتقد مـا يشاء ما دام هذا الاعتقاد - فى حـالة فساده - يقتصر ضـرره عليه، أما خروج المعتقد من نطاق الذاتية وظهوره بصورة تهدد وجود الدولة، فهنا يكون لزاماً القضاء على بؤرتها قبل أن تحرق نيران الفتنة الجميع.

- ثالثاً: إشكالية حروب الردة فى عهد الخليفة أبى بكر الصديق:

وبعد عرض النظريتين (القرآنية والسنية) فى شأن المرتد يكون حرى بنا أن نعرض لموقف الخليفـة الأول أبو بكر الصديق من الذين بدلـوا الدين وأرادوا الخروج على النظام الحاكم، وذلك لنرى مدى التطابق بين النظرية والتطبيق[1].

كان الوضع سـيئاً للغـاية، ويحتاج إلـى قرار سريع وحـاسم، وإلا انفلت زمام الأمور، ولاقتـلعت العاصفة الدولة الوليـدة من جذورها، فكل البقاع - تقـريباً - أحرقتها نيران الفتنة، ويصور الطبرى فى تاريخه هذا الوضع فيقول: «لما فصل أسامة كفرت الأرض وتضرمت وارتدت كل قبيلة عامة أو خاصة إلا قريشاً وثقيفاً»[2].

والأمر لم يقف عنـد هذا الحد، فقـد أرسلت هذه القبائل الـوفود إلى أبى بكر يعلنون عـصيـانهم صراحـة للسلطة الحـاكمـة؛ فكل قبـيلة من هذه القبـائل تريد الاستقلال عن الدولة الإسلامية، وتريد التخلص من أى خضوع للسلطة الفيدرالية (المركزية) فى المدينـة ممثلة فى الخليفة الشـرعى الذى تم اختيـاره، ومن أهم مظاهر الانفصال، استقلال كل قبيلة بمواردها المالية تجـمعها من حيث تشاء، تصرفها حيث تشـاء، وفى هذا يقـول الطبـرى: «أقام أبو بكر بـالمدينةبعـد وفاة رسـول الله ﷺ وتوجيهه أسامة فى جيـشه إلى حيث قُتل أبوه زيد بن حارثة من أرض الشام، وهو الموضع الذى أمره رسول الله ﷺ بالمسير إليـه... وقد جاءته وفود العرب مرتدين يقرون بالصلاة ويمنعون الزكاة فلم يقبل ذلك منهم وردهم»[3].

(1) انظر هذا الموضوع تفصيلاً فى كتابنا - الرسول والسيف من ص 106 إلى ص 115.

(2) تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبرى) أحداث السنة الثانية عشرة من الهجرة.

(3) السابق.

لم يقف الأمر عند هذا الحد، وازدادت الأوضاع سوءاً، فها هى القبائل ترجع لأحلافها القديمة، فاجتمعت طيئ وأسد وغطفان على طليحة، وكان قد ادعى النبوة زمن رسول الله ﷺ، وظهرت النزعة القبلية مرة أخرى، تلك النزعة التى لو أطلق لها العنان لتمزقت الدولة شر تمزيق[1].

وكان هناك تجمع آخر باليمامة حول مسيلمة الكذاب، وكان مسليمة قد ادعى النبوة فى حياة رسول الله ﷺ، وكان أمره وقتها ضعيفاً، وشهد رجال بن عنفوه لأهل اليمامة - كذباً وزوراً - أن رسول الله ﷺ قد أشركه فى أمره فعظم فتنته عليهم، واشتدت شوكته بعد وفاة رسول الله ﷺ، وكان مسيلمة يشرع القوانين الجديدة الخارجة عن نطاق الشريعة، غير ملتفت إلى الحكومة الشرعية بالدينة، وكان مما شرع لهم: أن من أنجب ولداً واحداً عقباً لا يأتى امرأة إلى أن يموت ذلك الابن فيطلب الولد حتى ينجيه، فكان قد حرم النساء على من له ولد ذكر، وأذاع تعديلاً فى فروض الصلاة جاء فيه: أن مسيلمة رسول الله قد وضع عنكم صلاتين مما أتاكم به محمد ﷺ؛ صلاة العشاء، وصلاة الفجر[2].

وكذلك ادعت (سجاح بنت الحارث بن سويد) النبوة بعد موت رسول الله ﷺ بالجزيرة فى بنى تغلب، فاستجاب لها أبا الهذيل، وترك التنصر، وأخذت تبرم المعاهدات مع بعض القبائل لتغزو أبا بكر بالمدينة، وكانت تقاتل من يرفض التحالف معها، وقتلت منهم الكثير، ثم وجهت نظرها إلى اليمامة لتقضى على مسيلمة ليكون لها الأمر وحدها تمهيداً لتنفيذ الأنقلاب العسكرى والإطاحة بالحكومة الشرعية برئاسة أبو بكر الصديق، وعندما حذرها جنودها من قوة مسيلمة وأهل

---

(1) انظر فى تفصيل هذا الخبر - المصدر السابق.

(2) السابق.

اليمامة، أخذت تسجع سجع الكهان فقالت: (عليكم باليمامة، ودفوا دفيف الحمامة، فإنها غزوة صرامة لا يلحقكم بعدها ملامة)[1].

وبلغ ذلك مسيلمة فهابها، فأهدى لها، ثم أرسل إليها يستأمنها على نفسه حتى يأتيها، فنزل الجنود وأذنت له وآمنته، فجاءها وقال: لنا نصف الأرض، وكان لقريش نصفها لو عدلت، وقد رد الله عليك النصف الذى ردت قريش فحباك الله به وكان لها لو قبلت[2].

ثم يذكر الطبرى قصة زواج سجاح ومسيلمة الكذاب، فيقول: «إن مسيلمة لما نزلت به سجاح أغلق الحصن دونها) فقالت له سجاح: انزل، فقال: فنحى عنك أصحابك، ففعلت، فقال مسيلمة: اضربوا لها قبة وجمروها لعلها تذكر الزواج، ففعلوا، فلما دخلت القبة نزل مسيلمة، فقال: ليقف هنا عشرة، وهاهنا عشرة، ثم دارسها فقال: ما أو حى إليك؟ فقالت: هل تكون النساء يبتدئن، ولكن أنت قل ما أوحى إليك؟ قال: ألم تر إلى ربك كيف فعل بالحبلى، أخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشى. قالت: أشهد أنك نبى، قال: هل لك أن أتزوجك، فآكل بقومى وقومك العرب؟ قالت: نعم[3].

والأخبار السابقة لم نوردها لطرافتها، ولكن ليتكشف لنا كيف كانت تحاك المؤامرات هنا وهناك، وكيف كانت تُجمع الجيوش، وكيف عُقدت الزيجات بين السفلة للقضاء على دولة الإسلام، فكل هذه الجموع اتفقت على هدف واحد وهو: قلب نظام الحكم، وهذه الرؤية كانت واضحة لرئيس الدولة (أبو بكر الصديق) فالردة إذن لم تكن مجرد ردة دينية اعتنق فيها بعض الأفراد ديناً آخر غير

(1) السابق. وانظر البداية والنهاية لابن كثير - جـ6 ص 427 وما بعدها.

(2) بتصرف من المصدر السابق.

(3) المصادر السابقة.

الإسلام؛ فحتى مسيلمة الكذاب لم ينكر نبوة محمد ﷺ، بل كان يدعى أنه أشركه معه فى الأمر، وعلى هذا فالردة كانت ردة عسكرية بحتة، تمرد على السلطة الحاكمة تمهيداً للأنفصال عن الدولة، أو اغتصاب السلطة بالقوة، وكان من أبرز مظاهر هذه الردة (السياسية) الامتناع عن توريد الموارد المالية للدولة، لذا عزم أبو بكر على مقاومة هؤلاء وقال: **والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، والذى نفس أبى بكر بيده! لو منعونى عقالاً - أو عناقاً - كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه حتى أخذها**[1].

وفى الحقيقة لم يبدأ أبو بكر بمحاربة الخارجين على السلطة حتى بدأوا هم فى الهجوم على المدينة بغية القضاء على الحكومة الشرعية، فبعدما أعلن أصحاب الأنقلاب موقفهم صراحة لأبى بكر، وأنهم لن يذعنوا لحكومته، ولن يمدوا الدولة بأية أموال، بعد كل هذا لاحظ هؤلاء قلة القوات الموالية لحكومة أبى بكر بالمدينة، وذلك لخروج جيش أسامة إلى الشام، فخططوا للقيام بالأنقلاب، وخلال ثلاثة أيام هجموا على المدينة، ويروى بن كثير الخبر عن محمد بن اسحق فيقول: «فعزم الله لأبى بكر على الحق وقال: لو منعونى عقالاً لجاهدتهم فردهم - أى وفود المرتدين - فرجعوا إلى عشائرهم فأخبروهم بقلة أهل المدينة وطمعوهم فيها، فجعل أبو بكر الحرس على أنقاب المدينة وألزم أهل المدينة بحضور المسجد وقال: إن الأرض كافرة وقد رأى وفدهم منكم قلة، وإنكم لا تدرون ليلاً يأتون أم نهاراً وأدناهم منكم على بريد (مسافة قصيرة) وقد كان القوم يؤملون أن نقبل منهم ونوادعهم، وقد أبينا عليهم، فاستعدوا وأعدوا، فما لبثوا إلا ثلاثاً حتى طوقوا المدينة غارة وخلفوا نصفهم بذى حُسى ليكونوا ردءاً لهم، وأرسل الحرس إلى أبى بكر يخبرونه بالغارة، فبعث إليهم أن الزموا أماكنكم، وخرج أبو بكر فى أهل المسجد على

---

(1) انظر المصادر السابقة، وانظر كذلك - السيرة النبوية وأخبار الخلفاء لابن حبان - ص 245.

النواضح إليهم فأنفش العدو واتبعهم المسلمون على إبلهم حتى بلغوا ذا حسى فخرج عليهم الردء، فالتفوا مع الجمع فكان الفتح»[1].

بعد أن نجح أبو بكر فى رد الاعتداء عن عاصمة الإسلام، كان عليه أن يتخذ إجراءاً وقائياً حتى لا يتكرر ما حدث؛ فقد يشن المناهضون للحكومة الشرعية هجوماً آخر، ولكن هذه المرة سيكون هجوماً عنيفاً خاصة بعد اتحاد قوات مسيلمة الكذاب باليمامة مع قوات سجاح، فهنا سيصعب رد هذا الهجوم - خاصة مع قلة القوات المتبقية بعد خروج جيش أسامة - لذا تمثل الإجراء الذى اتخذه أبو بكر الصديق فى صورة دعوة جديدة لكل من خالف، فكتب كتاباً واحداً إلى جميع القبائل الخارجة على النظام القانونى، يدعوهم فيه للعودة إلى الخضوع إلى النظام الشرعى، الذى ارتضوه وبموجبه أصبحوا مواطنين فى الدولة الإسلامية، وأن يرجعوا تحت حكم الحكومة الشرعية التى هى امتداد لحكومة رسول الله ﷺ، ولم يكن خطابه موجه إلى من لم يعتنق الإسلام أصلاً، إنما الخطاب موجه إلى من اعتنق الإسلام، وصار مواطناً ثم خرج على قانون الدولة، وعمد إلى قلب نظام الحكم، والكتاب فى مجمله كان غرضه تجديد الدعوة، وتجديد العهد مع هؤلاء الخارجين، ذلك العهد الذى قطعوه على أنفسهم فى حياة النبى ﷺ، قال أبو بكر فى دعوته الجديدة:

«بسم الله الرحمن الرحيم. من أبى بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى من بلغه كتابى هذا من عامة وخاصة، أقام على إسلامه أم رجع عنه، سلام على من اتبع الهدى، ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة، والعمى، فإنى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ولا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، نقر بما جاء به ونكفر من أبى ونجاهده، أما بعد، فإن الله تعالى

(1) البداية والنهاية - جـ6 ص 417.

أرسل محمداً بالحق من عنده إلى خلقه بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، لـينذر من كان حيـاً، ويحق القول علـى الكافرين، فهـدى الله بالحق من أجاب إليـه، وضرب رسول الله ﷺ بإذنه من أدبر عنه حتى صـار إلى الإسلام، ثم توفي الله. . . وقال للمؤمنين: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: 144]. **فمن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان إنما يعبد الله وحده لا شريك له فإن الله له بالمرصاد، حي قيوم لا يموت، ولا تأخذه سنة ولا نوم، حافظ لأمـره. . . وإنى بعثت إليكم فلاناً فى جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان وأمرته ألا يقاتل أحداً، ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الله، فمن استجاب له، وأقر وكف وعمل صالحاً قُبل منه، وأعانه عليه، ومن أبى أمرت أن يقاتله على ذلك»**[1].

ومن استقراء الأحـداث التاريخية - فى شأن ما يسـمى بحروب الردة - وكتاب أبى بكر الصديق لأمـرائه ولمانعى الزكاة يتضح لنا بجـلاء أن هذه الحروب لم تكن ضد أناس رجـعوا عن الإسلام إلى دين آخـر ارتضوه لأنفسـهم، حتى مسـيلمة الكذاب، وسجاح لم تكن لديهم عقيدة راسخـة لدعوة جديدة اعتنقوها، أو مبادئ آمنوا بصحـتها، ولكن جل همـهم كان يكمن فى السيطرة على العـرب، وتقاسم الحكم، وكانت وسـيلتهـما إلى ذلك ادعاء النـبوة، على اعتـقاد منهمـا أنهمـا قد ينجحان فى تأسيس دولة جـديدة، فمقاومة أبى بكر كانت مقـاومة لمسلمين خرجوا على النظام القانونى - الذى جاء به القرآن - بامتناعهم عن سداد الضرائب المستحقة عليهم (الزكاة) التـى تعتبر المصدر الرئيـسى لموارد الدولة المالية، ورغم كل ذلك لم يبدأ أبو بكر الصـديق فى المقاومة المسلحة إلا بعـد هجومهم على عاصـمة الدولة

(1) باختصار من تاريخ الطبرى - أحداث السنة الحادية عشرة من الهجرة.

الإسلامـية، على اعـتقـاد منهم أن الظروف مهـيأة لغـزوها والقضـاء على النظام الحاكم، فكان لزاماً على أبى بكر أن يشن حربين، أولتهـما دفاعية لدرء الخطر عن العاصمة التى لو سقطت فى أيديهم لسقطت الدولة بأسرها، وثانيتهما وقائية لمنع أى جيش - وخاصة جيوش اليمامة بقيادة مسيلمة الكذاب - من جيوش المتحالفين من الوصول إلى المدينـة؛ وذلك لأن جيوش التـحالف ستكون من الـقوة مما قد يتـعذر مقاومتـها لو وصلت إلى حدود المدينة، وتلك الحرب الوقائية لم تعـتمد على القوة العسكـرية بقدر ما كـانت حرب نفـسيـة، ويظهر هذا فى كـتاب أبى بكر للقـبائل المتمـردة، فهو يذكرهم بعـهدهم لرسول الله ﷺ، ذلك العهـد الذى قطعوه على أنفسهم، وخضعوا بموجبه للنظام القانونى للدولة الإسلامية، بكل ما يكفله لهم من حقوق، وما يـحملهم به من التزامات، فرجع أكثـرهم إلى جادة الصواب، وأبت الأقلية، فمن ثم كان إجبارهم - باعتبارهم مواطنين - على الخضوع للنظام القانونى للدولة، لمنع الفتن، وحتى يستقيم أمر الدولة، فكان له ما أراد.

وعلى ذلك لم يخرج الخليـفة الأول أبو بكر الصديق عن القواعـد الدولية التى قررها النظام القـرآنى، وأهم هذه القواعد: أنـه لا إكراه فى الدين، والدين آنذاك هو النظام القـانونى للدولة الإسلامـية، ثم أنه جـادلهم بالتى هى أحسن، وأخـيراً كانت حربه دفاعية - على نحو ما أسلفنا - وكانت بالقدر الكافى لرد الاعتداء، ولو كان هـؤلاء المرتدين - إن جاز التـعبـير - كـانوا قد ارتدوا عن الدين الإسـلامى فحـسب، لم يكن ثمة مقـاومة لأبى بكر لهم، ولكنهم خـرجوا عن الدين - وهو النظام القانونى - وزعـزعوا أركان الدولة، لذا تحـقق فى شأنهم الشرطان الموجـبان للمقاومة باستـعمال القوة، وهما - كما ذكرنا سلفـاً - المروق عن الدين، ومفارقة الجماعة، لذا لم نقرأ فى كتب التاريخ أن أبا بكر أمر بقتل شخص فرد لمجرد تبديل دينه، لأنه على يقين تام بأن تبـديل الدين الإسلامى بصـورة مجردة إنما هو عـقابه آخروى محض.

وعلى ذلك، فلا غـرابة أن يقتل خالد بـن الوليد - قائد الجـيش الإسلامى فى الحرب الوقائيـة - لا غرابة أن يقتل عشرين ألـف من جيوش التحالف فى اليـمامة بقيادة مسيلمة الكذاب، ذلك التحالف الذى كـان جل همه الاستيلاء على عاصمة الدولة الإسلامية وحكم العرب، فهو تحـالف بعيد كل البعد عن اعتناق أى مذهب أو أى دين إلا حب السلطة، وهوس المـلك. وفى هذا الرد مـا يكفى لرد شـبهـة القمص زكريا بطرس الخاص بهذه الجزئية، أعنى جـزئية حروب الردة وقتال جيوش اليمامة.

- رابعاً: حكم المرتد فى الكتاب المقدس:

1 - موقف القمص من الكتاب المقدس:

رأينا عند عرض الشبـهة كيف أن القمص زكريا بطرس يفرق بين الـعهد القديم والعهـد الجديد، فيبـدو أنه إيمانه بالأول - إذا كان يؤمن به - أقل بكثيـر من درجة إيمانه بالثانى، فقـد قال بالحرف الواحد: «**نلاحظ أن انتقادات أحـمد ديدات كلها من العهد القديم، وليست من العهد الجديد، والعهد القديم أنزل على اليهود، ثم أكمله المسـيح بشريعة الكمـال**» **ونراه يقول فى مـوضع آخر:** «**اللاويين ليس من الإنجيل ولـكنه من العهـد القديم**»[1]، ويقول فى مـوضع ثالث عند حـديثه عن تحـريف الكتاب المقـدس: «**أتحـدى أن يقول أحـد أن النصارى حـرفوا الكتـاب المقدس، فـكل الآيات تقول أن اليـهود هم الذين حـرفوا**»[2]، وفى موضع رابع يقول القمص زكريا بطرس: «**وفى القرآن، الإنجيل لم يوجه له كلمة نقد واحدة، فالحديث كان عن التوراة**»[3].

---

(1) حلقة: 88.

(2) حلقة: 16.

(3) حلقة: 29.

نسأل القمص زكريا بطرس، إذا كنت لا تؤمن بالعهد القديم، فلماذا تدافع عنه؟! وإذا كنت لا تؤمن به فهل كل المسيحيين لا يؤمنون به مثلك؟! وإذا كان الوضع كذلك، فلما ينضم العهدان القديم والجديد ليكونا معاً الكتاب المقدس؟!

يبدو أن القمص زكريا بطرس متناقض، أو ينسى ما يقول، أو أن ما يقوله ليس مبنى على عقيدة راسخة غير مشوشة، فقد سبق وأن قال بالحرف الواحد: **«الكتاب المقدس كلمة الله للبشر، وينقسم إلى قسمين العهد القديم التوراة والزبور والأنبياء، والعهد الجديد فيه البشائر الأربعة، ورسائل وسفر الرسل، والعهد القديم يؤمن به اليهود، ونؤمن به لأنه تمهيد لمجئ المسيح؛ لذا انضم الأثنين، والكتاب المقدس موحى به من الله»**(1).

إذا كان الوضع هكذا، فلماذا يدافع القمص عن العهد القديم بفتور؟ وطالما أن الكتاب المقدس موحى به من الله - على حد تعبير القمص - فلماذا كلما ضاقت به السبل يقول: هذا الحكم فى العهد القديم ولا يوجد فى المسيحية؟! أسئلة تحتاج إلى إجابة.

2 - نصوص أحكام الردة فى الكتاب المقدس:

رأينا عند عرض الشبهة كيف أن سفر التثنية يقول بقتل المرتد، وقد دافع القمص عن هذا النص قائلاً: أما الاستتابة، فموجودة فى سفر حزقيال إصحاح 33 عدد 14: **«فإن رجع عن خطيئة فإن حياة يحيا ولا يموت»**.

والقمص اقتلع هذا النص من السياق ليوحى أنه جاء فى شأن المرتد، وفى حقيقة الأمر - وبقراءة باقى السياق - نجد أن النص جاء فى شأن الشرير المغتصب، ولنذكر باقى السياق: **«فإذا قلت للشرير موتاً تموت فإن رجع عن خطيته وعمل**

(1) حلقة: 15.

بالعـدل والحق. إن رد الشرير الرهن وعـوّض عن المغْـتَصَب وسلك فى فـرائض الحياة بلا عمل إثم فإنه حياة يحيا ولا يموت»(1).

أما عن النصوص التى تدعو إلى قتل المرتد - فى الكتاب المقدس - فهى كثيرة، نذكر منها:

1 - فى سفر الخروج إصحاح 22 عدد 20: **«من ذبح لآلهة غير الرب يُهْلَك»**.

2 - فى سفـر الخروج 32: 26 - 28 أنه أمر مـوسى عليه السـلام بحكم الله لبنى لاوى أن يقتلوا عبدة العجل، فقتلوا ثلاثة آلاف رجل، يقول النص: **«وقف موسى فى باب المحلة وقـال: من للرب فإلى، فاجـتمع إليه جـميع بنى لاوى، فقـال لهم. هكذا قال الرب إله إسرائيل ضـعوا كل واحد سيـفه على فخذه ومروا وارجـعوا من باب إلى باب فى المحلة واقتلوا كل واحد أخاه، وكل واحد صـاحبه، وكل واحد قريبه. فـفعل بنى لاوى بحسب قول موسى، ووقع من الشعب فى ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل»**.

3 - وفى سفر العدد 32: 5 - 36 أُخذ رجلاً كان يجمع حطـباً يوم السبت، فأمر موسى - عليه السلام - برجمه، فـرجمه بنو إسرائيل، يقول النص: **«ولما كان بنو إسرائيل فـى البرية وجدوا رجلاً يحتطب حطبـاً فى يوم السبت. فقـدمه الذين وجدوه يحتطب حـطباً إلى موسى وهارون وكل الجمـاعة، فوضعوه فى المحرس لأنه لم يُعلن ماذا يُـفعل به. فقال الرب لموسى قتلاً يقتل الرجل. يرجـمه بحجارة كل الجـماعة خارج المحلة. فـأخرجه كل الجماعة إلى خارج المحلة ورجموه بحجارة فمات كما أمر الرب موسى»**.

4 - وفى سفر التـثنية 13: 1 - 5 أمر بقتل الأنبـياء الكذبة، يقول النص: **«إذا قام وسطك نبى أو حالم حلماً وأعطاك آية أو أعـجوبة. ولو حدثت الآية أو**

(1) سفر حزقيال 33: 14 - 15.

الأعجـوبة التى كلمك عنهـا قائلاً لنذهب وراء آلـهة أخرى لـم تعرفـها ونعبـدها، فلا تسمع لكلام ذلك النـبى أو الحالم ذلك الحلم؛ لأن الرب إلهكم يمتـحنكم لكى يعلم هل تحبـون الرب إلهكم من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم. وراء الرب إلهكم تسيرون وإياه تتـقون، ووصاياه تحفظون، وصوته تسـمعون، وإياه تعبـدون، وبه تلتصقـون، وذلك النبى أو الحالم ذلك الحلم يُقـتل لأنه تكلم بالزيغ من وراء الرب إلهكم الذى أخـرجكم من أرض مصر».

5 - وكذلك فى سفر التثنية 13 :12 - 16 أمر بالإبادة الجماعـية لكل مدينة ارتد أهلهـا، وتحرق المدينة، فتُـمحى من الوجـود مـحواً، يقـول النص: **«إن سمعت عن إحـدى مدنك التى يعطيك الرب إلهك لتسكن فيهـا قولاً قد خرج أناس بنو لئـيم من وسطك وطوحوا سكان مدينتـهم قائلين لنذهب ونعبد آلهة أخرى لم تعرفوها. وفحصت وفتشت وسألت جيداً وإذا الأمر صحيح وأكيد قد عـمل ذلك الرجس فى وسطك. فضرباً تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف، وتحرمها بكل ما فـيها مع بهائمها بحد السيف. تجمع كل أمتـعتها إلى وسط ساحتـها، وتحرق بالنار المدينة وكل أمتعـتها كاملة للرب إلهك فتكون كلاً إلى الأبد لا تبنى بعد».**

وبعد عرض نصـوص الكتاب المقدس فى شأن المرتد، نجد أنهـا نصوص تدعو إلى قتل كل من بدّل دينه تبديلاً مجـرداً، حتى لو لم يلجأ إلى زرع بذور الفتنة أو استـعمال القوة، قـتل كل من بدّل دينه تبديلاً مجـرداً فرداً كان أو جمـاعة، إبادة جماعـية وحرق ورجم، فأين هذا من سماحـة القرآن الكريم والإسلام، الذى لم يقرر إلا عـقوبة أخروية على الـردة المجردة من أية أفعـال؟ أين ذلك من الإسلام الذى دعا إلى حرية العقيـدة وأنه لا إكراه فى الدين؟ وأسأل القمص بعد كل هذا،

لماذا تعترض على قتال أبى بكر الصديق لأهل اليمامة الذين كان جل همهم هو الاستيلاء على السلطة وإقصاء الحكومة الشرعية؟ لماذا يعترض على هذا ولم يعترض على أمر الكتاب المقدس بقتل كل من يدل دينه، ومحو كل مدينة ارتد أهلها من على وجه الأرض؛ بدون استتابة أو الدعوة إلى المعروف؟

نقول للقمص، إذا كنت لا تؤمن بالعهد القديم، وتؤمن بأن المسيحية لا تقول بهذه الأحكام، إذا كان الأمر كذلك لا تدافع عنه - أى العهد القديم - ياجناب القمص، أما إذا كنت تؤمن به، فقدم لنا الردود - إذا كان هناك رد.

* * * *



الفصل الحادي عشر
طبيعة المسيح وصلبه وخطة الفداء

عرض الشبهات:

فى معرض الحديث عن صلب المسيح - عليه السلام -[1] يطرح مقدم البرنامج على القمص السؤال التالى:

تقولون أن المسيح صُلب، ولكننا نقول - يعنى المسلمون - أنه شُبه لهم، وحاشا لله أن يلصب نبيه، فما رأيك فى هذا الكلام؟

القمص: أنا أريد أن أفهم لماذا ينكر الدين الإسلامى صلب المسيح؟ فما رأى أصحاب هذا الفكر فيما قاله القرآن أن الله يرسل النبيين: **﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾**[2] و**﴿وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾**[3] وأنت تقول أن المسيح نبى، ولا يوجد آية صريحة فى أن المسيح لم يصلب **﴿وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾**[4]، ماذا تعنى؟ شبه لهم أنهم قتلوه؟ أم شبه لهم شخص آخر؟ فلا يوجد نص قاطع وكلها تأويلات.

ونحن نتمسك بأن المسيح صُلب لأن هذا الهدف الأسمى من نزول المسيح، وهو الخلاص، وخلاص البشرية؛ لأن الإنسان لما أخطأ حُكم عليه بالموت، والله فى محبته وضع خطة الفداء، حتى يأتى فادى يحمل خطية الإنسان، ويموت بدلاً منه.

وفى موضع آخر[5] يقول القمص:

الطريقة الثانية التى مهد بها الله لخطة الفداء هى ما يعرف باسم «الرموز» أى الإشارة إلى خطة الفداء، وإلى عملية الفداء، وإلى الصليب المسيح، **وأول رمز** هو

(1) حلقة: 23. (2) البقرة: 87.
(3) آل عمران: 112. (4) النساء: 157.
(5) حلقة99.

أنه عندما أراد الله أن يغطى عُـرى آدم وحواء صنع لهم أقمـصة من جلد، وهذه الذبيحة رمز إلى ذبيحة المسيح الذى غطانا بره من عرى الخطية.

والرمز الثانى: هو فداء إبراهيم، الرب قـال فى سفر التكوين أصحاح 22 عدد 1 - 23 باختـصار: **«خذ ابنك وحـيدك الذى تحبـه اسحق واذهب إلى أرض المريا وأصعده هـناك محرقه.. وذهب إلى الموضع الذى قـال له الله.. ثم مد إبراهيم يده ليـذبح ابنه.. فناداه مـلاك الرب.. فقـال: لا تمد يدك إلى الغـلام.. رفع إبراهيم عـينيه ونظر وإذا كـبش وراءه.. فذهب إبراهيم وأخـذ الكبش وأصـعده محرقة عوضاً عن أبنه»** فهنا الفداء «عوضاً عن»، فالله قال يُذبح يعنى يُذبح، وقد حُلَّت المسـألة بالفـادى، ووردت القصـة فى القرآن فـى سورة الصـافـات آية 107: ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ والعظيم اسم من اسماء الله الحسنى، فكيف يكون خروف وكبش ويكون ذبح عظيم؟! إذن **هذه رمزية إلى شخص المسيح**.

مقدم البرنامج: إذن الذبح العظيم هو المسيح؟

القمص: نعم، وهناك أيضاً إتفـاق عربى إسلامى عن فـداء عبد الله بن عـبد المطلب وهو أبو محـمد، فقـد فداه عبد المطلـب بمائة من الإبل، إذن فكرة الفداء موجودة.

هناك أيضاً ذبائح الفداء للتكفير، جاء فى التوارة سفر اللاويين أصحاح 17: عدد 5 - 9 « **إن أخطأ أحد.. فيأتى بكبش صحيح من الغنم فيكفر عنه فيُصفح عنه»** [1].

مقدم البرنامج: هذا يشبه عيد الأضحى.

(1) هذا النص لا وجود له فى الأصحاح 17 من سفر التكوين، ويبدو أن القمص لا يعلم كـتابه المقدس، كما يجب، والنص فى الأصحاح السادس: «ويأتى إلى الرب بذبيـحة لأثمه كبشاً صحيـحاً من الغنم بتقويمك ذبيحة إثم إلى الكاهن فيكفر عنه الكاهن أمام الرب فيُصفح عنه فى الشىء من كل ما فعله مذنباً له».

القمص: هذا بالضبط، فهى على غرار مذابح اليهود لأن اليهود كانوا منتشرين بالجزيرة العـربية وأخـذوا منهم هذه الفكرة، وروى مسلم عن أنس قـال: ضحى النبى بكبشين أملحـين أقرنين ذبحهما بيده، وفى كتـاب إحياء علوم الدين أن ذبح الهدى تقرب لله تعـالى.. وكلما كان الهدى أكبـر كان فداءك من النار أعم، أليس هذا هو الفداء؟!

- **مقدم البرنامج:** لكن هل الخروف يحمى من النار؟!

- **القمص:** برافو، هل الخـروف يحمى من النار؟! لا، هل الفـادى يمكن أن يكون خروف؟ : لا، لأنـه يشترط فى الفـادى شروط، فـفى القديم كـان الخروف رمز، لكن ليس هو الحقيقة.

- **مقدم البرنامج:** فما هى شروط الفادى؟

- **القمص:** هناك ثلاثة شروط أساسية وجوهرية:

أولاً: أن يكون الفادى من جنس المفدى، فهل الخروف من جنس الإنسان حتى يفديه؟! وهل يقبل أحد أن يُـقال بعدما يعمل أضحيـة بخروف فداء، هل يقبل أن يقول له أحد أهلاً وسهلاً ياخروف؟![1] ولهذا جاء المسيح بشراً سوياً يأكل ويشرب كبقية الناس، لأنه سيصير هو الذبيح المطلوب على الصليب.

الشرط الثانى: لابد أن يكون الإنسان الذى سيفدى طاهراً وإلا يموت بدم نفسه وبخطية نفسه، لذلك كان المسيح طاهراً ممسوحاً من الأوزار.

الشرط الثالث: أهم ما فى الموضوع هو أن تكون قيمته غير محددة، وهو أهم الشروط؛ فالخطأ يقاس حجمه ومقداره بحجم الإنسان المُساء إليه؛ فالخطأ ضد غفير ليس كالخطأ ضد وزير أو ضـد رئيس جمهورية، فما بالك بالإسـاءة ضد الله غير

---

(1) الكلام فى منتهى الغرابة، والسفسطة فيه واضحة للعيان.

المحدود، حجمها غير محدود، فالخطأ غـير المحدود يستلزم عقوبة غير محدودة، **لا يوجد إلهين ولا ثلاثة**، فهو إله واحد غير محدود.

ويضيف القـمص: الخطية مشكـلة، والخطية تستلزم عـقوبة، **والخطية عند الله موت**، فكيف يفدى من الموت **«الموت الروحى»**، لابد أن يكون إنسان مـثلى يعيد لى الخلقة الأولى، ولازم يكون طاهر ليس مُدان، ولازم تكون قيمـته تساوى البشر كله، إذن لا يوجد غير الله أن يـتجلى ويظهر فى صورة إنسان ليعطيـه هذه القيمة العظمى، والمشكـلة ليسـت فى صعـوبة هذا الكلام، المشـكلة إنهم لا يريدون أن يفهموه، فالمسلمين رافضين هذا الكلام ويُجمل القمص ما فصله فى مجموعة من المقدمات فيقول[1]:

1 - **الخطأ فى حق الله.**

2 - **الله غير محدود.**

3 - **يستلزم عقوبة غير محدودة.**

4 - **ويستوجب فداء غير محدود.**

5 - **ليس غير المحدود الله.**

6 - **فلابد أن يكفر الله عن خطايانا.**

7 - **وفى مزمور 3:65 «معـاصبنا أنت تكفـر عنها» وفى سـورة المائدة آية 12: ﴿ لَأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ فالله يُكفِّر بنفسه.**

ومن هنا والكلام للقمص - نحن نؤمن أن المسيح جاء ليـتحمل عقوبة خطايانا، ويكسينا بثوب بره، هكذا أحب الله العالم **حتى بذل ابنه الوحيد** لكى لا يهلك كل من يؤمن به، بل يكون له الحياة الأبدية.

وعن علاقة الفداء بالخلاص يقول القمص[2]:

الفداء يعنى إن واحـد يموت بدل الثانى، لأن الـثانى لو مات سـيهلك فى النار الأبدية بخطيئـته، فالفـادى يخلصه من الموت فى الأبدية، **فالإنسان لا يذهب إلى**

---

(1) حلقتى: 23 ,99.

(2) حلقة 23.

جهنم لأنه واثق أن المسيح مات بداله. والمسيح هو المخلِّص لأن يُخلِّص الناس من خطاياهم.

وفى موضع آخر[1] يقول: **القرآن لم يقدم وسيلة خلاص للبشر، فالقرآن أعطى أوامر ونواهى، ولم يرسم طريقة للخلاص من الخطية، أما الكتاب المقدس فقد قدم طريقة الخلاص.**

وعن طبيعة السيد المسيح يسأله مقدم البرنامج: هناك سؤال، تقولون أنتم المسيحيون أن المسيح ابن الله، أو أنه الله، فكيف يعقل هذا؟[2].

- **القمص**: المفروض أن تعرف أن المسيح له طبيعتين، طبيعة جسدية مثل باقى البشر لكن بدون خطيئة، والطبيعة الجسدية أخذها من العذراء مريم وهو ابنها، وطبيعة أخرى لاهوتية؛ فالله ظهر فى هذا الجسد، ويعترض المعترضون: كيف ظهر الله فى المادة؟ هذا ليس بغريب على قدرة الله وإمكانياته، وهذا لا يتعارض مع العقل بدليل أن فى القرآن سورة الأعراف يقول: **﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾**[3] فيه إذن إمكانية تجلى الله **للجبل**.. **فى الجبل**، لكنه تجلى، وكانت النتيجة أن الجبل اندك وموسى صُعِق، فكيف يُصعق موسى إن لم يكن يراه؟! والمفسرين كلهم بيحملوا على أن الله تجلى **على الجبل**، وشىء آخر مادى وهو تجلى الله لموسى من وراء حجاب، والحجاب كان الشجرة، يقول فى سورة القصص آية 30: **﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾** إذن، إذا كان الله يتجلى فى حجر، ويتجلى فى شجر، أفيعتبر كفراً إذا قلنا أنه يتجلى فى بشر؟! والبشر أرقى من الحجر والشجر.

---

(1) حلقة 99.

(2) حلقة 33.

(3) آية 143.

ويضيف القمص: وفى شىء مهم، لماذا نسميه الله ونسميه ابن الله؟ ابن الله يعنى الخارج من الله بالمعنى المجازى وليس بالمعنى الحرفى، لأنه يعنى التزاوج وحاشا لله، لكنه ابنه لأنه خرج منه، فالمسيح ابن الله لأنه خارج من الله.

ونسميه الله للطبيعة الإلهية التى فيه إذن يكون إله، وبالطبيعة الجسدية يكون ابن إنسان، وليس فى هذا مشكلة.

- الرد على الشبهات:

أولاً: صلب المسيح عليه السلام - فى القرآن:

رأينا كيف أن القمص زكريا بطرس حاول أن يشكك فى النص القرآنى القاطع فى عدم صلب المسيح - عليه السلام، وذلك بأن أورد جزء من السياق ولم يورد كل السياق، وذلك بأن أورد قوله تعالى: ﴿**وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ**﴾[1] لذا نجد أنه لزاماً علينا أن نعرض النص كاملاً، يقول جل شأنه: ﴿ **وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا**﴾[2].

والنص الذى حاول القمص التشكيك فيه بقوله: ماذا تعنى شبه لهم؟ أنهم قتلوه؟ أم شبه لهم شخص آخر؟ نقول: إن النص قاطع الدلالة على أن المسيح - عليه السلام - لم يُقتل ولم يُصلب: ﴿**وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ**﴾ والضمائر فى الآية عائدة على المسيح - عليه السلام -، وهذا واضح لامراء فيه ولا يحتاج لأية تأويلات كما ادعى القمص: ﴿ **وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا**﴾ فأى تأكيد على عدم صلب المسيح بعد هذا الوضوح، ولا يهمنا بعد ذلك من الذى وقع عليه الشبه؛ لأن هذا من التفصيلات التى لا تضيف جديد إلى الموضوع، ولكن ما هو مصير المسيح - عليه السلام - إذا كان لم يُصلب ولم يُقتل؟ يقول الله تعالى فى الآية التالية: ﴿**بَل**

(2،1) النساء: 157.

رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾[1] وعلى هذا، فإن موقف القرآن من مسألة صلب المسيح - عليه السلام - واضح لا مراء فيه؛ لذا يُنكر المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها القول بصلب المسيح، فهل عرف القمص الآن لماذا يرفض المسلمون القول بصلب المسيح؟

ثانياً: صلب المسيح - عليه السلام - فى الكتاب المقدس:

يعتبر المسيحيون أن العهد القديم ما هو إلا تمهيد لمجىء المسيح، وفى هذا الصدد يقول القمص زكريا بطرس: **الكتاب المقدس كلمة الله للبشر، وينقسم إلى قسمين، العهد القديم وهو التوارة والزبور (المزامير) والأنبياء، والقسم الثانى: العهد الجديد وفيه البشائر (الأناجيل) الأربعة، والعهد القديم يؤمن به اليهود ونؤمن به (يعنى المسيحيون) لأنه تمهيد لمجىء المسيح، لذا نضم الإثنين**[2].

ومن جانبنا سنساير هذه الوجهة من النظر لنرى هل ستسعف نصوص العهد القديم القمص زكريا بطرس فى مسألة صلب المسيح أم لا؟

فما هى نبوءة بنجاة المسيح فى العهد القديم:

جاء فى المزمور الحادى والتسعين: «الساكن فى ستر العَلىّ يبيت. أقول للرب ملجئى وحصنى إلهى فأتكل عليه. لأنه يُنَجِّيك من فخ الصياد ومن الوباء الخطر. بخوافيه يظللك وتحت أجنحته تحتمى تُرس ومجن حقه لا تخشى من خوف الليل ولا من سهم يطير فى النهار ولا من وباء يسلك فى الدجى. ولا من هلاك يُفسد فى الظهيرة . يَسقُط من جانبك الف. وربوات عن يمينك إليك لا يقرب. إنما بعينك تنظر وترى مُجازاة الأشرار.

لأنك قلت: أنت يارب ملجئى. جعلت العَلىّ مسكنك لا يلاقيك شر ولا تدنو ضربة من خيمتك . لأنه يوصى ملائكته بك لكى يحفظوك فى كل طرقك.

---

(1) النساء: 158.

(2) الحلقة 15.

على الأيدى يحمونك لئلا تصدم بحـجر رجلك. على الأسد والصل تطأ الشبل والثعبان تدوس. لأنه تعلق بى أنجِّيه. ارفعه لأنه عرف أسمى. يدعونى فأستجب له. معه أنا فى الضيق أنقذه وأمجده. من طول الأيام أشبعه وأريه خلاصى».

وعبارات الـنص نبؤة واضحة فى أن المسـيح لن يُقتل ولن يصيـبه ضرر: **«لأنه ينجيك من فخ الصياد»** و **«لا تدنو ضربة من خيمتك»** وإذا كان الله يحميه حتى من مجرد الاصطدام بحجر **«لئلا تصطدم بحجر رجلك»** وأخيراً سيرفعه الله إليه فلا يُصلب **«أرفعه لأنه عرف أسمى»** وهذا النص يتفق مع ما جاء به النص القرآنى فى شأن صلب المسيح.

اختلاف الروايات حول أحداث الصلب:

أما بخصوص الروايات التى جاءت بالأناجـيل الأربعة والتى روت أحداث قصة الصلب، هذه الروايات أصابها كثيـر من الاضطراب والاختلاف مما يجعلنا لا نجزم بصحتها.

1 - **فهناك اختلاف فى الأناجيل بالنسبـة للشخص الذى سيُسلم المسيح**، جاء فى إنجيل مرقس 14 :17 - 21 : **«ولما كان المساء جاء مع الأثنى عشر. وفيما هم متكئـون يأكلون قال يسوع: الحق أقول لـكم إن واحداً منكم يسلمنى الآكل معى. فابتـدأوا يحزنون ويقولون له واحداً فـواحداً هل أنا. وآخر هل أنا فأجاب وقـال لهم: هو واحد من الأثنى عشر الذى يـغمس معى فى الصَّحْفة».**

وفى إنجـيل يوحنا 13 :26: **«أجـاب يسـوع هو ذاك الذى أغـمس أنا اللقـمـة وأعطيه، فغمس اللقمة وأعطاها ليهوذا سمعان الإسخريوطى».**

ويفهم من النص الأول أن من سيسلم المسيح غمس اللقمة فى الصحفة بنفسه، ويفهم مـن النص الثانى أن المسـيح هو الذى غمس اللقـمة وأعطاها ليـهوذا، وهو اختلاف واضح.

2 - **هناك اختـلاف بالنسبة لوقت دخول الشـيطان فى يهوذا**، ففى إنجيل لوقا إصحاح 22 :3 - 6: **«فدخل لشـيطان فى يهوذا الذى يُدعى الإسـخريوطى وهو من جملة الاثنـى عشر. . . وجـاء يوم الفطير. . .»** ثم يأتى ميـعاد العشاء.

أما فى إنجـيل يوحنا 13 :26 - 27: **«فـغمس اللقـمة وأعطاها ليـهوذا سـمعـان الإسخريوطى. فبعد اللقمة دخله الشيطان»**.

فيفـهم من النص الأول أن الشيطان دخل يهوذا قبل العـشاء، ويفهم من النص الثانى أنه دخله أثناء العشاء.

3 .- **اختلاف بالنسـبة للأشخاص الذين استـهزأوا بالمسيح** وألبسوه اللباس، وتاج الشوك، جاد فى إنجيل متى 27 :27 - 31: **«فأخذ عسكر الوالى يسوع إلى دار الولاية وجمـعوا عليه كل الكتـيبة فـعرّوه وألبسوه رداءً قـرمزياً. وضفروا إكليلاً مـن شوك ووضعوه على رأسه وقصبـة فى يمينه. وكانوا يجثون قدامه ويستهزئون به قائلين السلام ياملك اليهود. .»** ونفس الرواية تقريـباً فى إنجيـل مرقس 15 :16 أمـا فى إنجيل لوقـا 23 :24 - 25: **«فحكم بيلاطس أن تكون طلبـتهم فأطلق لهم الذى طرح فى السـجن لأجل فتنة وقتل الذى طلبوه وأسلم يسوع لمشيئتهم»**.

وفى إنجـيل يوحنا 19 :15 - 16: **« قال لـهم بيلاطس أأصلب ملككم . أجـاب رؤساء الكهنة ليس لنا ملك إلا قيصر فحينئذ أسلمه إليهم ليُصلب. فأخذوا يسوع ومضوا به»**.

وعلى ذلك يفهـم من إنجيل متى أن عـسكر بيلاطس هم الذين أخـذوا المسيح عيـسى ابن مريم - عليـه السلام - وخـرجوا به وفعـلوا به ما فعلوا، ويـفهم من إنجيلـى لوقا ويوحنا أن اليـهود هم الذين أخـذوا المسيح، ولم يتـعرض أى منهـما للاستهزاء الواقع على المسيح والمذكور فى إنجيلى متى ومرقس.

4 - ويوجد اختلاف فى **كيفية القبض على عيسى**، ففى إنجيل متى 26 :47 - 50 :
«وفيما هو يتكلم إذا يهوذا واحد من الأثنى عشر قد جاء ومعه جمع كثير بسيوف.. والذى أسلمه أعطاهم علامة قائلاً: الذى أقبله هو هو امسكوه فللوقت تقدم إلى يسوع وقال: السلام ياسيدى وقبّله... حينئذ تقدموا وألقوا الأيادى على يسوع وأمسكوه».

أما الرواية فى إنجيل يوحنا 18 :3 - 8 : **«فأخذ يهوذا الجند وخداماً من عند رؤساء الكهنة والفريسيين وجاء إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح. فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتى عليه وقال: من تطلبون. أجابوه يسوع الناصرى قال لهم يسوع: أنا هو وكان يهوذا مُسلّمه أيضاً واقفاً معهم. فلما قال لهم إنى أنا هو رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض. فسألهم أيضاً من تطلبون فقالوا: يسوع الناصرى. أجاب يسوع: قد قلت لكم إنى أنا هو . فإن كنتم تطلبوننى فدعوا هؤلاء يذهبون».**

ففى إنجيل متى نجد أن هناك إشارة بين يهوذا واليهود وهى القبض على من يُقَبِلَه، أما فى إنجيل يوحنا فلا توجد إشارة لهذه الواقعة، كما ذكر أن المسيح هو الذى أخبره عن نفسه.

5 - وهناك **اختلاف فى الطريقة التى حُمِلَ بها الصليب**، ففى إنجيل متى 27 :32 **«وفيما هم خارجون وجدوا إنساناً قيروانياً أسمه سمعان فسخروه ليحمل صليبه»** وكذلك فى إنجيل لوقا 23 :26 **«ولما مضوا به أمسكوا سمعان رجلاً قيروانياً كان آتياً من الحقل ووضعوا عليه الصليب ليحمله خلف يسوع»** ونفس الوضع فى مرقس 15 :21 **«فسخروا رجلاً مجتازاً كان آتياً من الحقل وهو سمعان القيروانى أبو الكسندرس وروفس ليحمل صليبه».**

أما فى إنجيل يوحنا 19 :16 - 17 **«فأخذوا يسوع ومضـوا به. فخرج وهو حامل صليبه إلى الموضع الذى يقال له الجُمْجُمة ويقال له بالعبرانية جلجثة»**.

ففى النصوص الثلاثة الأولى نجد أن من حمـل الصليب هو سمعان القيروانى، أما فى النص الرابع فى إنجيل يوحنا فإن المسيح هو الذى حمل الصليب ولم يُذكر أن سمعان حمله، سواء حمله مع يسوع أم بمفرده.

6 - هل شرب المسيح خمراً أم خلاً؟!

جاء فى إنجيل مرقس 15 :23 - 24 **«وأعطوه خمراً ممزوجة بمرٍ ليشرب فلم يقبل. ولما صلبوه..»**.

وفى يوحنا 19 :23 - 30 **«ثم إن العسكر لما كانوا قـد صلبوا يسوع.... بعد هذا رأى يسوع أن كل شىء قـد كمل فلكى يتم الكتـاب قال أنا عطشـان. وكان إناء موضوعاً مملوءاً خلا. فملأوا إسفنجة من الخل ووضعوها على زوفا وقدموها إلى فمه. فلما أخذ يسوع الخل قال: قد أُكمِل»**.

وفى لوقا 23 :33 - 37 **«ولما مضوا إلى الموضع الذى يدعى جمجمة صلبوه.... والجند أيضاً استهزأوا به وهم يأتون ويقـدمون له خلاً. قائلين إن كنت أنت ملك اليهود فخلص نفسك»**.

وفى إنجيل متى 27 :34 - 35 **«أعطوه خلاً ممزوجاً بمرارة لـيشرب ولما ذاق لم يُرد أن يشرب. ولما صلبوه اقتسموا ثيابه...»**.

والنصوص السابقة مليئة بالاختلافات:

فالنص فى إنجـيل مرقس أنهم أعطوه (المسـيح) خمراً، أمـا فى باقى النصوص أعطوه خلاً.

وفى يوحنا ولوقا ومـتى يوجد اختـلاف فى الوقت الذى أُعطى فيـه الخل، ففى الأول كان بعد الصلب وكذلك فى الثانى، أما فى متى فكان قبل الصلب.

وهل شرب المسيح أم لا؟ فى مرقس كانت خمراً ولم يشرب، وفى يوحنا كان خلاً وأخذ الخل أى شربه، وفى لوقا لم يشرب، وفى متى ذاقه فقط.

وكذلك فى مرقس ولوقا ومتى لم يطلب المسيح أن يشرب، أما فى يوحنا فقال: أنا عطشان.

7 - **وعن الوقت الذى تم فيه الصلب**، فقد جاء فى إنجيل مرقس 15 :25 **وكانت الساعة الثالثة فصلبوه»** وفى إنجيل يوحنا 19 :14: **«وكان استعداد الفصح ونحو الساعة السادسة. فقال (بيلاطس) لليهود هوذا ملككم»**.

وعلى ذلك يفهم من النص الأول أن الصلب كان فى الساعة الثالثة، ومن النص الثانى أن المسيح كان عند بيلاطس ولم يصلب بعد حتى بلغت الساعة السادسة.

8 - **وعن رد فعل اللصين المصلوبين مع المسيح** جاء فى إنجيل متى: 27 :44 **«وبذلك أيضاً كان اللصان اللذان صلبا معه يعيرانه»** وفى مرقس 15 :32: **«واللذان صُلبا معه كانا يعيرانه»** أما فى إنجيل لوقا 23 :39 - 43: **«وكان واحد من المذنبين المعلقين يُجدِّف عليه قائلاً إن كنت أنت المسيح فخلص نفسك وإيانا. فأجاب الآخر وانتهره قائلاً: أوَلا تخاف الله إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه أما نحن فبعدل لأننا ننال استحقاق ما فعلنا وأما هذا فلم يفعل شيئاً ليس فى محله. ثم قال ليسوع: اذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك. فقال له يسوع: الحق أقول لك إنك اليوم تكون معى فى الفردوس»**.

وعلى هذا يُفهم من متى ومرقس أن اللصين اللذين صلبا معه كان يعيرانه بأنه لا يستطيع أن يُخلص نفسه، أما فى لوقا فإن أحدهما فقط هو الذى عيَّره أما الآخر فقد انتهر من عيّر المسيح ودار معه الحوار المذكور آنفاً.

9 - **أما بشأن ما حدث بقبر المسيح بعد الصلب** فقد تضاربت الروايات، ففى إنجيل متى 28 «**وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى لتنظر القبر. وإذا زلزلة عظيمة حدثت، لأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه. وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج، فمن خوفه ارتعد الحراس وصاروا كأموات . فأجاب ملاك الرب وقال للمرأتين لا تخافا أنتما فإنى أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب ليس هو ههنا لأنه قام كما قال**».

والرواية فى إنجيل مرقس 16: «**وعندما مضى السبت اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة حنوطاً ليأتين ويَدْهَنَّه. وباكراً جداً فى أول الأسبوع أتين إلى القبر إذ طلعت الشمس. وكن يقلن فيما بينهن من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر. فتطلعن ورأين أن الحجر قد دُحرج. لأنه كان عظيماً جداً. ولما دخلن القبر رأين شاباً جالساً عن اليمين لابساً حُلَّة بيضاء فاندهشن. فقال لهن لا تندهشن. أنتن تطلبن يسوع الناصرى المصلوب. قد قام ليس هو ههنا**».

والراوية فى إنجيل لوقا 24: «**ثم فى أول الأسبوع أول الفجر أتين إلى القبر حاملات الحنوط الذى أعددنه ومعهن أناس فوجدن الحجر مُدحرجاً عن القبر. فدخلن ولم يجدن جسد الرب يسوع. وفيما هن محتارات فى ذلك إذا رجلان وقفا بهن بثياب براقة..**»

ويُفهم من إنجيل متى أن مريم المجدلية ومريم الأخرى هما اللتان نظرا القبر، وأنهما نظرتا الزلزلة وحضرتا ملاك الرب وهو يُدحرج الحجر ويجلس عليه، وكان منظره - ملاك الرب - كالبرق ولباسه كالثلج ويُفهم من مرقس أن مريم المجدلية ومريم الآخرى كان معهما سالومة، وأنهن رأين الحجر مُدحرج ولم يرين ملاك الرب وهو يدحرجه، كما أنهن رأين بداخل القبر شاباً لابساً حلة بيضاء ويُقصد به ملاك الرب.

ويفهم من لوقا أن من ذهب إلى القبر عدة نساء ومعهن أناس. وقد وجدوا الحجر مدحرجاً، ولم يجدوا شيئاً داخل القبر، ثم وجدا رجلان (وليس رجل واحد) بثياب براقة، وهما من ملائكة الرب.

فالتباين والاختلاف بين الروايات الثلاث واضح لا لبس فيه.

10 - والاختلاف الأهم والأكبر فى الأناجيل كان حول **نهاية يهوذا الذى قام بتسليم المسيح**، جاء فى إنجيل متى 27 : 3 - 8: **«حينئذ لما رأى يهوذا الذى أسلمه أنه قد دين ندم ورد الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ . قائلاً قد أخطأت إذ سلمت دما بريئاً، فقالوا ماذا علينا أنت أبصر. فطرح الفضة فى الهيكل وانصرف. ثم مضى وخنق نفسه. فأخذ رؤساء الكهنة الفضة وقالوا لا يحل أن نلقيها فى الخزانة لأنها ثمن دم. فتشاوروا واشتروا بها حقل الفَخَّارى مقبرة للغرباء. لهذا سمى الحقل حقل الدم إلى هذا اليوم»**.

وذكر بطرس فى سفر أعمال الرسل 5:7 - 20: **«وفى تلك الأيام قام بطرس فى وسط التلاميذ. . فقال: أيها الرجال الإخوة كان ينبغى أن يتم هذا المكتوب الذى سبق الروح القدس فقاله بفم داود عن يهوذا الذى صار دليلاً للذين قبضوا على يسوع إذ كان معدوداً بيننا وصار له نصيب فى هذه الخدمة. فإن هذا اقتنى حقلاً من أجرة الظلم وإذ سقط على وجهه انشق من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها. وصار ذلك معلوماً عند جميع سكان أورشليم حتى دُعِىَ ذلك الحقل فى لغتهم حَقَلْ دما اى حَقْلَ دمٍ»**.

والاختلاف بين النصيين فى أكثر من موضع[1]:

---

(1) حول هذه الاخلافات انظر - إظهار الحق لرحمة الله الهندى - جـ1، ص 164, 165, 299. وانظر كذلك الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأناجيل الأربعة - لمحمد عبد الرحمن عوض - ص 122 - 123.

1 - فلأن الأول مصرح به بأن يهوذا خنق نفسه ومات والثانى مصرح به بأنه خر على وجهه وانشق بطنه فانسكبت أحشاؤه كلها ومات.

2 - يُعلم من الأول أن رؤساء الكهنة اشتروا الحقل بالثلاثين من الفضة التى ردها يهوذا، ويعلم من الثانى أن يهوذا كان اشترى لنفسه الحقل بها.

3 - سبب تسمية الحقل باسم (حقل الدم) فرواية متى تُرجع ذلك لشراء رؤساء الكنهة للحقل بثمن دم. بينما يرد بطرس هذه التسمية إلى الميتة الدموية التى مات بها يهوذا.

4 - ماكتبه متى غلط، ويدل على كونه غلط وجوه أربعة:

أ - صرح فيها أنه حكم على عيسى وأنه قد أدين ، وهذا اغلط لأنه ما كان حكم عليه إلى هذا الحين، بل كان رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب دفعوه إلى ببلاطس، ويدل على ذلك أن متى ذكر بعد رواية قتل يهوذا لنفسه - لأن المسيح قد أدين - هذا النص: «**فوقف يسوع أمام الوالى فسأله الوالى قائلاً أأنت ملك اليهود. فقال له يسوع أنت قلت**»[1] ثم قام بسرد المحاكمة، فكيف يعلم يهوذا أن المسيح قد أُدين ثم أن المحاكمة مازالت مستمرة؟!

ب - صرح متى أن يهوذا رد الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ فى الهيكل، وهو غلط أيضاً لأن الكهنة والشيوخ كانوا فى هذا الوقت عند بيلاطس وكانوا يشتكون إليه فى أمر عيسى - عليه السلام-، وما كانوا فى الهيكل.

جـ - موت يهوذا فى صباح الليل الذى أُسر فيه عيسى - عليه السلام - بعيد جداً أنه يندم على فعله فى هذه المدة القليلة ويخنق نفسه لأنه كان عالماً من أول الأمر وقبل التسليم أن اليهود قد يقتلونه.

(1) متى 11:27 .

د - جاء فى إنجيل متى 27 : 9 - 10 : «**حينئذ تم ما قيل بإرميا النبى القائل: وأخذوا الثلاثين من الفضة ثمن المُثَمَّن الذى ثمنوه من بنى إسرائيل. وأعطوها عن حقل الفخَّارى كما أمرنى ربى**».

ولفظ «**إرمياء**» غلط من الأغلاط المشهورة فى إنجيل متى لأن ما ذكره متى لا يوجد فى سفر إرمياء، ولا يوجد هذا المضمون فى سفر آخر من أسفار العهد القديم أيضاً بهذه الألفاظ، وما ورد بسفر زكريا إصحاح 11 عدد 12 - 13، ما ورد بهذا السفر لا يطابق ما جاء بإنجيل متى، وحتى تتضح الصورة نعرض لما جاء بسفر زكريا: «**فقلت لهم إن حسن فى أعينكم فأعطونى أجرتى وإلا فامتنعوا فوزنوا أجرتى ثلاثين من الفضة. فقال لى الرب: ألقها إلى الفخَّارى الثمن الكريم الذى ثمنونى به، فأخذت الثلاثين من الفضة وألقيتها إلى الفخارى فى بيت الرب**».

والاختلاف بين ألفاظ زكريا ومتى واضحة للعيان، ولفظ زكريا لا يصح إلا بإقرار التحريف فى إحدى العبارتين.

إذن يتضح لنا من العرض السابق أن هناك نبوءة فى الكتاب المقدس بنجاة المسيح من المكيدة التى دُبرَت له، كما أن هناك عشرة اختلافات فى الأناجيل بشأن أحداث الصلب، مما يؤكد أن هذه الأحداث شابها الكثير من الإضافات والتحريف وأن جل ما كانت تهدف إليه هو إثبات - وعلى عكس الحقيقة - أن الشخص الذى وضع على الصليب هو عيسى - عليه السلام - ونقول إن القضايا العقائدية ذات أهمية ولا يجوز الاختلاف فيها، وأى اختلاف مرده إلى الإنسان، لأن ما كان من عند الله لا اختلاف فيه.

وكل هذا يسوقنا إلى حقيقة مؤداها أن المسيح عيسى بن مريم لم يُقتل ولم يُصلب، إذ أن هذا وإن صح - لما مُلئت روايات الأناجيل بكل هذا الكم من الاختلافات حول هذا الحدث، والغريب - ورغم كل هذه الاختلافات - نجد أن

صلب المسيح يمثل ركناً جوهرياً من أركان العقيدة المسيحية، حتى أن المسيحيين اتخذوا من الصليب رمزاً لهم، من غير أن يتفكروا في الأمر ويتدبروه، ومن غير أن يردوا على الاختلافات التي ملئت بها الأناجيل حول مسألة الصلب، ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أذكر قول الله سبحانه وتعالى في الآية 157 من سورة النساء: ﴿ **وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا** ﴾.

وكل ما أريده من القارئ العزيز هو مراجعة الاختلافات السالف ذكرها مرة أخرى، ومقارنتها بالآية القرآنية وإن شاء الله تعالى، سينبذ الظن ويحتضن اليقين.

ثالثاً: خطة الفداء في الفكر المسيحي:

ذكرنا عند عرض الشبهات التي أثارها القمص زكريا بطرس حول صلب المسيح قوله أنه لا يوجد آية صريحة تقول بعدم صلب المسيح، وأن قول الله تعالى: ﴿**وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ**﴾[1] ليس نص قاطع في شأن عدم صلب المسيح، وأن كل ما قيل حول هذا الموضوع مجرد تأويلات، وقد أثبتنا من جانبنا أن هذا النص نص قاطع الدلالة على عدم صلب المسيح، واتساقاً مع منهج القمص وهو وجوب أن تكون النصوص قاطعة وليست مجرد تأويلات، سنبحث ما إذا كان ما أثاره - حول ما أسماه خطة الفداء - هل هو قاطع أم مجرد تأويلات؟

قال القمص: إ ن الله مهد لخطة الفداء بما يُعرف بالرموز أي الإشارة لخطة الفداء، وإلى عملية الفداء، **وأول رمز** هو أنه عندما أراد الله أن يغطي عُرى آدم وحواء صنع لهم أقمصة من جلد[2] ويضيف القمص: **وهذه الذبيحة رمز إلى ذبيحة المسيح الذي غطانا بره من عُرى الخطيئة.**

---

(1) النساء: 157.

(2) إشاره إلى ما جاء بالاصحاح الثالث عدد 20 من سفر التكوين: « وصنع الرب الإله لآدم وامرأته أقمصة من جلد وألبسها».

كم هو واسع خيال القمص، فإن ما ذكره هنا لا يرقى حتى إلى درجة التأويل، ولكن إن شئت إلى درجة الخيال، فحقيقة لا ندرى ما علاقة الأقمصة التى صنعها الله سبحانه وتعالى - على حسب ما جاء بالنص المذكور بالحاشية - ما علاقة هذه الأقمصة بالفداء، كما أن النص لم يذكر أى ذبيحة، ولكن خيال القمص الواسع صوَّر له أن الله سبحانه وتعالى قام بذبح شاة ثم أخذ جلدها وصنعها أقمصة، فتمثلت الذبيحة الوهمية فى ذهنه، ولم يكتف بهذا بل رمز بهذا الوهم إلى وهم اخر وهو ذبح المسيح ، فهل ما قاله القمص قاطع أم هو مجرد تأويل؟

أما الرمز الثانى: عند القمص هو فداء إبراهيم، فبعدما ذكر قصة الذبيح كما وردت بسفر التكوين أصحاح 22 عدد 1 إلى 23 علق بقوله: فهنا الفداء «عوضاً عن» فالله قال يُذبح يعنى يُذبح، وقد حُلّت المسألة بالفادى، ووردت القصة فى القرآن فى سورة الصافات آية 107: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ والعظيم - والكلام للقمص - اسم من اسماء الله الحسنى، فكيف يكون خروف وكبش ويكون ذبح عظيم؟ **إذن هذه رمزية إلى شخص المسيح.**

فى الحقيقة لا نعلم كيف يرمز الكبش الذى ذُبح إلى شخص المسيح، أما محاولة القمص الربط بين الذبح العظيم الوارد بالقرآن وبين شخص المسيح فمردود عليها بأنه إذا كان «العظيم» اسم من أسماء الله الحسنى، فإن عظمة الله غير عظمة مخلوقاته، وهذا معروف لكل ذى عقل، فأنت تقول: هذا خطب عظيم، وهذا إنسان عظيم، وبالطبع لا تقصد عظمة الله سبحانه وتعالى، وقد جاء فى مختار الصحاح «عظُم الشىء بالضم يعظم عِظماً بوزن عنَب أى كَبُرَ فهو عظيم» وعلى هذا فلا غرو فى وصف الكبش بأنه ذبح عظيم، ولا توجد أدنى علاقة بين القصة وبين شخص المسيح - عليه السلام -، لا من قريب ولا من بعيد.

ونقول للقمص أنت تنتقل من وهمٍ إلى وهم وتتصور أشياء لا يقرها عقل أى إنسان، وفى واقع الأمر لا نعلم ما هو ظن القمص بعقول البشر؟!

أما عن قول القمص **بأن المسلمين أخذوا عن اليهود ما أسموه بذبائح التكفير وذبحوها فى عيد الأضحى** فمردود عليه بأن اليهود - وطبقاً للأصحاح السادس من سفر التكوين - كانوا يقدمون ذبيحة الأثم إلى الكاهن، وهذا لا وجود له فى الإسلام، وإنما يتبع المسلمون ما أمرهم به الله سبحانه ورسوله، وإذا كان ذبح الهدى تقرباً لله سبحانه وتعالى، فهذا يعد من باب الصدقات، حيث أن لحوم الأضاحى يأكل منها الفقراء والمحتاجين وكلما أنفق المسلم من ماله أكثر، وكلما كان هديه أكبر زاد الله سبحانه وتعالى فى حسناته وثقل ميزانه فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون.

وعن شروط الفادى ذكر القمص أن هناك ثلاثة شروط يجب أن تتوافر فى الفادى، **أول هذه الشروط أن** يكون الفادى من جنس المفدى، وهنا يتساءل القمص[1] هل الخروف من جنس الإنسان حتى يفديه؟ وهل يقبل أحد أن يقال له بعدما يعمل أضحية بخروف فداء، هل يقبل أن يقول له أحد أهلاً وسهلاً ياخروف؟

بداية لا نعلم المصدر الذى استقى منه القمص تلك الشروط العجيبة التى اشترطها فيما يسمى بالفادى، فهو يشترط بداية أن يكون الفادى ويقصد به من يَفدى من عذاب النار، يشترط فيه أن يكون من جنس المفدى وهو الإنسان، وهو كلام عجيب لا يستسيغه عقل، إذ لو أُخذ هذا الكلام على إطلاقه لكان لزاماً على كل إنسان أراد أن يفدى نفسه من عذاب النار أن يقوم بذبح إنسان آخر.

---

(1) انظر ما سبق عند عرض الشبهات.

ويؤكد القمص هذه الوجهة من النظـر بزعمه أن من يضحى «بخروف» - على حد قوله - يكون مساوياً لهـذا «الخروف»، وعلى هذا - واتساقاً مع هذا المنطق - فإن من يتـصدق بنقوداً أو ملابس ليـزيد من ميزان حسناته ويتـجنب عذاب النار، سيكون مـساوياً لهذه النقـود أو الملابس، وهى نتيـجة غيـر منطقية، وذلك لفـساد المقدمة التى بنيت عليها، وهى وجوب أن يكون الفادى من جنس المفدى.

أما الشرط الثانى: هو أن يكون الإنسان الذى سيـفدى طاهراً، وإلا يموت بدم نفسه وبخطية نفسه، لذلك كان المسيح طاهراً ممسوحاً من الأوزار.

وبداية نقول: إنه لا شك عندنا فى أن المسيح عيـسى بن مريم - عليه السلام - كان طاهراً، ولـكنه لم يتفـرد بهذه الصفـة دون باقى الأنبيـاء، فكلهم صلوات الله عليهم طاهرون، ولكن فـساد المقدمة الأولى - وهى وجـوب أن يكون الفادى من جنس المفدى - يؤدى بالضرورة إلى فساد المقدمـة الثانية ، لأن المسيح - وباعتراف القمص - إنساناً - ولا يجوز أن يفدى الإنسان أخيه الإنسان، ولكن كل منا - على ما سنرى - لا يفديه من عذاب النار إلا عمله الصالح.

والشرط الثالث: وهو أهم الشروط عند القمص هو أن تكون قيـمة الفادى غير محـدودة، وذلك لأن الله غيـر محدود، والخطـأ فى حقه غـير مـحدود، لذا - والكلام للقمص - **يجب أن تكون قيمة الفادى تـساوى البشر كله، إذن لا يوجد غير الله أن يتجلى ويظهر فى صورة إنسان ليعطيه هذه القيمة العظمى.**

ونقول: إن هذه المقدمة أشـد المقدمات فساداً، فالقمـص يتلاعب بالألفاظ وكُأنه يخاطب أذهان غائبة عن الوعى، فمن قال أن قيمة الله سبحانه وتعالى تساوى البشر كله؟! فالكون كله بما فـيه، ما نعلمه ولا نعلمـه لا يمكن أن تساوى قيـمة الله عز وجل، فالمخلوق - بالمعنى الواسع لهـذه الكلمة - مهمـا بلغ كمه وكيـفه لا يمكن أبداً أن يساوى الخالق عـز وجل، وسوف يتضح لنا بصورة أوضح فسـاد المقدمات

التى بنى عليها القــمص نظرية الفداء عند الحديث عن طبيعة الســيد المسيح، حيث أن طبييعة السيد المسيح، مرتبطة ارتباطاً لا يقبل التجزئة بنظريتى الفداء والخلاص فى المسيحية.

رابعاً : الخلاص فى الفكر المسيحى:

الفداء والخلاص فى المسيحية وجهان لعملة واحدة، وعن علاقة الفداء بالخلاص يقول القمص «الفداء يعنى واحد يموت بدل الثانى؛ لأن الثانى لو مات سيهلك فى النار الأبدية بخطيئته، فالفادى يخلصه من الموت فى الأبدية **فالإنسان لا يذهب إلى جهنم لأنه واثق أن المسيح مات بداله**، والمسيح هو المخلص لأنه يُخلص الناس من خطاياهم»

ومعنى كلام القمص أن الفداء والخلاص فى الفكر المسيحى يبيحان للمسيحى أن يفعل ما يشــاء، فلن يضيره فى شىء ارتكاب الذنوب والكبائر مــهما عظمت، لأنه ذاهب إلى الجنة لا محالة، فيكفيه أن يعتقد أن المسيح صُلب فداءً له، وأن هذه هى وسيلة الخلاص التى ستدخله الجنة وتنجيه من عذاب النار، وإذا كان الأمر كذلك، فهل سيفكر المســيحى فى أن يزيد من ميزان حسناته بإقبــاله على كل ما هو خيّر؟! هل سيفكر المسيــحى فى أن يقلل من ميزان سيئاته باجــتنابه كل ما هو شر؟! كيف سيــفكر فى هذا والمسيح صُلب فــداءً له؟! وما هى قيــمة الحــياة إذ ا كان الجــميع سيدخلون الجنة وسيتساوى المثيب والمسىء؟ إذا كان الوضع كذلك ستكون حياة رتيبة يطغو عليها الجانب المادى طالما أن الجانب الروحى قد حُسِمَ أمره مقدماً. حياة تفتقد الهدف والغــرض الذى خُلقنــا من أجله، فمــا هو الحافز على طاعــة الله سبــحانه وتعالى؟ وما هو الدافع لعمل الخــير واجتناب الشر؟! أسئلة كثيــرة تحتاج إلى أجوبة القمص.

والغريب فى الأمـر أن المسيح عندمـا سئل عن طريق الخـلاص لم يقل أنه جاء فادياً ومملصاً وأن من يعتقد ذلك سينعم بالحياة الأبدية، لم يقل المسيح هذا، وجاء فى إنجـيل متى أصـحاح 19 عدد 16 - 22: **«وإذا واحد تقـدم وقال له أيهـا المعلم الصـالح أى صلاح أعـمل لتكون لى الحـيـاة الأبدية . فقـال له: لماذا تدعـونى صالحاً. ليـس أحداً صالحاً إلا واحد وهو الله. ولكن إذا أردت أن تـدخل الحياة فاحفظ الوصايا. فقال له: أية الوصـايا؟ فقال يسوع: لا تقتل لا تزن لا تسرق. لا تشهد بالزور، أكرم أباك وأمك وأحب قريبـك كنفسك، فقال له الشاب: هذه كلها حفظتها منذ حداثتى فـماذا يعوزنى بعد؟ قال له يسوع؟: إن أردت أن تكون كـاملاً فـاذهب وبع أملاكك وأعط الفـقراء فـيكون لك كنز فى السـماء وتعـال اتبعنى. فلما سمع الشاب الكلمة مضى حزيناً. لأنه كان ذا أموال كثيرة».**

فأين هذا مما ذكره القمص، فـقد أمر المسيح - عليه السلام- الشـاب بالامتثال لأوامر الله عز وجل، أمره بعـمل الخير واجتناب المعاصى، أمره بالبـعد عن الدنيا والإقبـال على الآخـرة، أمره أن يحب قـريبه كنفـسه إذن الطريق صـعب، وليس بالسهولـة التى صورها القمص زكريا بطرس، وسـتجد أن ما ذكره المسـيح - عليه السلام - يتشابه إلى حـدٍ كبير قد يصل إلى درجة التطابق مع مـا رسمه القرآن فى سبيل الوصول إلى الجنة.

خاتمة فى الفداء والخلاص فى الفكر المسيحى:

يقول القمص زكـريا بطرس عن الفداء والخلاص: **«نحن نؤمن أن المسيح جاء ليتحمل عقوبة خطايانا، ويكسينا بثوب بره، هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به. بل يكون له الحياة الأبدية»**

ويضيـف القمص وفى مـزمور 65 :3 **« معـاصينا أنت تكفر عنهـا» والمسيح - والقول للقمص - هو المخلص لأنه يخلص الناس من خطاياهم.**

ومعنى كلام القمص: أن المسيح جاء مخلصاً - على الأقل من يؤمن به - من جميع الخطايا، من يوم آدم إلي يومنا هذا، هذا من ناحية، ومن ناحية آخرى فالفادى - وهو المسيح - يعلم علم اليقين أنه جاء مخلصاً وفادياً ويعلم أنه جاء ليصلب حتى تتحقق النبؤة. وسنرى الآن هل تحقق هذا أم لا؟

جاء فى الأصحاح الثالث من سفر التكوين عدد 12-19 وفيه يعاقب الله سبحانه وتعالى آدم وحواء والحية على معصيته: « **فقال آدم: المرأة التى جعلتها معى هى أعطتنى من الشجرة فأكلت. فقال الرب الإله للمرأة: ما هذا الذي فعلت، فقالت المرأة (حواء): الحية غرتنى فأكلت. فقال الرب الإله للحية: لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية. على بطنك تسعين وتراباً تأكلين كل أيام حياتك. وأضع عداوة بينك وبين المرأة، وبين نسلك ونسلها، هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه. وقال للمرأة: تكثيراً أكثر أتعاب حبلك. بالوجع تلدين أولاداً. وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك. وقال لآدم: لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلاً لا تأكل منها؛ معلونة الأرض بسببك. بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك. وشوكاً وحسكا تنبت لك، وتأكل عشب الحقل. بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التى أخذت منها. لأنك تراب وإلي التراب تعود**».

ومن النص السابق يتضح لنا أنه بسبب خطية آدم وقِّعت عقوبات على الحية، وعلى المرأة، وعلى الرجل، ولما كان المسيح قد جاد فاديا ومخلصاً، فكان من الطبيعى رفع هذه العقوبات على الأقل عمن يؤمن به فادياً ومخلصاً، ولكن هل تحقق هذا؟

سنجد أن الحية لا زالت تسعى على بطنها، والمرأة - حتى المسيحية لا زالت تعانى من آلام الحمل والوضع، وأنها لا زالت فى اشتياق لرجلها، والسيادة للرجل

عليها معروفة. وسنجد أن الرجل مسيحياً كان أم غير مسيحى، لا زال يكد وتعب حتى يحصل على رزقه.

وعلى ذلك فالخطية ما زالت موجودة والعقوبة ما زالت مفروضة، فأين الفداء ياجناب القمص؟ وأين هو الخلاص؟

وجاء فى إنجيل متي إصحاح 27 عدد 46 : **«ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: إيلى إيلى لما شبقتنى أى إلهى إلهى لماذا تركتنى»**.

وفى إنجيل مرقس أصحاح 15 عدد 34 : **«وفى الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: إلوى إلوى لما شبقتنى الذى تفسيره إلهى إلهى لماذا تركتنى»**.

والسؤال الآن للقمص: إذا كان يسوع يعلم أنه بن الله الوحيد، وأنه الفادي المخلص الذى سيموت على الصليب، فلماذا صرخ هذه الصرخات؟ ولما هذه الخشية من الصلب؟ ولماذا كان اعتقاده بأن الله تركه؟ فهل من إجابة.

خامساً: الخلاص فى القرآن:

عن الخلاص فى القرآن يقول القمص زكريا بطرس: **«القرآن لم يقدم وسيلة خلاص للبشر، فالقرآن أعطى أوامر ونواه، ولم يرسم طريقة للخلاص من الخطية، أما الكتاب المقدس فقد قدم طريقة الخلاص»**.

كم هو عجيب كلام القمص، فهل كان يجب على القرآن أن يعتنق نظرية الفداء حتى يقال أنه قدم وسيلة للخلاص؟! ونقول للقمص: إذا كنت لم تفهم وسيلة الخلاص فى الكتاب المقدس كما وردت على لسان المسيح - عليه السلام -، فهل ستفهمها كما وردت فى القرآن الكريم؟!

وفى حقيقة الأمر نجد أن القرآن قد قدم وسيلة للخلاص من الخطيئة، وقدم الوسيلة التى بها يستطيع العبد تجنب النار ودخول الجنة، وهذه الوسيلة جاءت ايجابية

بكل ما تحـمله الكلمة من معـان، فلم تتطلب مجرد السكون والاكـتفاء بالاعتـقاد بوجود مُـمـلِّص قُتل ليمـلص الناس من خطاياهم، ولكن من أراد أن يدخل الجنة عليه أن يقوم بعمل أهل الجنة ويتجنب كل عمل يوصله إلى النار.

وأول خطوة رسمهـا القرآن الكريم على طريق الخلاص هو التوبة، فـعلى العبد أن يتوب عن كـل إثم، ويمتنع عن كل عمل يبـعده عن الله عز وجـل، وعليه أن يُملص النية فى هذه التوبة.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَمَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَـفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1] ويقول جـل شأنه: ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَـمِلَ صَـالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾[2] ويقول عز وجل: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾[3] ويقول عز من قائل: ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[4].

قمة الإيجـابية فى هذه الآيات الكريمات ، توبة+ إيمان + عـمل صالح، وماذا بعد ذلك : ﴿يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّـئَاتِهِمْ حَـسَنَاتٍ﴾ يالهـا من رحمـة، فهل بعـد ذلك خلاص؟! وقد جاء فى تفسير الآية الآخيرة: «إن تلك السيئات الماضية تنقلب بنفس التوبة النصوح حسنات وماذاك إلا لأنه كلما تذكر ما مضى ندم واسترجع واستغفر فينقلب الذنب طاعة بهذا الاعـتبار يوم القيامة وإن وجده مكتـوباً عليه فإنه لا يضره وينقلب حسنة فى صحيفته»[6] أو ليس هذا طريقاً للملاص باجناب القمص؟!

(1) المائدة: 39.

(2) مريم: 60.

(2) مريم: 60.

(3) طه: 82.

(6) تفسير ابن كثير للآية 70 من سورة الفرقان.

هذا عن التوبة، فماذا عن الإيمان؟ يقول سبحانه وتعالى: ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ**﴾(1) ويقول عز وجل مخاطباً المؤمنين: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً**﴾(2).

إذن فالإيمان هو أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والإيمان هو الخطوة الثانية على طريق الخلاص القرآنى، والمؤمنون يؤمنون بأن الله واحد أحد فرد صمد لا إله غيره ولا رب سواه، ويصدقون بجميع الأنبياء والرسل والكتب المنزلة من السماء على عباد الله المرسلين والأنبياء لا يفرقون بين أحد منهم فلا يؤمنون ببعض الأنبياء ويكفرون ببعض بل الجميع عندهم صادقون بارون راشدون مهديون هادون إلى سبيل الله وإن كان بعضهم ينسخ شريعة بعض بإذن الله حتى نسخ الجميع بشريعة محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين الذى تقوم الساعة على شريعته، ويؤمنون بوجود الملائكة، ويؤمنون باليوم الآخر وأن هناك يوم سيحاسب فيه الجميع فيثاب المحسن ويعاقب المسىء.

ونصل الآن إلى الخطوة الثالثة على طريق الخلاص، وهى العمل الصالح، والعمل فى القرآن هو كل حسنة يأتى بها الإنسان، أياً كانت، ومن رحمة الله سبحانه وتعالى أنه يزيد لنا فى حسناتنا ويضاعفها، يقول سبحانه وتعالى: ﴿**وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً**﴾(3) ليس هذا فقط، ولكن الله سبحانه وتعالى يضاعف الحسنة بعشر أمثالها، أما السيئة فلا يجازى العبد إلا مثلها، يقول

(1) البقرة: 285.

(2) النساء: 136.

(3) النساء: 40.

عز وجل: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾[1] أما من ينفق أمواله فى سبيل الله وابتغاء مرضاته فإن الحسنة تتضاعف إلى سبعمائة ضعف، يقول عز وجل: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[2].

أو ليس هذا طريقاً للخلاص؟! أو ليس هذا طريقاً للجنة؟! إن الطريق إلى الجنة كما رسمه الله سبحانه وتعالى فى القرآن لا يتأتى إلا بالعمل الإيجابى، العمل الصالح الذى يجعل كفة الميزان ثقيلة فى يوم لا ينفع المرء إلا عمله، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾[3] والعمل الصالح الذى يثقل كفة الميزان هو كل طاعة أمر بها الله سبحانه وتعالى بالامتثال لأوامره وباجتناب نواهيه، وهى الأوامر والنواه التى سمر منها القمص، تلك الأوامر والنواهى هى السبيل إلى الجنة، يقول جل شأنه: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[4].

إن الطريق إلى الجنة ليس سهلاً كما صوره القمص، الطريق إلى الجنة متعب وشاق لا يجتازه الساكن المتواكل، لابد من العمل الصالح، لابد من الإنفاق فى سبيل الله والإحسان إلى الفقراء والمساكين وإطاعة الله سبحانه وتعالى فى كل ما أمرنا به، فكيف يتصور عاقل أن طريقه إلى الجنة موقوف على الاعتقاد بأن شمصاً قد قتل أو صُلب ليدخل هو وغيره الجنة، ولنضرب مثلاً دنيوى - ولله المثل

---

(1) الأنعام: 160.

(2) البقرة: 261.

(3) القارعة: 6-7.

(4) النساء: 13..

الأعلى - فالمعلم لا يمنحك النجاح لمجرد إعتقادك بأنه معلم جيد، بل لابد من المذاكرة ودخول الامتحان والحصول على الحد الأدنى من الدرجات التى تمكنك من اجتياز هذا الامتحان بنجاح، وإلا فالرسوب سيكون رفيقك لا محالة، وهو رفيق كل ساكن متواكل.

والآن، هل عرفت يا جناب القمص طريق الخلاص كما صوره الفكر القرآنى؟ أو ليس الأعمال الصالحة التى جاء بها القرآن كوسيلة لدخول الجنة هى نفس الأعمال التى ذكرها المسيح عليه السلام فى إنجيل متى؟!فمن أين جئت بما جئت به؟ إن ما جئت به أيها القمص هى مجرد اجتهادات بشرية ونظريات معقدة يعوزها الدليل، فأبداً أبداً لم يقل المسيح إنه جاء ليفدى الجميع، لم يقل أنه جاء ليملص الجميع بالطريقة التى رسمتها أنت، فالمسيح والإنجيل الذى تعتقد أنت به براء من كل ما قلت، فارجع إلى صوابك ولا تستمف بعقول البشر.

سادساً: طبيعة المسيح - عليه السلام-:

عن طبيعة السيد المسيح قال القمص: «**المفروض أن نعرف أن المسيح له طبيعتين؛ طبيعة جسدية مثل باقى البشر لكن بدون خطيئة، والطبيعة الجسدية أخذها من العذراء مريم هو ابنها، طبيعة أخرى لاهوتية، فالله ظهر فى هذا الجسد**».

إذن وطبقاً لكلام القمص يكون المسيح له طبيعة مزدوجة: طبيعة جسدية وأخرى لاهوتية لظهور الله فيه، وقد حاول القمص إثبات هذا الزعم بأكثر من طريقة سنناقشها فى النقاط التالية:

1 - تجلى الله سبحانه وتعالى فى المادة:

يحاول القمص أن يثبت أن القرآن الكريم قال بإمكانية تجلى الله فى المادة فيقول: «ويعترض المعترضون: كيف ظهر الله فى المادة؟! هذا ليس بغريب على

قدرة الله وإمكانياته، وهذا لا يتعارض مع العقل بدليل أنه فى القرآن أن سورة الأعراف الآية 143 يقول: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ فيه إذن إمكانية تجلى الله **للجبل... فى الجبل** لكنه تجلى، وكانت النتيجة أن الجبل اندك وموسى صُعق، فكيف يُصعق موسى إن لم يكن يراه؟! والمفسرين كلهم يحملوا على أن الله تجلى **على الجبل**[1] وإذا كان الله يتجلى فى حجر أفيعتبر كفراً أن يتجلى فى بشر، والبشر أرقى من الحجر».

نقول للقمص: ما هذا التخبط الذى أنت فيه؟ وما ظنك بمن يسمعك سواء أكان مسلماً أم مسيحياً؟ فهل تجلى الله سبحانه وتعالى للجبل؟ أم تجلى فى الجبل؟! أم تجلى على الجبل؟ فهل تساوى بين كل هذه المعانى؟ أم إنك لا تعرف أصول العربية التى تتحدثها؟!

أى تلميذ بالمرحلة الابتدائية سيقول لك أن التجلى للشىء غير التجلى فى الشىء غير التجلى على الشىء، والنص القرآنى الذى نستشهد به يقول: ﴿تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ أى ظهر له ولم يقل تجلى فى الجبل أى ظهر فيه، والجبل اندك ليس لتجلى الله فيه ولكن لتجلى الله سبحانه وتعالى له، فلم يحتمل الجبل هذا وتساوى بالأرض.

وإذا افترضنا كما زعمت أن الله تجلى فى الجبل فاندك الجبل بهذه الصورة، والجبل أقوى من الإنسان، وكل ذى عقل يعلم هذا، فإذا كان الجبل اندك لتجلى الله فيه، فما بالك إذا تجلى الله فى الإنسان، فهل يبقى من هذا الإنسان شىء؟!

أما عن سؤالك عن سبب صعق موسى: فموسى لم يصعق لأن الله تجلى فى الجبل كما زعمت، ولم يصعق لأنه رأى الله لأن الله سبحانه وتعالى قال له فى نفس الآية: ﴿ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾

---

(1) لم يقل أحد من مفسرى المسلمين بأن الله سبحانه وتعالى تجلى على الجبل، إنما هذا من اختراعات القمص وهذا ما يمليه منهجه التضليلى.

والجبل أصبح دكا، فكيف سيرى موسى الله؟! وصعق موسى كان لمنظر الجبل وهو يدك، وهو منظر مهيب، فالناس عندما يشعرون بالزلازل ويرون آثارها تأخذهم الرهبة، فما بالك بمن يرى جبلاً عظيماً يُدك ويُسوى بالأرض، أفلا يصعق هذا الإنسان؟!

وعلى هذا، إذا كان الله لم يتجل فى جبل، ولم يتجل فى أى مادة، فالنتيجة المنطقية أنه لم يتجل فى إنسان - وهو أضعف من الجبل - إذا سلمنا أن الإنسان مجرد مادة.

2 - مقدمات القمص:

حاول القمص عند حديثه عن الفداء أن يثبت أن الله تجلى فى المسيح ليعطيه قيمة غير محدودة ليفدى البشر، تمثلت هذه المقدمات فى الآتى:

1 - الخطأ فى حق الله.

2 - الله غير محدود.

3 - يستلزم عقوبة غير محدودة .

4 - ويستلزم فداء غير محدود.

5 - ليس غير المحدود غير الله.

نقول للقمص: أنت سلمت أن العقوبة غير محدودة، لذا فهى تستلزم فداء غير محدود، إذن اللامحدود يحتاج عندك إلى لا محدود مثله.

وأنت سلمت كذلك أن الله لا محدود، وأنه لا محدود غير الله، فكيف تجلى اللامحدود - الله سبحانه وتعالى - فى المحدود (جسد المسيح)؟!

كيف عقلتها باجتاب القمص واللامحدود عندك يحتاج إلى لا محدود، إن مقدماتك ونتائجك لا تصح إلا إذا سلمت أن جسد المسيح كان لا محدود وهو لم ولن يقل به أحد، فالنتيجة المنطقية لنفس مقدماتك هى: أن الله أللا محدود لم يتجل فى جسد المسيح المحدود.

3 - نصوص الإناجيل لم تقل بتجلى الله فى المسيح:

لا يوجد نـص صريح فى الإنجيل يُـفهم منه أن الله سبـحانه وتعـالى تجلى فى المسيح عيـسى بن مريم - عليه السلام -، بل أن هناك الكثـير من النصوص التى يفهم منهـا يقينا عـدم إمكان هذا التجلى، إذ أنه لا يتفق هـذا الزعم مع النصوص التى سنعرض لها.

ونسأل القمـص بداية، هل حدث هذا التجلى والمسيح جنيناً أم حـدث والمسيح رضيعاً أم حدث عندما بدأت رسالته إلى بنى إسرائيل؟

إذا كانت الإجابة أن الله سبحانه وتعالى تجلى فى المسيح وهو جنين، فهل يعقل أن يولد من تجلى فيـه الله سبحـانه وتعالى ويكون مـحاطا بالمخاط والدمـاء وما إلى ذلك؟

وإذا كانت الإجابة أن التـجلى كان بعد الولادة مبـاشرة، أى وهو رضيع، وأنت اعترفت أن المسـيح إله وتسمونه إله للطبيـعة الإلهية التى فيـه، فهل يعقل أن يرضع الإله من ثدى امرأة؟! هل يعقل أن يحتاج الإله إلى هذا الثدى وإلا مات جوعاً؟!

أما إذا كـانت الإجابـة أن هذا التجلى المزعـوم حدث مع بدء الرسـالة إلى بنى إسرائيل، فإن هذه النصوص التى سنعرض حالاً - ستكذب هذا الزعم، وإذا كان لديك تفسير لها فاعرضه.

إذا كان الله تجلى فى المسيح، وأصبح المسيـح إلهاً، فلماذا عمده يوحنا **«حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه» (متى 13:3).**

وكيف يطيع الإله إبليس ويسيـر معه؟ وكيف يقبل الإله أن يمتـبره إبليس؟! فهل يجرؤ إبليس على فـعل هذا؟! وهل يعقل أن يقول إبليس لربه وهو خالقـه: إسجد لى؟!! اقرأ هذا النص قبل أن تجيب:

«ثم أُصْعِدَ يسوع إلى البرية من الروح ليجـرب من إبليس فبعدها صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة جاع أخيراً. فتقدم إليه المجرب وقال له: إن كنت ابن الله فقل

أنت تصير هذه الحجارة خبزاً، فأجاب: مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تعرج من فم الله. ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل وقال له: إن كنت ابن الله اطرح نفسك إلى أسفل لأنه مكتوب: أنه يوصى ملائكته بك فعلى أياديهم يحملونك لكى لا تصطدم بحجر رجلك قال له يسوع: مكتوب أيضاً لا تجرب الرب إلهك. ثم أخذه إبليس إلى جبل عال جداً وأراه جميع ممالك العالم ومجدها. وقال له: أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لى. حينئذ قال له يسوع: إذهب ياشيطان لأنه مكتوب: للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد ، ثم تركه إبليس وإذا ملائكة قد جاءت فصارت تمدمه» (متى 1:4 - 11)

انظر إلى هذه الكلمات **«أُصْعِدَ»** ،و **«أخذه»**، و **«أوقفه»** فالأولى مبنى للمجهول، وأفعال الله أو الإله التى يأتيها لا يمكن أن تبنى أبداً للمجهول، فهذا لا يجوز أبداً فى حقه. أما الكلمتين الثانية والثالثة فتدلان على أن المسيح كان أداة طيعة فى يد إبليس يأخذه حيث يريد ويوقفه متى يريد؛ أن هذا لا يجوز فى حق نبى من الأنبياء، فكيف يجوز هذا فى حق من تجلى فيه الله؟!!

والأدهى من ذلك، كيف يصوم الإله ويجوع ويأكل؟! ما هذا التناقض العقائدى الغريب، والنصوص التى جاع فيها المسيح وأكل كثيرة منها: **«فلما نظر الفريسيون قالوا لتلاميذه: لماذا يأكل معلمكم مع العشارين والخطاه»** (متى 11:9) و **«وسأله واحد من الفريسيين أن يأكل معه فدخل بيت الفريسى واتكأ» (لوقا 7 :36).**

والأدهى من هذا، كيف ينام الإله: **«وإذا اضطراب عظيم قد حدث فى البحر حتى غطت الأمواج السفينة وكان هو نائماً» (متى 8 :23).**

أعلم مقدماً إجابة القمص على كل ما عرضته من نصوص، سيقول: أن المسيح فعل هذا بطبيعته الجسدية وليس بطبيعته اللاهوتية. فهذه العبارة، وهذا المعتقد الغريب يلجأ إليه القمص كلما ضاقت به الأمور، والرد عليه فى غاية اليُسر:

فأنت عندما ترتدى حُلة وتذهب إلى مكان ما، هل يقولون حضرت الحُلة أم يقولون حضر فلان؟ بالطبع تكون أنت الذى حضرت، فأنت الجوهر الأقوى والأهم والحُلة ما هى إلا مجرد رداء أو غطاء خارجى لهذا الجوهر(1).

وبالمثل - إذا افترضنا جدلاً - أن الله سبحانه وتعالى تجلى فى جسد المسيح عيسى ابن مريم، فهل سيكون للأخير وجود؟! بالطبع لا، فالله هو الأقوى والأهم، والمسيح لن يكون إلا مجرد مظهر خارجى، فهنا كان من اللازم أن تمتفى - هذه الطبيعة البشرية اختفاءً تاماً، ولا يصح أن تُقْدم على فعل من الأفعال المنزه عنها الله سبحانه وتعالى، كالأكل والنوم والجوع .. إلخ، فكل هذا مرفوض، ولكن لأن المسيح - عليه السلام - لم يكن إلا بشراً رسولاً فقد عاش مثل باقى البشر، أكل الطعام وغلبه النوم وحاول الشيطان أن ينال منه، فأفيق أيها القمص ولا تجادل بالباطل.

4 - هل معجزات المسيح دليلاً على ألوهيته؟

قد يبرهن البعض على ألوهية السيد المسيح - عليه السلام - من خلال المعجزات والخوارق التى تمت على يديه بإذن الله، ونحن كمسلمين لا ننكر هذه المعجزات، لأن الله سبحانه وتعالى أنبانا إياها، يقول عز وجل فى سورة آل عمران آية 49: ﴿**وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾.

والسؤال الآن، هل من الممكن اعتبار هذه المعجزات دليلاً على ألوهية أحد من البشر؟

(1) وبالمثل إذا أكلت سيقولون أكل فلان ولن يقولوا أكلت الحُلة، وإذا قتلت وإذا زنيت.. فكل الأفعال ستتسب إليك، ومن يقتل بالسكين لا يقولون قتلت السكين، بل قتل فلان... إلخ.

للأجابة على هذه التساؤل يكون حرى بنا أن نعرض لبعض معجزات الأنبياء التى جاء بها الكتاب المقدس، خاصة تلك التى تمت على يد اليشع:

جاء فى سفر الملوك الثانى إصحاح 4 عدد 12 :18 فقال **(اليشع) لجيحزى غلامه: ادع هذه الشونمية فدعاها فوقفت أمامه، فقال له: قل لها: هوذا قد انزعجت بسببنا كل هذا الإنزعاج. فماذا يصنع لك؟ هل لك ما يتكلم به إلى الملك أو إلى رئيس الجيش؟ فقالت: إنما أنا ساكنة فى وسط شعبى . ثم قال: فماذا يصنع لها؟ فقال جيحزى: إنه ليس لها ابن ورجلها قد شاخ. فقال: ادعها. فدعاها فوقفت فى الباب . فقال: فى هذا الميعاد نحو زمان الحياة تحضنين ابناً فقالت: لا ياسيدى رجل الله! لا تكذب على جاريتك! فحبلت المرأة وولدت ابناً فى ذلك الميعاد نحو زمان الحياة كما قال لها اليشع وكبر الولد».**

فهنا جعل اليشع - بإذن الله - المرأة تحبل من زوجها الذى شاخ بعدما انقطع منها الأمل.

وفى نفس السفر والإصحاح عدد 32 - 37: **«ودخل اليشع البيت وإذا بالصبى ميت ومضطجع على سريره. فدخل وأغلق الباب على نفسيهما كليهما وصلى إلى الرب، ثم صعد واضطجع فوق الصبى ووضع فمه على فمه، وعينيه على عينيه ويديه على يديه، وتمدد عليه فسمن جسد الولد ثم عاد وتمشى فى البيت تارة إلى هنا وتارة إلى هناك، وصعد وتمدد عليه فعطس الصبى سبع مرات ثم فتح الصبى عينيه فدعا جيحزى وقال: ادع هذه الشونمية فدعاها، ولما دخلت إليه قال: احملى ابنك. فأتت وسقطت على رجليه وسجدت إلى الأرض ثم حملت ابنها وخرجت».**

والنص صريح فى إحياء اليشع للموتى بإذن الله.

وجاءت معجزة شفاء اليشع للأبرص الأصحاح الخامس من نفس السفر: **«وكان نعمان رئيس جيش ملك آرام رجلاً عظيماً عند سيده... وكان الرجل جبار بأس أبرص.. فأرسل إليه اليشع رسولاً يقول: اذهب واغتسل سبع مرات فى الأردن فيرجع لحمك إليك وتطهر... فنزل وغطس فى الأردن سبع مرات حسب قول رجل الله، فرجع لحمه كلحم صبى صغير وطهر».**

ويمرق اليشع قوانين الطبيعة فيجعل الحديد يطفو: **« ولما وصلوا إلى الأردن قطعوا خشباً وإذ كان واحد يقطع خشبة وقع الحديد فى الماء. فصرخ : اه ياسيدى لأنه عارية. فقال رجل الله: أين سقط؟ فأراه الموضع، فقطع عوداً وألقاه هناك فطفا الحديد. فقال: «ارفعه لنفسك، فمد يده وأخذه»** (ملوك ثانى 5 :4 - 7).

ومعجزة أخرى لليشع لم نر لها مثيل، فها هو رجل ميت يلمس عظام اليشع وهو ميت أيضاً فترد إليه الحياة: **« ومات اليشع فدفنوه، وكان غزاة مواب تدخل على الأرض عند دخول السنة، وفيما كانوا يدفنون رجلاً إذ بهم قد رأوا الغزاة فطرحوا الرجل فى قبر اليشع. فلما نزل الرجل ومس عظام اليشع عاش وقام على رجليه»** (ملوك ثانى 13 :20 - 21).

وبعد عرض بعض المعجزات التى أتت على يد اليشع بإذن الله، نجد أنها تماثل تمام التماثل المعجزات التى جاءت على يد المسيح عيسى بن مريم، ولم يقل الكتاب المقدس، ولم يقل أحد بألوهيته، بل هو - وباعتراف الجميع - نبى مرسل من الله سبحانه وتعالى، فلماذا إذن اختص القمص زكريا بطرس عيسى - عليه السلام - بالألوهية، بالرغم من أن المسيح نفسه ذكر أن ما يأتيه لا يأتيه من نفسه، ولكن بإذن الله، واعترف أنه مجرد نبى مرسل، وكل هذا بنصوص الأناجيل.

جاء بإنجيل متى 28 :18 : **«دُفع إلى كل سلطان فى السماء وعلى الأرض»** وجاء به أيضاً: **«ولكن إن كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت**

الله» (متى 12 :28) وجاء بإنجيل يوحنا 5 :30 **«أنا لا أقدر أن أفعل من نفسى شيئاً كما أسمع أدين ودينونتى عادلة لأنى لا أطلب مشيئتى بل مشيئة الأب الذى أرسلنى»** ويؤكد المسيح أنه نبى مرسل فى نفس الإنجيل أصحاح 11 عدد 41 - 42: **«أيها الأب أشكرك لأنك سمعت لى. وأنا علمت أنك فى كل حين تسمع لى، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتنى»** وجاء على لسان بطرس فى سفر أعمال الرسل 2 :22: **«أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال: يسوع الناصرى رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب صنعها الله بيده فى وسطكم كما أنتم أيضاً تعلمون».**

إذن، وبنصوص الكتاب المقدس، لم يكن المسيح عيسى بن مريم إلا بشراً رسولاً، وكل ما جاء به من معجزات لم يكن سببها قدرته الذاتية، أو لأن الله سبحانه وتعالى قد تجلى فيه، ولكنه صنعها بإذن الله الواحد القهار، فهو وحده سبحانه وتعالى، صاحب القدرة، وهو وحده عز وجل صاحب المشيئة، فاقرأ وتمهل أيها القمص عسى أن يهديك الله وتقول صواباً.

5 - هل المسيح هو الله أم ابن الله أم ابن إنسان؟!

قال القمص زكريا بطرس عن طبيعة السيد المسيح - عليه السلام - [1]: «وفى شىء مهم: لماذا نسميه الله ونسميه ابن الله؟ **ابن الله** يعنى الخارج من الله بالمعنى المجازى وليس بالمعنى الحرفى، لأنه يعنى التزاوج وحاشا لله، لكنه ابنه لأنه خرج منه، **فالمسيح ابن الله لأنه خارج من الله»** وقال: «هكذا أحب الله العالم حتى بذل **ابنه الوحيد** لكى لا يهلك كل من يؤمن به، بل يكون له الحياة الآبدية» وأضاف: «ونسميه الله للطبيعة الإلهية التى فيه **إذن يكون إله**، وبالطبيعة الجسدية يكون **ابن إنسان**، وليس فى هذا مشكلة» انتهى كلام القمص.

---

(1) انظر ما سبق عند عرض الشبهات.

كيف ياجناب القمص لا يوجد مشكلة ! فهل المسيح ابن الله الوحيد، أم هو إله، أم هو ابن إنسان؟!

فبالنسبة لقول القمص بأن المسيح عيسى بن مريم - عليه السلام - هو **ابن الله الوحيد** نجد أن الكتاب المقدس مليء بما يُطلق عليهم أبناء الله[1] ففى إنجيل لوقا 38:3 : **«ابن أنوش ابن شيث ابن آدم ابن الله»**

وفى سفر التكوين 6 : 1 - 2 : **«وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات، أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهم حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا»** وفى سفر التكوين 6 :4: **«وبعد ذلك أيضاً إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولاداً»**.

وفى سفر الخروج 4 :22: **«فتقول لفرعون : هكذا يقول الرب إسرائيل ابنى البكر»** وفى سفر إرميا 31 :9 : **«لأنى صرت لإسرائيل أباً وأفرايم هو بكرى»**[2] وجاء برسالة بولس إلى أهل رومية 8 :14: **«لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك أبناء الله»**.

ألا تستطيع أيها القارىء الكريم أن تدرك أنه بلغة اليهود فإن كل شمص متدين، أيا كان اسمه هو ابن الله. إن البنوة لله لفظ مجازى يستمدم على سبيل الاستعارة، ولفظتا «ابن الله» كانتا شائعتين فى الاستمدام لدى اليهود. ويوافق المسيحى على هذا المنطق[3] والقمص زكريا بطرس نفسه يعترف أن المسيح هو ابن الله مجازاً، ولكنه يرجع ويناقض نفسه فيقول: «ابنه الوحيد» كيف وكل هؤلاء هم أبناء الله؟ ولكن العقيدة المشوشة غير المفهومة لابد وأن تدفع صاحبها إلى التناقض.

---

(1) انظر لأحمد ديدات: المسيح فى الإسلام ص 60 وما بعدها، وعتاد الجهاد ص 66 - ترجمة على الجوهرى.

(2) لا نعلم كيف يكون لله أكثر من ابن بكر، فهل آدم هو ابن الله البكر أم أفرايم؟!

(3) المسيح فى الإسلام - ص 60.

أما قول القمص بأن المسيح - عليه السلام - **إله** للطبيعة الإلهية التى فيه فهو قول وسبق أن رفضناه وبرهنا على بطلانه بالأدلة العقلية وبنصوص الكتاب المقدس نفسه التى ترفض هذا الزعم الباطل.

والحقيقة نجد أن الفكر المسيحى يستند إلى قول المسيح **«أنا والأب واحد»** (يوحنا 10 :30) ليبرهن على أن المسيح إله أو على الأقل اكتسب الطبيعة الإلهية من اتحاده بالله عز وجل، وقد حاول اليهود رجم المسيح لهذه المقولة فأجابهم المسيح : **«أعمالاً كثيرة حسنة أريتكم من عند أبى بسبب أى عمل منها ترجمونى؟ أجابه اليهود: لسنا نرجمك من أجل عمل حسن بل لأجل تجديف فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلها. أجابهم يسوع: أليس مكتوباً فى ناموسكم: أنا قلت إنكم آلهة؟»** (يوحنا 10 :32 - 34) ويقول لهم فى النهاية : **«ولتؤمنوا أن الأب فى وأنا فيه»** (يوحنا 10 :38) ومقوله السيد المسيح: «إنكم آلهة» مقتبسة من المزمور الثانى والثمانين عدد 6 حيث يقول : **«أنا قلت لكم أنكم آلهة وبنو العلى كلكم»**.

والنص الأخير يعنى أن أنبياء الله كانوا يدعون آلهة لتلقينهم كلام الله، وعيسى - عليه السلام - يعرف لغة اليهود، وهو يجادل أعداءه من منطلق أنه إذا كان الرجال الطيبون والناس المباركون وأنبياء الله وهم كثير قبله كانوا يماطبون كآلهة وأرباب فى كتب اليهود الدينية المعترف بها عندهم، لذا يقول لهم: لماذا تستثنونى؟ فهل خاطبتكم إلا بلغتكم؟[1] وقد أكد عيسى - عليه السلام - هذا الفهم فى إنجيل يوحنا أصحاح 17 عدد 20 - 22 حيث يقول: **«ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الأب فى وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتنى»**.

(1) انظر - المسيح فى الإسلام - ص 82.

ولو كان عيسى يكون مع الله شيئاً واحـداً، ولو كان هذا التوحد معه يجعل منه إلها، لكان لنا أن نعتبر - طبقـاً للنص السابق - يهوذا الخائن وتوما الشكاك وبطرس الشيطان إلى جانب التـسعة الآخرين الذين تملوا عنه - طبقـاً لنصوص الأناجيل - عندما كـان فى شدة الحاجة اليـهم، آلهة، لأن نفس التوحـد المدعى مع الله نجده يطلبه الآن أيضاً بالنسبة لأولئك الذين خذلوه وهربوا[1].

إن تعبير **«أنا والأب واحد»** كان بريئاً كل البراءة ولا يعـنى أكثر من الاتفاق فى غرض ما مع مشيئة الله، فأنت إذا قلت لصاحبك «أنا وأنت واحد» فإن هذا التعبير لا يعنى أنكما صرتما شـخصاً واحداً، وإنما يعنى أن المصلحـة لكل منكما واحدة[2] ولا ندرى إلى متى يحول القمص المجاز إلى حقيقـة والحقيقة إلى مجاز على حسب هواه؟

وبعد، طالما أن المسـيح ليس ابن الله الوحيد كمـا ادعى القمص، وطالما أنه ليس إله، فلا تبقى إلا طبيعة واحدة للمسـيح عيسى بن مريم، وهى أنه ابن إنسان، فهو إنسان بشر ليس إلا، لأن المخلوق لا يمكن أن يتحول إلى خالق، والخالق لا يمكن أن يتحد بمملوق، فهذا مرفوض عقلاً وشرعاً.

ولعل القمص زكـريا بطرس، بل والفكر المسيـحى دُفعا إلى هـذه المتاهة لأنهم صعبوا على أنفسهم مسألة ولادة المسيح - عليه السلام بلا أب، والحقيقة أن المسألة غاية فى البساطة، فالله سبحانه وتعالى تجلت قدرته أرانا قدرته فى خلق الإنسان من دون ذكر ولا أنثى، فكان آدم - عليه السـلام - ، ثم قدرته فى خلق الإنسان من ذكر، فكانت السيدة حواء، ثم قـدرته فى خلق الإنسان من أنثى فقط فكان المسيح عيسى بن مـريم - عليه السلام- ، وعلى ذلك فـعيسى - عليه السـلام - مجرد

(1) السابق - ص80.

(2) من تعليق مترجم كتاب المسيح فى الإسلام، ص 78 هامش 1.

بشر أرسله الله برسالة إلى بــنى إسرائيل وأيده بروح القدس وهذه الحقيــقة يوجزها الله سبحــانه وتعالى فى الآية 59 من سورة آل عمــران، يقول عز وجل : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ فتبارك الله العظيم خالق كل شىء لا إله إلا هو يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير.

* * * *

الفصل الثانى عشر
صفات الله - سبحانه وتعالى - ورؤيته

- عرض الشبهات:

فى معرض الرد عما أثاره الشيخ أحمد ديدات فى كتابه «عتاد الجهاد» تحت عنوان «الله: وقد نسب إليه الكتاب المقدس صفات لا تتفق مع ما يجب لله من جلال وكمال»[1] وتحديداً ما اقتبسه الشيخ أحمد ديدات من (سفر اشعياء 5 :26): **«فيرفع (الله) راية للأمم من بعيد ويصفر لهم..»** و(سفر إرميا 25 :30): **«الرب من العلاء يزمجر»** قال القمص تعليقاً على هذا[2]: أن هذه الأساليب أساليب مجازية، «فالله يزمجر» تدل على قوة الله وقوة صوته التى ترهب الشر والأشرار.

وبدلاً من أن يرد القمص على باقى الصفات التى نعت بها الكتاب المقدس الله سبحانه وتعالى، تلك الصفات التى لا تتفق البتة مع جلال الله وكماله، أخذ القمص يورد بعض أمثلة لصفات الله سبحانه وتعالى فى القرآن والسنة ليجذب نظر المشاهد إليها ويبعده عن الموضوع الأصلى، وهو صفات الله فى الكتاب المقدس.

يقول القمص: المشكلة أن المسلمين ينزهون الله عن التشبيه والتمثيل، ففى سورة الشورى آية 11: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ لكن فى صحيح البخارى كتاب التوحيد عن أبى سعيد الخدرى: فى يوم القيامة يأتيهم الجبار فى صورة غير صورته التى رأوه عليها أول مرة فيقول: أنا ربكم، ويقولون: أنت ربنا فلا يكلمه إلا الأنبياء، فيقولون: هل بينكم وبينه علامة تعرفونه بها، فيقولون **الساق**، فيكشف الله عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن.

(1) ص 20.

(2) حلقة: 36.

ويضيف القمص: يكشف الله عن ساقه، أريد أن أسأل، ما شكل ساق ربنا التى يعرفوه بها؟ كبيرة أم صغيرة؟![1].

مقدم البرنامج: أحمد ديدات يعترض على تعبيرات الكتاب المقدس على أن الله يندم[2].

- **القمص**: هل ديدات يريد أن يقول: أن ربنا جماد ليس عنده مشاعر؟! والواقع أن الله يعبر لنا نحن البشر باللغة التى نفهمها. وما رأى الشيخ ديدات فى التعبيرات عن مشاعر الله التى يذخر بها القرآن وكتب الأحاديث.

- **مقدم البرنامج**: هل هناك أمثلة:

القمص: مشاعر الحسرة والأسى والغضب، ففى سورة يس آية 30: **﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾** وتفسير القرطبى به 14 تفسير مختلف للحسرة، فربنا يتحسر مثلها مثل الندم.

وسورة الزخرف آية 55: **﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾** ماذا نعنى آسفونا؟ القرطبى قال: غاظونا وأغضبونا، أليست مثل ندم؟! وفى سورة السجدة آية 14 **﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾** فهل ربنا ينسى.

ويضيف القمص: وفى السيرة الحلبية حديث الإسراء والمعراج: لما وصلت إلى السماء السابعة (يعنى محمد) قال لى جبريل: رويدك فإن ربك يصلى، وقال له محمد: أهو يصلى؟ وفى لفظ: كيف يصلى؟ وقال له محمد: وماذا يقول: قال: سبوح قدوس رب الملائكة والروح سبقت رحمتى غضبى.

ويقول القمص: هذا الأمر نفسه الذى قاله محمد[3] فى سورة الأحزاب آية 56: **﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا**

(1) حلقة: 96، 97.

(2) ص 26 من كتاب عتاد الجهاد.

(3) القرآن كلام الله والقمص يريد أن يوحى للمشاهد أن القرآن الكريم من وضع محمد ﷺ.

تَسْلِيماً﴾ ويوضح القمص أن الصلاة على النبى تقال فى التشهد الأخير عقب الصلاة، ويضيف: ويبقى السؤال باقياً: لمن يصلى الله؟!

وفى معرض الرد عما أثاره الشيخ أحمد ديدات حول الصفات المتناقضة لله سبحانه وتعالى بالكتاب المقدس[1]، حيث أنه فى مواضع يقول الكتاب المقدس بعدم إمكانية رؤية الله، وفى مواضع أخرى بإمكان رؤيته، فى معرض الرد يقول القمص[2]:

اقتبس أحمد ديدات من بشارة يوحنا 1 :8: **«الله لم يره أحد قط»** ولم يُكمل النص (أى أحمد ديدات) وباقى النص: **«الابن الوحيد الذى هو فى حضن الأب هو خبَّر»**[3] فالله ظهر فى الجسد لكن لاهوته لا أحد يستطيع أن يراه.

واقتطف أيضاً - والكلام للقمص - من الرسالة الأولى لتيموثاوس 6 :16 **«الذى وحده له عدم الموت. ساكناً فى نور لا يُدنى منه، الذى لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه..»**.

- **مقدم البرنامج:** لكنه يعترض أيضاً أن موسى كلم الله وجهاً لوجه، وهذا يتعارض مع ما ذكرته الآن.

- **القمص:** هذا أيضاً مقتبس من سفر الخروج 33 :11: **«ويكلم الرب موسى وجها لوجه كما يكلم الرجل صاحبه»** ومشكلة الشيخ ديدات أنه لا يعرف أسرار اللغة العربية، ففى اللغة يوجد كلام حقيقى ويوجد كلام مجازى يرمز لمعانى أخرى؛ فتعبير وجه لوجه ليس كما فهمه الشيخ ديدات الذى يجهل اللغة، **فلم يقل**

(1) عتاد الجهاد ص 24.

(2) حلقة 96.

(3) باقى النص الذى أورده القمص لم يضف جديد للمعنى.

الكتاب ورأى موسى الرب وجه لوجه لكن قال: يكلم الله وجه لوجه إذن هذا تعبير كناية عن أنه لا يوجد واسطة بينه وبين الله وفى خروج 33 :20 «قال: **لا تقدر أن ترى وجهى**».

مقدم البرنامج: لكن أحمد ديدات قال عن سفر الخروج 24 :9 أن موسى وآخرون رأوا الله.

- **القمص:** لو كان ديدات مخلصاً فى البحث عن الحقيقة لوصل إليها، لكنه يخطف تعبيرات دون أن يدرى معناها، ففى سفر التثنية 4 :12 «**فكلمكم الرب من وسط النار وأنتم سامعون صوت كلام ولكن لم تروا صورة بل صوتا**» إذن فتعبير رأوا إله إسرائيل إنما هى رؤية مجازية.

بعد ذلك ينتقل القمص إلى رؤية الله سبحانه وتعالى فى الإسلام، فيقول: ما رأى ديدات وأمثاله وأتباعه فى تضارب القرآن والأحاديث بخصوص رؤية الله، ففى سورة الأعراف آية 143: ﴿**وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا**﴾ وجاء فى تفسير القرطبى - والكلام للقمص - أن موسى - عليه السلام - رأى الله فلذلك خر صعقاً، وأن الجبل رأى ربه فصار دكا.

ويضف القمص: أنه جاء فى تفسير القرطبى عن ابن عباس أن محمداً رأى ربه مرتين، مرة بعينه ومرة بفؤاده وحجته قوله تعالى فى سورة النجم آية 11: ﴿**مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ**﴾، وجاء فى سورة الأنعام آية 103: ﴿**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ**﴾ وفى سورة الشورى آية 51: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ**﴾ وجاء فى تفسير القرطبى فى قوله: ﴿**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ**﴾ فى صحيح مسلم عن مسروق قال: كنت متكئاً عند عائشة فقالت: من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم

على الله الفرية، فقال مسروق: ما هـن؟ قالت: من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية. يعنى محمد لم ير ربه.

- **ويضف القمص**: هل بعد كل هذا التناقض والتضارب فى القرآن والأحاديث يدعى الشيخ ديدات أن الكتاب المقدس فيـه تناقض، الكتاب المقدس يقول: لم يره أحد قط، لكن عندما حل فى المسيح رأينا الله فى شخصه، فكان صورة الله المرئية والمنظورة.

- **مقدم البرنامج:** ما رأى المسيحية والإسلام بخصوص رؤية الله فى الآخرة فى يوم الحشر.

- **القمص**: تؤمن المسيحـية أنه عندما يأتى المسيح ثانيـة سيغيـر أجساد المؤمنين باسمـه إلى أجساد نورانيـة لها إمكانية أن ترى النور، فـيروا الله، وهذا واضح فى القرآن أيضاً.

- **مقدم البرنامج:** وما هى الآية القرآنية التى تقول بهذا؟

- **القمص:** لا تأتى السـاعة حتى يأتى المسـيح عيـسى بن مريم حكمـاً عادلاً ومقسطا[1].

مقدم البرنامج: هذا هو رأى المسيحية، فما هو رأى الإسلام؟

- **القمص:** فى سـورة القيـامة 22 - 23 ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾.

(1) هذا كذب وبهتان من جانب القمص، فالمتن المذكور هو جزء من حديث ورد فى صحيح البخارى - كتاب الأنبياء - باب نـزول عيسى بن مريم - عليـهما السلام -، والحديث يرد علـيه تعليقات كثـيرة ليس هذا موضعها. أما القمص يريد أن يقلب - كذباً - الحديث قرآناً.

- الرد على الشبهات:

- أولاً: صفات الله - سبحانه وتعالى - فى القرآن والسنة:

يحاول القمص أن يوهم المشاهد بأن آيات القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة تقول بتشبيه الله سبحانه وتعالى بخلقه، أو أنها أتت بصفات لا تليق بذاته سبحانه وتعالى، مع أن القمص يعلم جيداً من كتب التفسير التى يتخذها مراجع له فى حلقاته، ومن كتب شروح السنة، ومن كل المصادر الإسلامية التى يتصيد منها النصوص المشكلة، كل هذه الكتب والمصادر يعلم منها القمص علم اليقين أن الإسلام والمسلمين يرفضون التشبيه، ويرفضون القول بأى صفة لا تليق بالله سبحانه وتعالى، ولكن هذا هو دائماً منهج الذين يجادلون بالباطل، الذين ختم الله على قلوبهم، فلا يرون إلا الضلال، ولا يسمعون إلا صوت الشيطان، والآن نوضح - إن شاء الله - ما حاول القمص أن يبهمه.

1 - معنى الحسرة:

يقول الله سبحانه وتعالى فى الآية 30 من سورة يس: **﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾** وقد ادعى القمص أن القرآن الكريم يقول بحسرة الله سبحانه وتعالى ليسوى بين صفات الله عز وجل التى جاء بها القرآن مع تلك التى جاء بها الكتاب المقدس والتى تقول بالتشبيه الصريح، ولكن شتان بين كلام الله سبحانه وتعالى وبين كلام البشر.

قال ابن كثير فى تفسير هذه الآية: «قال على عن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله تعالى: يا حسرة على العباد أى يا ويل العباد، وقال قتادة: يا حسرة على العباد أى يا حسرة العباد على أنفسهم على ما ضيعت من أمر الله وفرطت فى جنب الله . . . ومعنى هذا يا حسرتهم وندامتهم يوم القيامة إذا عاينوا العذاب كيف كذبوا الرسل وخالفوا أمر الله فإنهم كانوا فى الدار الدنيا المكذبون منهم ما يأتيهم

من رسول إلا كانوا به يستهزئون، أى يكذبونه ويستهزئون به، ويجحدون ما أرسل به من الحق»[1].

وجاء فى تفسير القرطبى: «.. المعنى: يا حسرة من العباد على أنفسهم وتندماً وتلهفاً فى استهزائهم برسل الله عليهم السلام، وقال ابن عباس: يا حسرة على العباد أى يا ويلنا على العباد، وعنه أيضاً: حل هؤلاء محل من يتحسر عليهم.. وقال الضحاك: إنها حسرة الملائكة على الكفار حين كذبوا الرسل..»[2].

وعلى هذا نجد أن مفسرى المسلمين فهموا القرآن الكريم فهماً صحيحاً يستقيم والعقل، ولم يقل أحد منهم - رضى الله عنهم - أن الله سبحانه وتعالى يتحسر مثل البشر، فسبحانه وتعالى عما يصفون.

2 - معنى آسفونا:

يقول الله تعالى فى سورة الزخرف آية 55: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ وقد علق القمص على هذا بقوله: أليست آسفونا مثل ندم.

نقول للقمص لن تضحك على عقول من يستمعون إليك ويشاهدونك، فأنت تحاول أن تسوى بين صفتين لكل منهما معنى ومغزى مختلف، والندم - كما سنرى فى موضعه - صفة لا تليق بذات الله سبحانه وتعالى، أما عن معنى كلمة «آسفونا»، فقد جاء فى كتب التفاسير أنها بمعنى أغضبونا، فهل عندما يُقال أن الله سبحانه وتعالى يغضب، هل فى هذا انتقاص من جلاله وكماله؟! بالطبع لا، فنحن جميعاً نعوز بالله من غضبه وسخطه، وقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال[3]: «إذا رأيت الله تبارك وتعالى يعطى العبد ما يشاء وهو مقيم على معاصيه فإنما ذلك استدراج منه، ثم تلا ﷺ: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا﴾ ومعنى الحديث أن استدراج الله

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير.

(2) تفسير القرطبى للآية 30 من سورة يس.

(3) تفسير ابن كثير للآية 55 من سورة الزخرف.

سبحانه وتعالى للعبد، وإعطاؤه له مع أنه عاص لم يتب هو أشد الغضب، نعوذ بالله من غضبه.

3 - معنى قوله - سبحانه وتعالى - ﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾:

يقول عز وجل فى سورة السجدة آية 14: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ويعلق القمص على آية فيقول: هل ينسى الله؟!

نقول له: لا يا جناب القمص، لم يقل أى إنسان عاقل بأن الله سبحانه وتعالى ينسى، فما بالك بالمسلمين المدافعين عن تنزيه الله سبحانه وتعالى من كل نقص.

وقبل أن نرد الباطل الذى ادعاه القمص، يكون جدير بنا أن نعرض هذه الآيات الكريمات ليزداد الأمر إيضاحاً، يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾[1].

جاء فى تفسير القرطبى لهذه الآيات: «كذلك أتتك أياتنا أى دلالاتنا على وحدانيتنا وقدرتنا فنسيتها أى تركتها، ولم تنظر فيها وأعرضت عنها، وكذلك اليوم تُنسى **أى تترك فى العذاب**»[2].

وجاء فى تفسير ابن كثير عن الآية 14 من سورة السجدة: «فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا أى يقال لأهل النار على سبيل التوبيخ: ذوقوا هذا العذاب بسبب تكذيبكم به واستبعادكم وقوعه وتناسيكم له إذ عاملتموه معاملة من هو ناس له، إنا نسيناكم أى سنعاملكم معاملة الناسى؛ لأن الله تعالى لا ينسى شيئاً ولا يضل عنه شىء، بل من باب المقابلة».

---

(1) سورة طه: 124 :126.

(2) تفسير القرطبى للآية 126 من سورة طه.

وجاء فى تفسير الجلالين: إنا نسيناكم أى تركنا كم فى العذاب.

إذن فالنسيان هنا بمعنى الترك، فكما تركوا ما أمرهم به الله سبحانه وتعالى فى حياتهم الدنيا، فكذلك يتركهم الله فى يوم لا ظل إلا ظله سبحانه وتعالى.

4 - معنى «الساق»:

اقتبس القمص جزء من حديث طويل ورد فى صحيح البخارى، جاء فيه: **«فيأتيهم الجبار فى صورة غير صورته التى رأوه فيها أول مرة فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا؟ فلا يكلمه إلا الأنبياء، فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه، فيقولون: الساق، فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن»**[1].

وبرواية أخرى فى صحيح مسلم: **«فيقول: هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها، فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق ولا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاءً ورياءً إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه..»**[2].

ويبدو أن القمص لا يعرف أن نفس معنى الحديث، وكلمة الساق نفسها قد وردت فى القرآن الكريم، ويكون حرى بنا أن نعرض النص القرآنى حتى يستقيم البحث وتتحقق الفائدة بإذن الله، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾[3].

والقمص يعلم علم اليقين من الكتب الإسلامية التى طالعها، أن معنى الساق فى النصوص التى عرضناها، لا تعنى القدم، فلفظة ساق لها استخدامات عدة فى

---

(1) صحيح البخارى - كتاب الإيمان - باب «وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة».

(2) صحيح مسلم: كتاب الإيمان - باب معرفة طريق الرؤية.

(3) القلم: 42 - 43.

اللغة العربيـة. ومعنى قوله: «فيكسشف عن سـاق» أى عن الشدة، لأن مثل هذا الكلام مستعمل فى اللغة على معنى شدة الأمر كما قال الشاعر:

وقامت الحرب بنا على ساق

وأخرج الحاكم فى المستدرك عن ابـن عباس: أنه سئل عن قوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قال: إذا خفى عليكم شـىء من القرآن فابتغوه فى الشـعر، فإنه ديوان العرب، أما سمعتم قول الشاعر:

اصـبـر عناق إنه شـر باق　　　قد سن لى قومك ضرب الأعناق

وقامت الحرب بنا على ساق

قال ابن عباس: هذا يوم كرب وشدة[1].

إذن المعنى غاية فى الوضوح، ومـن السهل معرفة المراد منه من مطالعـة معاجم اللغة العربية، فـإنه عز وجل يتعالى عن الأعضاء والتبـعيض وأن يكشف ويتغطى، ومـعناه أن يكشف عن العظيم من أمـره،وعن شدة يوم المشـهد العظيم حـيث لا كاشف لها إلا هو.

5 - معنى صلاة الله عز وجل:

عرض القـمص جزء من حـديث النبى ﷺ لما أسرى به السمـاء السابعـة فأتاه جبـريل فقال: رويدك يا أحـمد: فإن ربك يصلى، فـقلت: وأن ربى يصلى؟ قال نعم، قلت: وأى شىء يقول؟ قال: يقول: سبوح قدوس. سبقت رحمتى غضبى.

وبدلاً من أن يسـأل القمص عن مـعنى صلاة الله سـبحـانه وتعالى، وجـدناه يسأل: لمن يصلى الله؟ والله إن سؤاله بهذه الصورة ليحمل كل معانى الكفر.

(1) انظر: مشكل الحديث وبيـانه للحافظ أبى بكر محمـد بن الحسن بن فورك - ص 156، والإتقان فى علوم القرآن للسيوطى جـ3 - ص 18، وتفسير ابن كثـير والجلالين والقرطبى للآية 42 من سورة القلم، ومختار الصحاح مادة سوق، ومختلف معاجم اللغة العربية.

نقول توضيحاً لمعنى صلاة الله عز وجل: اعلم أن الصلاة على وجوه: وإذا أضيف إلى الله عز وجل فمعناها المدح والثناء والرحمة والبركة، وإذا أضيفت إلى الملائكة فمعناها الاستغفار وطلب الشفاعات، وإذا أضيفت إلى المؤمنين من الآدميين فالمراد الدعاء، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾[1] فصلاة الله عز وجل إظهاره رحمته ومدحه وثناؤه، وصلاة الملائكة استغفارهم وسؤالهم الفضل والدرجة لمن يصلون عليه، وصلاة المؤمنين دعاؤهم ربهم بإنزال البركات والرحمة على من يصلون عليه. ومعنى قوله: سبقت رحمتى غضبى؛ إظهار بركته وكرامته لأهل البركة والرحمة كما ظهر تعذيبه وعقابه لأهل العقوبة[2].

ثانياً: صفات الله فى الكتاب المقدس:

1 - هل يجوز أن يصفر الله:

حاول القمص أن يدفع كل ما ورد بالكتاب المقدس من صفات لا تليق بذات الله سبحانه وتعالى بقوله أن هذه الأساليب إنما هى أساليب مجازية، وقال عن زمجرة الله - كما جاء بالكتاب المقدس - أنها تدل على قوة الله، ولكنه لم يقل لنا: على ماذا يدل صفير الله ليجمع الأمم، جاء فى سفر إشعياء 5 :26: «**فيرفع (الله) راية للأمم من بعيد ويصفر لهم من أقصى الأرض، فإذا هم بالعجلة يأتون سريعاً**».

والسؤال، هل من الممكن أن يصف الله سبحانه وتعالى فى كتاب مفترض أنه كتاب سماوى، هل من الممكن أن يصف الله نفسه بأنه يصفر ليجمع بشر؟! لك

(1) الأحزاب: 56.

(2) مشكل الحديث وبيانه - ص 154، وانظر تفسير ابن كثير للآية 56 من سورة الأحزاب، ومختار الصحاح مادة صلا.

أن تتخيل هذا المشهد الذى رسمه الكتاب المقدس وتقول فيه كلمتك، والغريب أن القمص لم يتعرض لهذا الوصف ولم يرد عليه، ولكن يبدو أن قريحته لم تكن مؤهلة للرد على هذه الشبهة.

2 - تشبيه الله سبحانه وتعالى برجل حرب:

جاء فى سفر إشعياء 42: 13 - 14: **«الرب كالجبار يخرج كرجل حروب ينهض غيرته يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه: لقد صَمتٌّ منذ الدهر. سكت تجلدت كالوالدة أصيح. أنفخ وأنخر معاً».**

والنص ملئ بالأقاويل العجيبة، فالله كرجل حروب، وكما يقال: أول القصيدة كفر، فقد شُبِه الله سبحانه وتعالى برجُل، ليس هذا فقط، ولكنه يغير، ويهتف، ويصرخ، ما هذا الذى يُنسب لله عز وجل؟! لم تكتمل القصيدة بعد، فالله عندهم تجلد كالوالدة، ولا نعلم ماذا يقصد النص من هذا الكلام العجيب، فلم يكفه أنه شبه الله عز وجل برجل، ولكنه شبهه بالوالدة، وماذا أيضاً؟! نجده يصيح وينفح وينخر، فما معنى هذا يا جناب القمص؟! هل التعبير مازال مجازياً؟!

3 - تشبيه الله بتنين يُخرج الدخان والنار!!

جاء فى سفر صموئيل الثانى 22: 7 - 10: **«فى ضيقى دعوت الرب فسمع من هيكله صوتى وصراخى دخل أذنه. فارتجت الأرض وارتعشت. أسس السموات ارتعدت وارتجت. لأنه غضب. صعد دخان من أنفه. ونار من فمه أكلت جمر اشتعلت منه. طأطأ السموات ونزل وضباب تحت رجليه».**

انظر أولاً لهذا التجسيد الذى جسدوه لله سبحانه وتعالى، فقد جعلوا له أذن، وأنف، وفم، وقدم، وإذا سلمنا أن كل هذا مجاز، فما معنى - صعود الدخان من أنفه والنار من فمه (تعالى الله عما يصفون)، فهل لهم إله غير إلهنا؟! إن ما

يصورونه أشبه بما جاء بالأساطير القديمة، إن كل كلمة فى الكتاب المقدس باجناب القمص تصرخ وتقول أن هذا ليس كلام الله، إنما هو قول بشر.

4 - الله وقد نسبوا إليه الندم:

جاء فى سفر صموئيل 15 :35: **«والرب ندم لأنه ملك شاول على إسرائيل»** وفى خروج 32 :14 **«فندم الرب على الشر الذى قال إنه يفعله بشعبه»** وكان النص أشد صراحة فى صموئيل أول 15 :10 - 11: **«وكان كلام الرب إلى صموئيل: ندمت على أنى جعلت شاول ملكاً. لأنى رجع من ورائى ولم يقم كلامى»**.

وهكذا يجعل الكتاب المقدس الله سبحانه وتعالى عرضة للندم، مثله فى ذلك مثل البشر، والغريب أن رد القمص على هذا كان على النحو التالى: «هل ديدات يريد أن يقول أن ربنا جماد ليس له مشاعر».

أية مشاعر تلك التى تتحدث عنها أيها القمص، هل عرفت أولاً معنى «ندم»، الندم هو تأسف الإنسان على شىء فعله لأنه بدا له أنه كان من الأفضل عدم فعله، فهل الله سبحانه وتعالى لا يعلم الغيب حتى يندم؟! هل الله سبحانه وتعالى يبدو له أنه كان من الأفضل عدم فعل ما فعله؟!

ويبدو أن القمص لا يعلم أن الكتاب المقدس ينفى عن الله الندم لأنه لا يليق به سبحانه وتعالى، وجاء ذلك فى سفر صموئيل أول إصحاح 15 عدد 29: **«وأيضاً تصيح إسرائيل لا يكذب ولا يندم لأنه ليس إنساناً ليندم»** ففى نفس السفر ونفس الإصحاح الذى قال بأن الله يندم، يقرر صراحة أن الله لا يندم، ونسأل القمص، أنت دافعت عن مقولة أن الله يندم بأن الله عنده مشاعر، فماذا ستقول عن كتابك المقدس الذى قرر أن الله لا يمكن أن يندم؟!

وينفى الكتاب المقدس كذلك ندم الله سبحانه وتعالى فى سفر العدد 23 :19: **«ليس الله إنساناً فيكذب ولا ابن إنسان فيندم»**.

والآن نسأل القمص: هل الله سبحانه وتعالى يندم أم لا يندم؟!

5 - يصفون الله - سبحانه وتعالى - بالجهل والضعف:

عجيب حقاً ما جاء برسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس، فقد جاء بالأصحاح الأول عدد 25 ما نصه: **«لأن جهالة الله أحكم من الناس، وضعف الله أقوى من الناس»**.

ولا ندرى كيف قويت الألسنة على قراءة هذا الكلام؟! وكيف قويت الأقلام على كتابته؟! ولكن البحث العلمى هو الذى فرض علينا نقل هذه الافتراءات التى افتروها على ذى الجلال والإكرام. نقول: أن الله سبحانه وتعالى لم يكن أبداً جاهلاً ولم تصبه جهالة، ولم يكن أبداً ضعيفاً، ولم يصبه ضعف، فهو العالم القوى الجبار، هو الأعلى سبحانه وتعالى، فهل يظن بولس أنه بهذه الكلمات المتخلفة قد مجّد الله ومدحه؟! لا يا من زعمت أنك رسولاً، لا يا من زعمت أن هذا كلام الله، فأبداً لم يقل الله سبحانه وتعالى على نفسه هذا الكلام، ولم ينعت نفسه بهذه النعوت، فقد أثنى الله سبحانه وتعالى على نفسه ومجّدها، لأنه منزه من كل نقص، ونقول للقمص: هل جهاله الله وضعفه أسلوب مجازى؟!

ثالثاً: رؤية الله سبحانه وتعالى - فى القرآن:

حاول القمص بشتى الطرق أن يثبت أن هناك تضارباً بين القرآن والأحاديث بشأن رؤية الله عز وجل، وبداية نقول: أنه لا يوجد أى تناقض فى النصوص القرآنية بشأن رؤية الله عز وجل، وإنه فى حالة وجود أى تعارض بين النص القرآنى والحديث الشريف - إن وجد - فإن النص القرآنى هو المقدم ويهمل الحديث.

والقاعدة القرآنية تقول أن رؤية الله سبحانه وتعالى غير جائزة فى الدنيا، ومن قال هذا فقد افترى على الله عز وجل إذ يقول فى كتابه العزيز: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ

وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[1] فقد بيَّن الله سبحانه وتعالى أنه منزه عن سمات الحدوث، ومنها الإدراك بمعنى الإحاطة والتحديد، كما تدرك سائر المخلوقات، فلا يبلغ كنه حقيقته كما تقول: أدركت كذا وكذا، وعن ابن عباس قال: لا تدركه الأبصار فى الدنيا[2].

وعلى هذا فالله سبحانه وتعالى لا يُرى فى الدنيا، وذلك لأن القوانين والنواميس الطبيعية التى سنَّها لنا سبحانه وتعالى لا تسمح لنا بتلك الرؤية، وقد أكد سبحانه وتعالى هذا المعنى عندما سأله موسى - عليه السلام - الرؤية، يقول عز وجل: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾[3].

انظر إلى جواب الله على سؤال موسى، ماذا قال سبحانه وتعالى، قال: ﴿لَن تَرَانِي﴾ ولم يقل لن أرى، إذن فهذا الجواب خاص بموسى وحده، لآن الله تعالى سنراه - بإذنه ومشيئته - فى الآخرة، ولكن موسى سأله الرؤية فى الدنيا، وهذا مستحيل، ولكى يؤكد له سبحانه وتعالى هذه الاستحالة، قال له: ﴿انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ إذ أن الجبل أقوى وأثبت من الإنسان، فماذا كانت النتيجة ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ فالجبل بكل هذه القوة لم يتحمل تجلى الله سبحانه وتعالى، أما صعق موسى - عليه السلام، فلم يكن لرؤية الله سبحانه وتعالى، كما ادعى القمص، ولكن لرؤيته الجبل وهو يدك ويُسوى بالأرض، والنص واضح فى هذا الشأن، إذ أن الجبل قد سوى بالأرض

(1) الأنعام: 103.

(2) من تفسير القرطبى للآية 103 من سورة الأنعام.

(3) الأعراف: 143.

لتجلى الله له، فكيف سيكون حال مـوسى - عليه السلام - لو كان رأى ربه، كان سيصير هباء تذره الرياح، لأنه ليس بأقوى من الجبل.

أما عن رؤية الله عز وجل فى الآخرة، فذلك لامراء فـيه، فالله سبحانه وتعالى سينعم على عـباده المؤمنين بهذه الرؤية. يقـول جل وعلا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[1].

أما عن رؤية محـمد ﷺ لربه، فلا تناقض بينها وبين القاعدة القـرآنية التى قالت باستحـالة رؤيته سبحـانه وتعالى فى الدنيا، ونسـأل القمص: أو ليس تعلم أين رأى محمـد ﷺ ربه؟ سيجيب: أنه رآه بالسـماء السابعة، عند سـدرة المنتهى، وعندها جنة المأوى، يقول سبـحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ (١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾[2].

وعباد الله المؤمـنين عندما ينعم الله عز وجل عليهم بالرؤية، أيـن سيرون الله يا جناب القمص؟! ألن يروه عند جنة المأوى؟! إذن محمد ﷺ عندما رأى ربه لم يره بقوانين الدنيا، ولكنه رآه بقوانين الآخرة، رآه بالسماء السابعة، ذلك المكان الذى لن نصل إليه إلا فى الآخرة، بعد الموت، وبعد أن ينعم الله سبحانه وتعالى علينا بالجنة والنظر إلى وجـهه الكريم، وعلى هذا فـمحـمد ﷺ لم ير ربه بالدنيـا، ولكنه رآه بالآخرة مكاناً لا زماناً.

ومن هذا العـرض يتضح لنا أنـه لا تعارض أبداً بين مـا جاء بالقـرآن وما جـاء بالأحاديث، فكل حديث يرفض رؤية محمد ﷺ لربه سبحانه وتعالى محمول على رؤيته بالدنيـا، أما رؤية محمـد ﷺ لربه ليلة الإسراء والمعراج كـانت بالآخرة مكاناً وناموساً ولم تكن بالدنيا، والله تعالى أعلى وأعلم.

---

(1) القيامة: 22 - 23.

(2) النجم: 13 - 16.

رابعاً: رؤية الله - سبحانه وتعالى - فى الكتاب المقدس:

هناك تناقضاً واضحاً فى الكتاب المقدس بشأن رؤية الله سبحانه وتعالى، ففى إنجيل يوحنا إصحاح 1 عدد 8: «**الله لم يره أحد قط**» وفى إصحاح 6 عدد 16 من الرسالة الأولى لتيموثاوس: «**.. الذى لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه..**» وقد رأينا عند عرض الشبهات كيف أن الشيخ أحمد ديدات وجد أن هذه النصوص تناقض ما جاء بسفر الخروج 33 :11: «**ويكلم الرب موسى وجهاً لوجه كما يكلم الرجل صاحبه**».

وقد حاول القمص رفع هذا التناقض بقوله: «**الشيخ أحمد ديدات يجهل اللغة؛ فلم يقل الكتاب المقدس ورأى موسى الرب وجه لوجه، لكن قال: يكلم الله وجها لوجه، إذن هذا تعبير كناية عن أنه لا يوجد واسطة بينه وبين الله**» وانتهى القمص إلى نتيجة مؤداها: أن الكتاب المقدس لم يقل برؤية الله سبحانه وتعالى، وأن النصوص التى عرضها الشيخ أحمد ديدات إنما هى مجرد تعبيرات مجازية، لأنها قالت: كلم أو كلمكم، ولم نقل رأى أو رأوا.

فإذا سلمنا أن الرؤية التي تحدث عنها الكتاب المقدس، والتى تعرض لها القمص إذا سلمنا أنها رؤية مجازية، فما رأى القمص فى هذا النص الذى جاء فى سفر التكوين إصحاح 32 عدد 30: «**فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل قائلاً: لأنى نظرت الله وجها لوجه..**» فهنا لم يقل كلمت الله، ولكنه قال: نظرت الله، فهل النظر مجازى؟!، وإذا كان مجازياً فأين القرينة التى صرفت التعبير الحقيقى إلى المجاز؟! بل إن هناك قرينة تؤكد أن اللفظ محمول على المعنى الحقيقى، وهى قوله: «وجها لوجه»، فما ردك يا جناب القمص؟

وقد استشـهد القمص كذلك بالنص الوارد فى سفـر التثنية 4 :12 وقد جاء فيه: **«فكلمكم الرب من وسط النار وأنتم سـامعون صوت كـلام ولكن لم تروا صورة بل صوتاً»** وعلق عليه بقوله: «إذن فتعبير رأوا إله إسرائيل إنما هى رؤية مجازية.

نقول للقمص: هذا النص الذى اسـتشهدت به على أن الرؤية مجـازية يعارضه النص الذى عـرضناه من سفر الـتكوين، والنص التالى والذى جـاء بسفـر الخروج أصحاح 24 عدد 9 - 11: **«ثم صعد مـوسى وهارون وناداب وأبيهو وسـبعون من شيـوخ إسرائيل. ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليـه شبه صنعة من العـقيق الأزرق الشفاف. وكذات السماء فى النقاوة. ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بنى إسرائيل. فرأوا الله وأكلوا وشربوا».**

لا شك لدينا أن النص يتحـدث عن رؤية حقيقـية خالية من كل مـجاز، فالنص يقول: **«وتحت رجليه. .»** إذن فقد رأوا - وأسـتغفر الله - ما تحـت رجليه، فهل هذا مجـاز؟! وقال النص كـذلك: **«ولكنه لم يمد يده إلى أشـراف بنى إسرائيل»** فهذا يدل بمفهوم المخالفة أنه سبحـانه وتعالى وحاشا لله - مد يده إلى غيرهم - فما كل هذا التشـبيه والتجسـيد لله سبحـانه وتعالى، أفمازالت الرؤية مـجازية يا جناب القمص أم أن الكتاب المقدس يناقض بعضه بعضاً؟! إختر ما شئت.

* * * *

قائمة بأهم مصادر الكتاب

1 - الإتقان فى علوم القرآن - للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى - القاهرة.

2 - الإسلام عقيدة وشريعة - الشيخ المرحوم/ محمود شلتوت شيخ الأزهر - القاهرة 1972.

3 - إظهار الحق - رحمت الله الهندى - القاهرة 2005.

4 - الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأناجيل الأربعة - محمد عبد الرحمن عوض - القاهرة.

5 - الاكتفاء فى مغازى الرسول والثلاثة الخلفاء - لأبى الربيع سليمان بن موسى الكلاعى الأندلسى - القاهرة 1387هـ - 1978م.

6 - الإصابة فى تمييز الصحابة - الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلانى - القاهرة 1392هـ - 1978م.

7 - الأم - محمد بن إدريس الشافعى - بيروت 1393هـ.

8 - البداية والنهاية - أبو الفداء إسماعيل بن كثير - بيروت 1988م.

9 - تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبرى) - أبى جعفر بن جرير الطبرى - بيروت 1424هـ - 2003م.

10 - تاريخ القرآن - د. عبد الصبور شاهين - القاهرة 2005.

11 - تفسير الجلالين - جلال الدين السيوطى وجلال الدين محمد بن أحمد المحلى - القاهرة.

12 - تفسير القرآن العظيم - أبو الفداء إسماعيل بن كثير - القاهرة.

13 - الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبى) - أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى - القاهرة.

14 - دستور أمة الإسلام (دراسة فى أصول الحكم وطبيعته وغايته عند المسلمين) - د. حسين مؤنس - القاهرة 1998.

15 - الديمقراطية الآثينية وسيادة القانون فى التوراة والإنجيل والقرآن - د. محمد بدر - القاهرة 1995.

16 - الرسول والسيف (دراسة للنظرية القرآنية فى الجهاد والحرب وتطبيقاتها فى الدعوة المحمدية) - صلاح أبو السعود - القاهرة 2005.

17 - زاد المعاد فى هدى خير العباد - محمد بن أبى بكر المعروف بابن القيم الجوزية - القاهرة 1999.

18 - زواج المتعة بين الإباحة والتحريم عند الشيعة وأهل السنة - صلاح أبو السعود - القاهرة 2005.

19 - زواج المتعة فى كتب أهل السنة - د/ علاء الدين القزوينى - 1415هـ.

20 - سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد - محمد بن يوسف الصالحى الشامى - القاهرة - 1418هـ - 1997م.

21 - سنن ابن ماجة - محمد بن يزيد بن ماجة - بيروت.

22 - السيرة النبوية - أبو محمد عبد الملك بن هشام - القاهرة 1990.

23 - السيرة النبوية وأخبار الخلفاء - أبو حاتم محمد بن حبان - القاهرة.

24 - شرح النووى لصحيح مسلم - محيى الدين أبى زكريا يحيى بن شرق النووى.

25 - شبهات مزعومة حول القرآن - محمد الصادق قمحاوى - 1389هـ - 1978م.

26 - صحيح البخارى - محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفى البخارى - القاهرة.

27 - صحيح مسلم - مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى - القاهرة.

28 - صفوة السيرة النبوية - أبو الفداء إسماعيل بن كثير - القاهرة 1424هـ - 2003م.

29 - الطبقات الكبرى لابن سعد - القاهرة.

30 - عتاد الجهاد - الشيخ أحمد ديدات - القاهرة - 1993.

31 - فتح البارى بشرح صحيح البخارى - الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلانى - بيروت.

32 - القاموس المحيط - محمد بن يعقوب الفيروز آبادى - القاهرة.

33 - الكتاب المقدس - دار الكتاب المقدس فى الشرق الأوسط.

34 - لباب النقول فى أسباب النزول - جلال الدين السيوطى - القاهرة.

35 - مختار الصحاح - محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى - بيروت 1406هـ.

36 - المسيح فى الإسلام - الشيخ أحمد ديدات القاهرة.

37 - مشكل الحديث وبيانه - الحافظ أبى بكر محمد بن الحسن بن فورك - حلب 1983.

38 - المصاحف - أبو بكر عبد الله بن أبى داود السجستانى - بيروت 1405هـ - 1985م.

39 - الموطأ - أبو عبد الله مالك بن أنس - القاهرة.

الفهرس

الموضوع | صفحة

